



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في النضال السياسي منذ التأسيس

وحتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى (1931-1954م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

عبدالله أحمد علي

إشراف:

أ.د. عقيل نمير

2022-2023

الفهرس

الصفحة	العنوان
2	الفهرس.
5	كلمة شكر.
6	مُلخص.
7	مقدمة.
15	الفصل الأول التمهيدي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظروف تأسيسها.
16	أولاً: الأوضاع العامة للجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي.
16	1- الأوضاع السياسية.
18	2- الأوضاع الاقتصادية.
21	3- الأوضاع الاجتماعية.
24	4- الأوضاع الثقافية والدينية.
29	ثانياً: العوامل التي ساعدت على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
29	1- تبلور الحركة الوطنية الجزائرية وظهور الأحزاب السياسية.
36	2- ظهور الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر.
40	3- جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في تكوين حزب ديني يجمع شمل العلماء الجزائريين.
45	4- احتفال فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها للجزائر، وما رافقها من استفزازات بحق الجزائريين

48	ثالثاً: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م وقانونها الأساسي.
49	1- اختلاف آراء المؤرخين حول المؤسس لجمعية العلماء المسلمين.
51	2- مرحلة التأسيس والقانون الأساسي للجمعية.
58	رابعاً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها.
62	الفصل الثاني: النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة عبد الحميد بن باديس (1931-1940م).
63	أولاً: عبد الحميد بن باديس ونشاطه الإصلاحي في الجزائر (1889-1940م).
63	1- عبد الحميد بن باديس (مولده، تعليمه، نشاطه التعليمي والصحفي).
72	2- أسلوبه في العمل السياسي.
75	ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة عبد الحميد بن باديس.
77	1- رفض التجنيس.
80	2- رفض الاندماج والدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية.
83	ثالثاً: الإجراءات التعسفية الفرنسية المتخذة ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
88	رابعاً: المؤتمر الإسلامي الجزائري في العام 1936م ودور جمعية العلماء فيه.
88	1- فكرة المؤتمر والدعوة إلى عقده.
90	2- عقد المؤتمر وأهم مطالبه.
98	خامساً: خيبة الأمل من وعود فرنسا وانتفاضة ابن باديس.

102	سادساً: موقف جمعية العلماء من نشوب الحرب العالمية الثانية.
109	الفصل الثالث: النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي (1940 -1954م).
110	أولاً: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي.
110	1- لمحة عن حياة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
113	2- ظروف تعيين محمد البشير الإبراهيمي رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
115	ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي.
115	1- سياسة التحالفات مع الأحزاب الوطنية الجزائرية.
120	2- موقف جمعية العلماء من الإصلاحات الفرنسية، وميلاد تحالف أحباب البيان والحرية.
124	ثالثاً: أحداث أيار في العام 1945م وانعكاساتها على النضال السياسي لجمعية العلماء.
132	رابعاً: النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامي (1947 - 1954م).
132	1- النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامي (1947 - 1950م).
137	2- النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ عام 1950م حتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في العام 1954م.
152	خاتمة وأهم النتائج.
156	قائمة المصادر والمراجع.
167	قائمة الملاحق.
ii-iii	Abstract
I	Title in English

كلمة شكر

بدايةً أود التوجه بالشكر إلى الله عز وجل، ومن ثم إلى من غرس في داخلي الطموح، إلى من علمني أن استمر بالرغم من كل الظروف إلى والدي العزيز رحمه الله واسكنه فسيح جناته، وإلى عائلتي العزيزة على كل ما قدموه لي من دعم في كافة المجالات، ومن ثم أتوجه بالشكر إلى حضرة الأستاذ الدكتور عقيل النمير الذي استقبلني بكل صدر رحب وترك لي المجال مفتوحاً للتوسع والاطلاع وأمدني بكل الدعم الذي احتجته، وأتوجه بالشكر إلى أساتذتي في قسم التاريخ في جامعة دمشق دون استثناء، والكادر في مكتبة الأسد على كل ما قدموه لي من تسهيلات للحصول على المادة العلمية القيمة بنشاط وتواضع.

وأود الاعتذار عن كل ما ورد من أخطاء أو هفوات في البحث، فالكمال من صفات الخالق عز وجل.

ملخص:

يهتم البحث المعنون بـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في النضال السياسي منذ التأسيس وحتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى "1931-1954م") بتقديم دراسة عن جمعية العلماء المسلمين التي ظهرت بوصفها جمعية إصلاحية في الجزائر في العام 1931م، من أجل مقاومة كل أنواع التخلف الفكري الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي له منذ العام 1830م، وتوعية الشعب الجزائري لمقاومة الاحتلال، وإعادة القيم الفكرية والروحية للحضارة العربية الإسلامية في الجزائر.

كما اهتم بدراسة الأوضاع المتردية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، التي أسفرت عن نشوء نخبة إصلاحية من العلماء ورجال الدين ناضلت من أجل تحسين هذه الأوضاع، وكانت ثمرة نضالها تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حددت أهدافها منذ بداية تأسيسها بمحاربة الجهل والتخلف والبدع التي تغلغت في العقيدة الإسلامية، وبناء المدارس، وفتح المساجد والنوادي، والحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية.

وسلط البحث الضوء على الظروف والعوامل التي جعلت الجمعية تدخل في النضال السياسي إلى جانب الأحزاب الوطنية الجزائرية الأخرى من أجل تحقيق مطالب الشعب الجزائري، على الرغم من أن قانونها الأساسي يمنع ذلك، ودراسة مسيرة ذلك النضال سواء في الأسلوب أو الوسائل التي اتخذتها الجمعية، منذ تأسيسها حتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في العام 1954م، ومدى الإسهامات التي قدمتها جمعية العلماء للمجتمع الجزائري على جميع الأصعدة، حتى نال استقلاله بعد مدة طويلة من الاحتلال.

كلمات مفتاحية: جمعية، علماء، احتلال، مقاومة، أحزاب.

مقدمة

سعت معظم الدول الاستعمارية - الإمبريالية إلى أن يكون لها موضع قدم داخل الوطن العربي من أجل نهب خيراته واستغلال موقعه الجغرافي، وجعله جسر عبور لها إلى مستعمراتها في الشرق والجنوب، وكان نصيب الجزائر أن تحتلها فرنسا في العام 1830م، ومنذ بداية احتلالها عملت على جعلها أرضاً فرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد، لذلك عملت على تغيير معالم الوطن الجزائري من خلال السياسة التي مارسها، والسعي إلى استبدال لغته العربية بالفرنسية، وتشجيع سياسة التجنيس، وقمع مقاومة الشعب الجزائري بكافة الوسائل، لكي تجبره على الهجرة خارج بلاده، وتجذب إليه سكان غيرهم سواء من أوروبا أو فرنسا، إلى غير ذلك من الممارسات.

أمام هذه الأوضاع المتردية، سعى بعض المصلحين من العلماء أو رجال الدين الجزائريين إلى التغيير من الواقع الجزائري، ولاسيما ما يتعلق باللغة العربية والدين الإسلامي الذي انتشرت فيه البدع بواسطة أصحاب الطرق الصوفية¹، الذين أصبحت علاقتهم بالاستعمار قوية الذي طالت مدته، وتكلفت هذه المساعي من قبل العلماء ورجال الدين إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م، وأعلنت أنها جمعية إصلاحية، تعمل من أجل المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية، وتوعية الشعب الجزائري في فكره وثقافته.

فضلاً عن ذلك تحبيب الشعب الجزائري بلغته ودينه وتراثه وشخصيته، إلا أنها دخلت بعد مدة مجال السياسة من أوسع أبوابها، ومارستها ممارسة منظمة، واتحدت مع الأحزاب الوطنية الجزائرية في نضالها السياسي،

¹ التصوف لغة مشتق من الصوف الذي رغب الصوفيون بارتدائه، واصطلاحاً منهج لتزكية النفس وتهذيبها، وعماده الأول الزهد والعبادة. ظهر في القرن الثامن الميلادي، وتوسع بعد ذلك ليشمل المراقبة على ثغور البلاد الإسلامية، لكنه اختلط في القرون الأخيرة عند كثيرين بالبدع والشعوذة، وطلب المال والرياسة. أما الطريقة الصوفية عند الصوفيين وتعني "الطريق" الموصول إلى تهذيب النفس وتطهيرها لغرض التقرب إلى الله، وتتسبب إلى الشيوخ الذين وضعوها لأنفسهم وللمريدين، وتحولت مع مرور الزمن إلى جمعيات دينية وخيرية وجهادية، لكنها مع مرور الزمن تحولت إلى إطار جامد من الادعية المبتدعة والأناشيد المخترقة والرقص الجماعي وتقديس قبور الصالحين، وقد ظهرت في الجزائر في القرن السادس عشر الميلادي لدورها في مجاهدة الإسبان ولتقريب العثمانيين بعض شيوخها، وشهدت نمواً وانتشاراً كبيراً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ومن أهم الطرائق التي ظهرت في الجزائر الطريقة القادرية، والدراقوية، والنيجانية، والرحمانية، والسنوسية، والعلوية. للمزيد راجع: بلاح، بشير. (2006م). تاريخ الجزائر المعاصر ج: 1. الجزائر. دار المعرفة. ص: 334، 337.

وسعت إلى جمع هذه الأحزاب فيما بينها لتوحيد الكلمة والأهداف، والمناداة باللغة العربية والدين الإسلامي والوطن الجزائري.

- مصطلحات الدراسة:

الاستعمار: استعمال دولة حق السيادة خارج حدود أراضيها على دولة أو عدة دول ، فتفقد هذه الدولة كيائها الخاص وشخصيتها، ويتبع ذلك السيطرة على شؤونها كافة، والحصول على كامل المزايا التي تطمح بها الدولة المستعمرة بشكل مجحف، وهذا ما طبقته فرنسا في الجزائر⁽²⁾.

الإمبريالية: طموح دولة أو دول من أجل الاتساع نحو الآخرين ومدّ نفوذها وسيطرتها، وهذا أقصى أنواع الاستعمار⁽³⁾.

الاحتلال: دخول أراضي الغير بالقوة والإقامة فيها ضد إرادة أهلها⁽⁴⁾.

مستوطن: من يستولي على إقليم ليس له ويتوطن فيه، والمستوطن هو المستقر⁽⁵⁾، وقد شجعت فرنسا المستوطنين الأوروبيين على الهجرة إلى الجزائر والتوطن فيها.

اندماج: هو تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والعنصري، بين دولتين أو دول عدة حتى تتوافر لها شروط يمكن تنسيقها لمصلحتها⁽⁶⁾، وقد حاولت فرنسا إدماج المجتمع الجزائري معها لكن بشرط التخلي عن الشخصية الجزائرية.

⁽²⁾ بدوي، أحمد زكي. (1989م). معجم المصطلحات السياسية والدولية. تقديم: السفير سعد الفطاطري. القاهرة: مصر. دار الكتاب المصري. ص: 29.

⁽³⁾ العمري، أحمد سليمان. (1985م). معجم العلوم السياسية الميسر. مصر. الهيئة المصرية للكتاب. ص: 30.

⁽⁴⁾ العلوي، هادي. (1997م). قاموس الدولة والاقتصاد. بيروت: لبنان. دار الكنوز الأدبية. ص: 34.

⁽⁵⁾ العلوي. (1997م). ص: 37-38.

⁽⁶⁾ العمري. (1885م). ص: 34.

الحزب السياسي: جماعة منظّمة من المواطنين متفّقة على تنفيذ مبادئ سياسية معينة، وذلك في حال نجاح ممثليها في المجالس النيابية⁽⁷⁾.

- إشكالية البحث وتساؤلاته:

تكمن إشكالية البحث في مراحل تطور الجمعية وممارستها العمل السياسي على الرغم من أن قانونها الأساسي الذي وضعته يمنعها من الخوض في هذا المجال، إذ تركز الإشكالية على تتبع مسار الجمعية منذ تأسيسها، واختلاف آراء المؤرخين حول مؤسسها، وتتبع مسارها في النضال السياسي، والعوامل التي جعلتها تخوض فيه، والنهج الذي اتبعته في هذا المجال، وهذا الموضوع يقود إلى طرح عدد من التساؤلات وهي:

- 1- ما الظروف التي أدت إلى تأسيس جمعية العلماء ؟
- 2- ما الإسهامات التي قدمتها جمعية العلماء للمجتمع الجزائري؟ وهل حققت أهدافها ؟
- 3- لماذا دخلت جمعية العلماء غمار المسائل السياسية ؟ وهل كان البند الذي وضعته في قانونها الأساسي، وهو عدم الخوض في المسائل السياسية، حجةً لنتمكن من الحصول على الترخيص من السلطات الاستعمارية بالموافقة على تأسيسها؟
- 4- ما هو موقف السلطات الفرنسية من الجمعية قبل انخراطها في العمل مع الأحزاب السياسية الأخرى وبعد؟
- 5- ما الوسائل التي استخدمتها الجمعية في نضالها السياسي ؟ وكيف كانت علاقتها بالأحزاب الجزائرية الأخرى ؟

(7) أحمد، عطية الله. (1968م). القاموس السياسي. ط:3. القاهرة. دار النهضة العربية. ص:24.

- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة تاريخية عن حقبة مهمة من تاريخ الجزائر، وتميزت بتبلور الحركة الوطنية الجزائرية كان لها ابعاداً سياسية وكانت لها عدد من الصحف التي حددت مطالبها، ويهدف إلى تقديم دراسة عن مسار الحركة الإصلاحية وما أثمرته من جهود في توعية الشعب الجزائري في ظل جمعية العلماء المسلمين حتى نال استقلاله.

- أهمية البحث:

إن بحث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين له أهمية كبيرة وتأتي من أهمية الدور الذي أدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على كافة المستويات، وأهمها السياسي والاجتماعي، ولا سيما أن دورها في نشر الوعي الوطني في المجتمع الجزائري كان كبيراً.

- مسوّغات البحث:

تتمثل مسوّغات البحث في الرغبة في معرفة الدور الذي أدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الساحة الجزائرية، ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها في المجالات التي ناضلت في سبيلها، ومدى تقبل الشعب الجزائري لهذه الجمعية الإصلاحية، مع الرغبة في تقديم إسهام بسيط في المادة العلمية حول الموضوع.

- حدود البحث:

الموضوعي: يشمل البحث الحديث عن كيفية تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م، تحت ظل الاحتلال الفرنسي، ومعرفة الأسباب والدوافع التي جعلتها تضيف إلى برنامجها الإصلاحي محور جديد وهو المحور السياسي، ونضالها مع الأحزاب الجزائرية الأخرى للمطالبة بالحقوق المسلوبة.

الجغرافي: يشمل منطقة المغرب العربي الأوسط (الجزائر) التي تحدها من الشرق تونس وليبيا، ومن الغرب المغرب الأقصى، ومن الجنوب النيجر ومالي، وتبلغ مساحتها (2204864 كم²)⁽⁸⁾، وموضوع الدراسة يشمل نضال الجمعية السياسي في الجزائر فقط، وكان موقعها من ضمن الأسباب التي جعلت فرنسا تحتلها لأنها تُعد جسر عبور لها من أوروبا إلى مستعمراتها في إفريقيا.

الزمني: تبدأ الحقبة التي يعالجها البحث من العام 1931م، وهو العام الذي تأسست فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتنتهي في العام 1954م، وهو العام الذي انطلقت فيه الثورة الجزائرية الكبرى، التي ضمت في صفوفها معظم الأحزاب السياسية ومن بينها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تلك الأحزاب التي اوصلتها إلى الاستقلال في العام 1962م.

- الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ومن ضمنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والسبب أن مجالات الجمعية العلماء كثيرة، فنجد دراسات لها في اقسام عديدة سواء في قسم التاريخ، أو قسم اللغة العربية، أو قسم علم الاجتماع وغيرها، إلا أن أغلب هذه الدراسات أخذت مواضيع متفرعة من نشاطات الجمعية، وكل قسم درس الاختصاص الذي يشملها، لكن هذه الدراسات أهملت الجانب السياسي للجمعية، والدراسات عن هذا الجانب قليلة، ولعل السبب يكمن في احد بنود قانونها الأساسي، الذي يمنعها من الخوض في هذا المجال، ومن الدراسات التي تناولت حول هذا الموضوع:

1- بن قدموس، محمد، لعريب، رقية، قانه، خميسي.(2015م). **جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في**

مواجهة سياسة الفرنسية والادماج 1930. 1954. رسالة ماجستير. إشراف: محمود بو كسيبة. الجزائر.

جامعة بوضياف. ص:88. اعتمد الباحثون على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج الإحصائي، وتحدثوا عن

(⁸) الشريفي، إبراهيم.(1955م). الجزائر في القرن العشرين. ط:1. تونس. مطبعة الترقى. ص:11.

تأسيس الجمعية والسياسة الفرنسية في الجزائر، والوسائل التي اتخذتها الجمعية لمواجهة الفرنسية والادماج، إلا أنها لم تتطرق إلى مسار النضال السياسي للجمعية، وهو الجانب الذي ستركز عليه الدراسة في هذا البحث.

2- سراج، هدى، بن حميدة، عليمية. (2019م). العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب

الجزائري 1936-1962م (دراسة مقارنة). رسالة ماجستير. إشراف: محمد شرقي. الجزائر. جامعة قلمة.

ص: 132. شملت الرسالة دراسة مقارنة بين جمعية العلماء وحزب الشعب من حيث الأهداف والنتائج، ولكنها لم تتطرق إلى دور الجمعية السياسي، واعتمد فيها على المنهج التاريخي السردى والمقارن.

3- براهيمى، سميرة. (2018م). علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأحزاب الحركة الوطنية الجزائرية

(1930-1962م). رسالة ماجستير. إشراف: محمود بوكسيبة. الجزائر. جامعة محمد بوضياف.

ص: 116. اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الوصفي والمقارن لجمعية العلماء وبقية الأحزاب السياسية من حيث الأهداف، إلا أن النشاط السياسي للجمعية لم يُنظر إليه تطرقاً كافياً.

- منهج البحث وأدواته:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي من خلال إبراز أهم العوامل والظروف التي أسهمت في تأسيس جمعية العلماء، ومسارات نضالها السياسي ضد الاستعمار وأتباعه، وذلك اعتماداً على المصادر المتوفرة.

أما أدوات البحث فتتمثل مجموعة من المذكرات والمصادر العربية والمترجمة، وبعض المصادر الفرنسية، فضلاً عن الصحف التي أصدرتها جمعية العلماء التي عاصرت الأحداث، وقدمت معلومات كثيرة للبحث، وقد حُصل عليها من الإنترنت، وأهم هذه الأدوات:

1- مراد، علي. (2007م). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940. ترجمة: محمد يحياتن.

الطبعة: الثالثة. الجزائر. طبع في مؤسسة دار الحكمة، ويُعد من أهم المصادر التي تناولت الحركة

الإصلاحية الإسلامية في الجزائر في الحقبة المدروسة، وصدرت طبعته الأصلية باللغة الفرنسية في فرنسا في العام 1967م، بينما صدرت الطبعة الثانية بالفرنسية لكن في الجزائر في العام 1999م، عن دار الحكمة، قدم فيها معلومات مهمة عن الحركة الإصلاحية ومؤسسيها.

2- خير الدين، محمد. (1985م). مذكرات محمد خير الدين. الجزء: الأول. الجزائر. صادر عن دار دحلب للنشر. تناول حياة المؤلف الذي يُعد من أبرز مؤسسي الجمعية، وتحدث عنها بالتفصيل وعاصر الأحداث ودونها، وأغنى البحث بمعلومات كثيرة.

3- الخطيب، أحمد. (1985م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 306. الذي كتب عن الجمعية وأبرز مؤسسيها، وكتب عن نشاطها في مختلف المجالات.

4- بو الصفصاف، عبد الكريم. (1996م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945. الجزائر. المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال. ص: 584. قدم فيه المؤلف دراسة عن الجمعية ومؤسسيها ونشاطها، وأضاف إليها العلاقة بين الجمعية والأحزاب الجزائرية الأخرى، دراسة مقارنة.

5- فضلاً عن آثار البشير الإبراهيمي وله عدة أجزاء. (1997م). تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. بيروت. دار الغرب الإسلامي. تناول مآثر الشيخ الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء في اجزائه الخمسة، وقدم معلومات عن نشاط الجمعية والأحداث التي جرت والمقالات التي نشرها الإبراهيمي في الصحف الإصلاحية.

6- الصحف الإصلاحية وهي المنتقد والشهاب والسنة والصراط والبصائر وغيرها، وتُعد هذه الصحف من أهم المصادر لكونها عاصرت الأحداث ودونتها فضلاً عن أن أغلبها أصدرتها جمعية العلماء، وقد أمدت البحث بمادة علمية كبيرة.

7- بعض الكتب المهمة التي تناولت تاريخ الجزائر المعاصر ومن بينها الحركة الوطنية لأبي القاسم سعد الله بأجزائها الثلاث وغيرها.

- فصول البحث:

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، فضلاً عن قائمة الملاحق.

تناول الفصل الأول التمهيدي الأوضاع التي تعيشها الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، وعوامل تبلور الحركة الوطنية السياسية في الجزائر، والحركة الإصلاحية، وأهم الأحزاب التي ظهرت، فضلاً عن ذلك تناول العوامل التي ساعدت على تأسيس الجمعية وميلادها في العام 1931م، وبرنامجهما الإصلاحي وأهدافها.

أما الفصل الثاني فقد تناول النضال السياسي لجمعية العلماء تحت قيادة مؤسسها عبد الحميد بن باديس في العامين 1931 و 1940م، أي حتى وفاته، حيث سلط الضوء على اعتماد الجمعية النضال السياسي للوقوف في وجه التسلط الاستعماري الفرنسي، وعقد المؤتمر الإسلامي الجزائري في العام 1936م، الفريد من نوعه، مع بقية الأحزاب الأخرى، فضلاً عن موقف جمعية العلماء من تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية التي انطلقت في العام 1939م.

في حين أوضح الفصل الثالث مسار النضال السياسي لجمعية العلماء في عهد رئيسها الثاني محمد البشير الإبراهيمي بين العامين 1940 و 1954م، وتناول السياسة التي اتبعتها الجمعية وركزت عليها في نضالها، وهي سياسة التحالفات مع الأحزاب الوطنية الأخرى، وتشكيل الجبهات وتحرير البيانات، وتناول أحداث أيار في العام 1945م، وتأثيرها في نضال الجمعية، وموقف الجمعية من الإصلاحات الفرنسية، فضلاً عن ذلك موقف الجمعية من انطلاق الثورة الجزائرية الكبرى في العام 1954م.

الفصل الأول التمهيدي.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظروف تأسيسها.

أولاً: الأوضاع العامة للجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي.

1- الأوضاع السياسية.

2- الأوضاع الاقتصادية.

3- الأوضاع الاجتماعية.

4- الأوضاع الثقافية والدينية.

ثانياً: العوامل التي ساعدت على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- تبلور الحركة الوطنية الجزائرية وظهور الأحزاب السياسية.

2- ظهور الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر.

3- جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في تكوين حزب ديني يجمع شمل العلماء الجزائريين.

4- احتفال فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها للجزائر، وما رافقها من استفزازات بحق الجزائريين.

ثالثاً: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م وقانونها الأساسي.

1- اختلاف آراء المؤرخين حول المؤسس لجمعية العلماء المسلمين.

2- مرحلة التأسيس والقانون الأساسي.

رابعاً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها.

أولاً: الأوضاع العامة للجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي.

شهدت الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي لها في العام 1830م، أوضاعاً متردية على جميع الأصعدة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وبسبب شدة قبضة الاحتلال وطول مدّته استطاع أن يعزله عن بقية المجتمعات المغربية الأخرى، وأن يسلبه مقدّراته البشرية والمادية، هذه الأوضاع ساعدت على تبلور الحركة الوطنية الجزائرية، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى في العام 1914م.

1. الأوضاع السياسية.

نص المرسوم الذي أصدرته فرنسا في العام 1834م، على أن الجزائر هي جزء من البلاد الفرنسية، إلا أنها لم تعمل به، بل أخذت بتنظيم سير القطر الجزائري بحسب ما يقتضيه الحكم الاستبدادي، فخالفت بين نظام الحكم في فرنسا وبين الجزائر، بسبب اختلاف الدين والحالة الاجتماعية بين كل من فرنسا والجزائر، وفي حقيقة الأمر هو يعبر عن سياسة فرنسا العنصرية التي اتبعتها ضد الجزائر، وهو الذي اسهم في اصدار القانون العام 1860م، الذي نص على تقسيم الجزائر إلى اقليمين عسكري ومدني، وجعلت الإقليم الشمالي هو المدني، وقسمته إلى ثلاث مقاطعات: الجزائر، وهران، قسنطينة، اما الإقليم الجنوبي فقسمته إلى أربع مناطق تحت تصرف الإدارة العسكرية التي يشرف عليها الحاكم العام المدني⁽⁹⁾.

كانت السياسة الفرنسية في الجزائر تهدف منذ الاحتلال إلى جعل الجزائر أرضاً فرنسية بكل ما يحمله ذلك من أبعاد، وطمس تاريخها وشخصيتها الوطنية وإزالتها من الحسبان، وقهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تنزعج منها فرنسا في الجزائر، واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف⁽¹⁰⁾.

⁽⁹⁾ الجيلاي، عبد الرحمن. (1983م). تاريخ الجزائر العام. خمسة أجزاء. ج: 4. ط: 6. بيروت. دار الثقافة. ص: 327.

⁽¹⁰⁾ بوجمعة، أكرم. (2016م). أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين. مجلة كلية التربية الإسلامية للعلوم التربوية والإنسانية. العدد: 28. ص: 164. جامعة بابل.

من أجل تحقيق هذه الأهداف سنت الإدارة الفرنسية مجموعة من القوانين الجائرة بحق الجزائريين، التي صبت في مصلحة المستوطنين الذين سعت فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر إلى تشجيعهم على الاستيطان فيها وتقديم الامتيازات لهم، واتبعت سياسة التجنيس والإندماج ضمن شروط معينة من خلال القوانين التي أصدرتها.

ومن بين هذه القوانين والأكثر خطورة على الشعب الجزائري قانون الأهالي أو الأندجينا (Code de l'Indigenat)¹¹ الذي صدر في العام 1881م، - والمقصود بالأهالي هم السكان الأصليون بالنسبة إلى الفرنسيين - تضمن مجموعة من النصوص القانونية الاستثنائية، والإجراءات القمعية على الشعب الجزائري لإحكام قبضتها على رقاب الجزائريين، وقد استمر العمل بهذا القانون حتى العام 1944م⁽¹²⁾.

لم تكتف فرنسا بهذه القوانين بل أصدرت في العام 1912م، قانون التجنيد الإجباري، أي تجنيد الأهالي في الجيش الفرنسي قصراً، مع عدم المساواة بينهم وبين الجندي الفرنسي في الحقوق الطبيعية للجندي الفرنسي من مرتبات وألقاب ورتب وجرايات وغيرها....⁽¹³⁾، وأثار هذا القانون سخطاً عظيماً في كافة أنحاء البلاد، وتصدى له الجزائريون وفي مقدمتهم العلماء، لأنه يجبرهم على الدفاع عن دولة تستعمرهم، دون الاعتراف بأي حق من حقوقهم، بل ويضع المسلمين في مواجهة مسلحة مع بعضهم البعض في سبيل دولة غير مسلمة، فحاولوا إلغاء القانون أو التخفيف من طغيانه بالتظاهر والتصادم مع الشرطة، واعتصام عدد منهم في الجبال، أو بهجرة الآلاف منهم إلى

¹¹ قانون الأهالي: صدر في العام 1881م، وشمل مجموعة من النصوص الاستثنائية والإجراءات القمعية بحق الشعب الجزائري، وتضمن 27 مخالفة يعاقب عليها القضاء العادي ولا ينطبق إلا على الجزائريين وزيدت بعد أشهر 33 مخالفة من بينها: يحق لسلطة الإدارة والحاكم العام توقيع العقوبات على الجزائريين خارج السلطة القضائية، والأخذ بالمسؤولية الجماعية فتعاقب القبيلة أو الحي بمخالفة تقع بإقليمها فضلاً عن السجن والتغريم والمصادرة لمن لا يستجيب لاستدعاءات الشرطة والتأخر عن دفع الضرائب والتلفظ بعبارات غير لائقة بفرنسا، وفتح مدرسة أو زاوية أو مسجد بلا رخصة وغيرها. للمزيد راجع: بلاح. (2006م) جزءان. ج:1. ص:234.233.

⁽¹²⁾ بلاح. (2006م) ج:1. ص:234.235.

⁽¹³⁾ الجيلالي. (1983م) ج:4. ص:330.

المشرق العربي فراراً من التجنيد، لكن في النهاية غلبوا على أمرهم، واقتيد الآلاف من الشبان رغماً عنهم ليلقوا حتفهم تحت علم فرنسا في إفريقيا وأوروبا وآسيا خلال الحرب العالمية الأولى⁽¹⁴⁾.

وبعد اندلاع الحرب طبقت فرنسا قانون الأحكام العرفية على الجزائر، وشدت الخناق على أي حركة سياسية من جهة، ومن جهة أخرى جندت أبناء الجزائر وأموالها للمشاركة في الحرب لصالحها⁽¹⁵⁾ فقد شارك أكثر من نصف مليون جزائري كجنود في الحرب، أو كعمال في المعامل الفرنسية، مما ترتب عليهم خسائر فادحة⁽¹⁶⁾، ومجمل القول أن ما أصدرته فرنسا من قوانين أصبح شوكة في حلق الجزائريين الذين كانوا يعانون الكثير من سياسة فرنسا التعسفية، مما فرض عليهم إعادة ترتيب حساباتهم، والسعي لتغييرها أو على الأقل التخفيف من وطئتها.

2. الأوضاع الاقتصادية.

سعى المستعمر الفرنسي إلى استغلال الجزائر على أكمل وجه كي يتمكن من السيطرة على الأرض أولاً، لذلك اخذ بتحويل الإنتاج الزراعي من إنتاج لسد احتياجات الشعب إلى إنتاج للتصدير لسد احتياجات السوق الفرنسية، وكان لا بد له ثانياً من أن يحول فلاحي الجزائر إلى عمال تمهيداً لقيام العلاقات الرأسمالية، وكان لابد أخيراً من تكوين طبقة ملاك شبه إقطاعيين وشبه رأسماليين يملكون الأرض، يقومون من جانب بالإشراف على إنتاج السلع التجارية اللازمة للسوق الفرنسي، ومن جانب آخر يقومون بشراء السلع الصناعية الفرنسية، والهدف هو ترسيخ وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر⁽¹⁷⁾.

⁽¹⁴⁾ بلاح. (2006م). ج:1، ص:238.

⁽¹⁵⁾ بن العقون، عبد الرحمن. (1984م). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936م. ثلاثة أجزاء. ج:1. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص:61.

⁽¹⁶⁾ فرحات، ع. (2004م). ليل الاستعمار. ترجمة: أبو بكر رجال. الجزائر. دار القصة. ص:85.

⁽¹⁷⁾ الصديق، محمد الصالح. (1999م). الجزائر بلد التحدي والصمود. الجزائر. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. ص:76.

ونتيجة لما سبق كان لا بد للسلطات الفرنسية لتحقيق أهدافها من مصادرة أراضي شاسعة، ووطنت فيها المهاجرين الأوروبيين في الجزائر⁽¹⁸⁾ بالاعتماد على قرارات القادة العسكريين الفرنسيين ومراسيم السلطات الاستعمارية، فأباحت اغتصاب تلك الأراضي بحجة مشاركة أصحابها في الانتفاضات الشعبية المختلفة، وبالتالي تسليمها بالمجان للمستوطنين الأوروبيين⁽¹⁹⁾.

وتوالت القوانين التي زادت من ملكية السلطات الفرنسية للأراضي في الجزائر⁽²⁰⁾، حتى بلغت الأراضي التي استولى عليها قبل العام 1870م، نحو 600 ألف هكتار، وكان العامان 1870 و1871م، حاسمين في هذا المجال لأن السلطات الفرنسية أطلقت أيدي المستوطنين في الجزائر، فضلاً عن أن هزيمة فرنسا أمام بروسيا في العام 1870م، كانت سبباً في نزوح أعداد كبيرة من سكان الألزاس واللورين، فعمدت فرنسا إلى التشدد في نزع الأراضي وإعطائها لهم، فوهبتهم 100 ألف هكتار وبنّت لهم 200 قرية⁽²¹⁾.

وقد أُتيح لهم ذلك بواسطة جملة من القرارات والمراسيم والقوانين كان أهمها مرسوم العام 1871م، الذي نص على مصادرة ممتلكات القبائل النائرة، ومنح 100 ألف هكتار للنازحين من الألزاس واللورين، وقانون فارنييه (La loi Varnier)، المعروف بقانون المستوطنين الذي صدر في العام 1873م، ونص على إخضاع قانون الملكية العقارية في الجزائر للقانون الفرنسي، وإلغاء جميع القوانين العقارية القائمة على الشريعة الإسلامية أو العرف المحلي نهائياً، وتقسيم الأراضي الجماعية المملوكة للقبائل والعائلات على الأفراد، وإعادة التأكيد على حيابة الجزائريين عقود ملكية للاعتراف لهم بملكيّتها، فضلاً عن بعض القوانين التي تخص الغابات، ومنع الجزائريين من استغلالها، وغير ذلك من القوانين التي أدت إلى ارتفاع مساحة الأراضي الزراعية التي تم منحها للمستوطنين⁽²²⁾.

⁽¹⁸⁾ بوجمعة. (2016م). ص: 165.

⁽¹⁹⁾ الزبيري، العربي. (1999م). تاريخ الجزائر المعاصر. جزءان. ج: 1. دمشق. اتحاد الكتاب العرب. ص: 17.

⁽²⁰⁾ الصديق. (1999م). ص: 78.

⁽²¹⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 248.

⁽²²⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 248-249.

لم تكتف سلطات الاحتلال بنزع الأراضي بل سعت إلى تجويع الشعب الجزائري بالسيطرة على زراعته وصناعته، فعمدت على زراعه بعض المنتجات الزراعية التي لم يكن الفلاح الجزائري يزرعها مثل زراعة الكروم في المناطق الساحلية الخصبة، ونقلت فرنسا زراعتها بمساحات شاسعة إلى الجزائر بعد تعرض كرومها لمرض الفيلوكسيرا(Phylloxera)²³ في العام 1880م، مما أضر بصناعة الخمر لذلك لجأت الإدارة الفرنسية إلى تشجيع المستوطنين على زراعة الكروم في الجزائر بهدف تأمين احتياجاتها من الخمر، بالمقابل مما أضر بزراعة الحبوب التي تمثل الغذاء الأساسي للجزائريين إذ أصبحت زراعته في الدرجة الثانية بعد زراعة الكروم⁽²⁴⁾.

لقد كان لاتباع فرنسا سياسة اقتصادية زراعية تخدم من خلالها مصلحتها الاقتصادية أن زادت من زراعة الكروم لإنتاج العنب من أجل تغذية صناعة الخمر، وترتب على ذلك سيطرتها على المزيد من الأراضي لتحقيق هذا الهدف الذي كان له عواقب كثيرة مثل طرد الجزائريين إلى الأراضي البور والأقل خصوبة، وتراجع زراعة الحبوب – المصدر الأساسي لغذاء الشعب الجزائري- لصالح زراعة الكروم⁽²⁵⁾، واتساع رقعة الزراعات التصديرية التجارية لحساب الاقتصاد الفرنسي وليس الجزائري ، وتحول الجزائر إلى إحدى أهم كبار الدول المنتجة والمصدرة للخمر، وارتباط الزراعة الجزائرية بالاقتصاد الفرنسي في الإنتاج والتصدير ، وترتب على ذلك بروز قطاعين زراعيين أحدهما تقليدي ضعيف يشرف عليه الجزائريون في المناطق الداخلية الفقيرة، والثاني حديث متطور بإشراف المستوطنين في الجهات الساحلية الخصبة الغنية⁽²⁶⁾.

خلاصة القول: إن المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي كان يعيش حالة من الفقر والجوع بسبب السياسة الاقتصادية التي اتبعتها سلطات الاحتلال في السيطرة على الزراعة واحتكار الصناعة والتجارة حسب

²³ نوع حشري صغير الحجم يصعب رؤيتها تسبب اضرار كبيرة على الكرمة إذ تتغذى على جذورها مما يؤدي إلى تعفن الجذور وموت جزء كبير منها.

للمزيد يمكن الرجوع إلى: تاريخ الاسترجاع 2023/6/16 <https://ar.m.wikipedia.org> .

⁽²⁴⁾ بوجمعة.(2016م). ص:166.

⁽²⁵⁾ بوجمعة.(2016م). ص: 166.

⁽²⁶⁾ بلاح.(2006م). ج:1. ص:256.

متطلبات الاقتصاد الفرنسي ، فضلاً عن انتزاع الأراضي وتوسيع الاستيطان الأوروبي، فتحول أغلبية الشعب الجزائري من ملاك أراضي إلى عمال لدى المستوطنون بأجور رخيصة، وساعات عمل طويلة، وازدياد نسبة البطالة، فضلاً عن هجرة كثير من الجزائريين خارج بلادهم.

3. الأوضاع الاجتماعية.

عمدت فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر على ضرب البنى الاجتماعية والثقافية في الجزائر باختراق ثقافة وفكر ولغة الانسان الجزائري، لكي تخلق مجتمعاً جديداً تابعاً لها بكل مكوناته يعيش فيه المستوطنون، بالمقابل خلق مجتمع جزائري فقير مفكك يعتريه الجهل من خلال ضرب المؤسسات التعليمية، ومنع التدريس سواء في المدارس أو المساجد، ومن أجل تطبيق هذه السياسة ونجاحها اتخذت مجموعة من الإجراءات كان ضحيتها الشعب الجزائري.

كانت الجزائر تضم عند غزو الفرنسيين أملاكاً متنوعة وكثيرة، وكان بعضها للدولة، وبعضها للأوقاف، وبعضها للأفراد، ومنذ الغزو لم ينتظر الفرنسيون مصير هذه الأملاك بل أخذوا يتصرفون فيها كما لو كانت ملكاً لهم وطبقاً لقوانينهم⁽²⁷⁾، وكان أغلبية الضباط الفرنسيين عند الاحتلال يرون أنه يجب حكم الجزائريين بالقوة والترهيب، وأن الغزوات ضد القبائل التي تقاوم الاحتلال (المشاغبة) وحتى القضاء عليها نهائياً الوسيلة الفعالة لمحاربة العرب⁽²⁸⁾، وساروا على هذه السياسة، وقد حصلت الإدارة على الأراضي بالاستيلاء على الأملاك⁽²⁹⁾، إذ عملت على تشجيع هجرة الأوروبيين إلى الجزائر ولبلوغ هذه الغاية عمدت إلى توزيع الأراضي على المستوطنين والشركات، وتقديم القروض بأيسر الشروط، وبنت المرافق الضرورية للاستيطان كالمساكن والمستوطنات⁽³⁰⁾.

(27) سعد الله، أبو القاسم. (1992م). الحركة الوطنية الجزائرية 1900.1830م. ثلاث أجزاء. ج:1. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص:72.

(28) قداش، م. (2008م). جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر المعاصر 1954.1830م. ترجمة: محمد المعراجي. الجزائر. المؤسسة الوطنية للاتصال. منشورات NAEP. ص:28.

(29) أجريون. ش. (1982م). تاريخ الجزائر المعاصرة. ترجمة: عيسى عصفور. بيروت. منشورات عويدات. ص:4241.

(30) بلاح. (2006م). ج:1. ص:156.155.

الواقع إن هناك هدفين من مصادرة الأملاك؛ الأول سياسي، والثاني اقتصادي، أمّا السياسي فهو خوف الفرنسيين من أن إبقاء المسلمين على أملاكهم وخصوصاً أملاك الأوقاف³¹ سيجعل من وكلائها وعلمائها ومفتيها زعماء دينيين سياسيين معارضين للوجود الفرنسي، والاقتصادي هو بقاء تلك الأملاك في أيدي المسلمين سيبقيهم أغنياء ومستغنين عن السلطة الجديدة ولن يحصل المستوطنون الفرنسيون على طريقة لشراء الأملاك والاستقرار في الجزائر⁽³²⁾.

لذلك عملت على تفكيك المجتمع الجزائري بالنفي والتهجير والتجهيل، ولاسيما بإضرار نار الفتنة بين القبائل العربية، وتشجيع استهلاك الخمر، وتجنيس فئة من الجزائريين الذين تتوفر فيهم بعض الشروط النادرة كالخدمة في الجيش الفرنسي أو الإدارة، فضلاً عن القراءة والكتابة بالفرنسية، وحياسة بعض الممتلكات مع التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية⁽³³⁾، ومن أبرز المساوئ الاجتماعية التي عاناها المجتمع الجزائري هو ادخال الفرنسيين عاداتهم وتقاليدهم إلى الجزائر بشكل متسارع لم يتمكن الجزائريين من استيعابها، فأصبحت تحتوي على بيوت الدعارة والمقاهي والأماسي الموسيقية والمراقص والألعاب والمرطبات والمنتجات الغذائية للسهرات والمآدب والكحوليات والمشروبات... الخ⁽³⁴⁾.

حتى الأماكن العامة والساحات لم تسلم من أيدي الاحتلال فقد شنوا حرباً حتى على أسماء الشوارع والمدن في الجزائر، فحولوها إلى أسماء علماء وأدباء وفلاسفة وضباط فرنسيين⁽³⁵⁾، وأصبحت هذه الأسماء متداولة منذ

³¹ أملاك الأوقاف: وتشمل سبة أنواع وهي أضخم وأخطر الأملاك وانواعها :أوقاف مكة والمدينة(اكثرها واغناها)، وأوقاف المساجد، وأوقاف الاندلس، وأوقاف الأشراف، وأوقاف الانتشارية، وأوقاف الطرق العامة، وأوقاف عيون الماء. وقد استولى عليها الفرنسيون منذ بداية الاحتلال. للمزيد راجع: سعد الله. (1992م). ج:1. ص:73.

⁽³²⁾ سعد الله. (1992م). ج:1. ص:76.

⁽³³⁾ بلاح. (2006م). ج:1. ص:157.156.

⁽³⁴⁾ سعد الله. (1992م). ج:1. ص:71.

⁽³⁵⁾ الصديق. (1999م). ص:98.

1832.1833م³⁶، أي منذ بدايات الاحتلال⁽³⁷⁾، ولم يمض على الاحتلال سوى عدد من السنوات حتى أصبحت معظم المدن الجزائرية تعاني من تراكم الاوساخ، فانتشرت الأمراض، كما انتشر الغش والمضاربات والفوضى، وانعدام الأمن⁽³⁸⁾، مما أدى إلى حالة من البؤس الفظيع عاشها الشعب الجزائري، وعن طريق هذه السياسة حقق الاستعمار غرضاً من أغراضه طالما حلم به غزاة الجزائر وصرح به وزير الدفاع الفرنسي بيرفار (Bearvar) في البرلمان عام 1832م، بقوله: "يجب أن ندخل بالحسبان كل شيء حتى إبادة السكان المحليين فربما كان الهدم والحرق وتخريب الزراعة هي الوسائل الوحيدة لتثبيت سيطرتنا في الجزائر"⁽³⁹⁾.

نتيجة لانتهاج فرنسا هذه السياسة انتشر الفقر بين أفراد المجتمع الجزائري، فلجأ الناس إلى الأرياف والأماكن الفقيرة وبنو الأكواخ - من الأغصان والأحجار اليابسة والطوب، والمغطاة بالقصب أو قش السقوف - وقد عانى صغار ومتوسطي الملاكين الكثير من الاستعمار، فبعد أن خسروا أراضيهم وأبعدوا عنها لم يعد بإمكانهم تأمين قوت يومهم، مما دفعهم للعمل في اقطاعات المستوطنين بأجور زهيدة من أجل كسب قوت يومهم فاصبحوا اشباه عبيد في أراضٍ كانت ملكهم سابقاً⁽⁴⁰⁾.

قامت السياسة الاستعمارية بتغريب الجزائريين وهم على أرضهم بمحاصرتهم في الأحياء الشعبية العتيقة وحرمانهم من الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين⁽⁴¹⁾، وكان من نتيجة سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض لها الأهالي أن ازدادت أوضاعهم الاجتماعية سوءاً، كانتشار البطالة، وارتفاع نسبة الإجرام وتقشي الآفات الاجتماعية وغلاء المعيشة وزيادة المجاعة، وسيادة الانحلال الأخلاقي، وحتى المعايير الأخلاقية تغيرت، فالرجولة تجسدت في

³⁶ إن تغيير المعالم للمدن وتغيير أسماء الساحات وأسماء الشوارع بأسماء رومانية وأوروبية ودينية مسيحية ما هو إلا استمرار فرنسا في تحقيق هدفها المنشود وهو جعل الجزائر أرض فرنسية ليس على حساب شعبها فقط بل على حساب معالمها الحضارية وأسماء شوارعها وساحاتها.

⁽³⁷⁾ سعد الله. (1992م). ج:1. ص:70.

⁽³⁸⁾ سعد الله. (1992م). ج:1. ص:78.

⁽³⁹⁾ الصديق. (1999م). ص:81.

⁽⁴⁰⁾ قداش. (2008م). ص:229.

⁽⁴¹⁾ مريوش، أحمد. (2007م). الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر. دارهومة. ص:113.

شارب الخمر وقاطع الطريق، وعدّ كل من يتعرض لمومس جانبياً، ويحاكم أمام العدالة لأن ذلك يُعد اعتداء على الحرية⁽⁴²⁾.

عانى المجتمع الجزائري من السياسة التي اتبعتها فرنسا في الجزائر نتيجة القمع وانتزاع الأراضي والأموال، واتباع سياسة الأرض المحروقة، وتطور الأسلحة لديها واستخدامها ضد القبائل الثائرة، ولم يكن بوسع الجزائريين التصدي لهذا التعسف لذلك لجأ أغلبهم إلى العمل لدى المستوطنين، أو الهجرة إلى دول الجوار، أو دول المشرق العربي وحتى إلى فرنسا خصوصاً في أثناء الحرب العالمية الأولى بعد فرض قانون التجنيد.

4. الأوضاع الثقافية والدينية.

عملت فرنسا منذ احتلالها للجزائر على خلق مجتمع جديد ليملأ مكان المجتمع الجزائري لذلك قامت بسلب مقدراته المادية والبشرية ومحاربته في فكره ولغته ودينه، وبدأت بانتزاع املاكه ، وتغيير معالم مدّنه، وإدخال عادات وتقاليد جديدة على المجتمع الجزائري وغريبه عنه، ولكن كان أشدها تجويع الجزائريين من أجل تنفيذ سياسة التبشير، ومحاربة كل ما له صلة بالتعليم العربي واللغة العربية من أجل إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية.

لم تكن الأمية سائدة بشكل كبير في الأوساط الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي ففي العام 1830م، كان هناك 3 آلاف من الكتاتيب (المدارس القرآنية)، وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة الدينية الصالحة⁽⁴³⁾. وكان التعليم عربياً إسلامياً يقوم في مرحلته الابتدائية على تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن وتلاوته في الكتاتيب والزوايا، وتضمنت مرحلته الثانوية والعليا تدريس العلوم النقليّة وهي: الفقه وأصوله، وعلوم القرآن والحديث، والعلوم العقلية مثل النحو والبلاغة والمنطق والفلسفة والتاريخ... إلخ، واحتضنته المدارس العليا والمساجد

⁽⁴²⁾ مريوش. (2007م). ص: 115.114.

⁽⁴³⁾ المدني، أحمد توفيق. (1956م). هذه هي الجزائر. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ص: 139.

الكبرى والزوايا المشهورة في العاصمة وقسنطينة وبجاية وتلمسان ومازونة وبلاد القبائل وإقليم مزاب على وجه الخصوص⁽⁴⁴⁾.

بالرغم من التصريح الرسمي لقادة الاحتلال الذي أكدوا فيه احترام الدين الإسلامي وشعائره، فإن الحكومات الفرنسية المتوالية خرقت هذا العهد فاستخفت بشعائر الدين⁽⁴⁵⁾، وحطمت الكتاتيب القرآنية وحرمت التعليم في معظم المساجد التي دمر أكثرها⁴⁶، وهدمت الزوايا وحاربت المدرسين ورجال الإصلاح⁽⁴⁷⁾ فسياسة التجهيل كانت إلى جانب سياسة التفتير شعار الاستعمار الفرنسي الذي سارت عليه، والحكومة تجاهلت قضية التعليم ولم تكن مشغولة إلا بفناء العنصر الجزائري وتحطيم مقوماته⁽⁴⁸⁾ من خلال الاستيلاء على الأوقاف الخيرية التي كانت تشكل ثروة شعبية هائلة بالرغم من كونها غير قابلة من الوجهة القانونية والدينية للانتقال⁽⁴⁹⁾ والأوقاف مؤسسات ومشاريع خيرية كان الهدف من إنشائها تحسين حال الفقراء وتخفيف أوجاعهم⁽⁵⁰⁾.

من الناحية الثقافية تمتع المستوطنون وحدهم بنظام التعليم الذي صار مجانياً وإجبارياً في فرنسا منذ العام 1884م ولم يُتَح إلا لعدد قليل من الجزائريين الالتحاق بالمدارس الرسمية⁽⁵¹⁾ لذلك نجد أن الإدارة الفرنسية لم تهتم بتطوير تعليم الجزائريين، ولذا انتشرت الأمية انتشاراً كبيراً في أوساط الأطفال الجزائريين، وظلت مرتفعة بنسبة رهيبية في مطلع القرن العشرين، ويعود ذلك إلى السياسة التعليمية التي اتبعتها سلطات الاستعمار بعدم تخصيص ميزانية

⁽⁴⁴⁾ بلاح. (2006م). ج:1. ص:148.147.

⁽⁴⁵⁾ الصديق. (1999م). ص:9291.

⁴⁶ حسب قول المدني فقد كان في مدينة الجزائر وحدها قبل الاحتلال 112 مسجداً، لم يبق منها إلا 5 مساجد فقط، أما الباقي فقد دمرته سلطات

الاحتلال. للمزيد راجع: المدني. (1965م). ص:140.

⁽⁴⁷⁾ الصديق. (1999م). ص:92.

⁽⁴⁸⁾ المدني. (1956م). ص:140.

⁽⁴⁹⁾ الصديق. (1999م). ص:87.

⁽⁵⁰⁾ خوجة، ح. (1972م). المرأة. ترجمة: محمد بن عبدالكريم. بيروت. دار مكتبة الحياة. ص:236.

⁽⁵¹⁾ العقاد، صلاح. (1963.1964م). الجزائر المعاصرة. الجزائر. معهد الدراسات العربية العليا. ص:12.

لتحسين وضع الجزائريين التعليمي، كما رفض المستوطنون بدورهم تعليم الجزائريين بدعوى أنهم غير قابلين للتعلم والتحضر⁽⁵²⁾.

في الحقيقة كانت الجزائر المثال في مضمار التعرض لمشاريع طمس الهوية والشخصية التاريخية، كما يوضح المؤرخ المصري محمد فريد (1868-1919م)، خلال زيارته للجزائر في العام 1901م، عندما كتب عن حركة التعليم: "هجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب، وصارت الديار مرتعاً للجهل والجهلاء، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران والجزائر وقسنطينة وغيرها"⁽⁵³⁾.

وأضاف أيضاً: "أن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جداً ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما لن تدرس العربية بالمرّة مع مضي الزمن فلا الحكومة تسعى في حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس"⁽⁵⁴⁾. وقد أصدرت الحكومة الفرنسية قانون في العام 1904م، الذي يقضي بحرمان المسلم من فتح أو تولي إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية إلا بترخيص من عامل المنطقة وقائد الفيلق العسكري ومن يخالف يُعد مسؤولاً أمام القانون، ويعاقب بالسجن أو الغرامة، أو بكلتا العقوبتين، وكانت المدارس والكتاتيب عرضة لغرامات واستفزازات البوليس، بل إن تدريس اللغة العربية⁵⁵ يكفي أن يكون سبباً قانونياً لإغلاق المدرسة في الجزائر⁽⁵⁶⁾.

لم يكن الوضع الديني أفضل حالاً من الوضع التعليمي على الرغم من أن التعليم كان مرتبطاً بالمؤسسات الدينية، فمن الوهلة الأولى للاحتلال سيطرت فرنسا على كل ما له علاقة بالمؤسسات الدينية، وتعليل ذلك أن

⁽⁵²⁾ بوجمعة. (2016م). ص: 171.

⁽⁵³⁾ مالكي، محمد. (1993م). الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: 146.

⁽⁵⁴⁾ مالكي. (1993م). ص: 146.

⁵⁵ لقد كانت ممارسات السياسة الفرنسية تقوم على محاربة اللغة العربية، واضطهاد العلماء، وفرض اللغة الفرنسية على الأهالي، وتكوين صورة بأن اللغة العربية هي لغة أجنبية عن البلاد من أجل تحقيق هدفها المنشود وهو جعل الجزائر فرنسية.

⁽⁵⁶⁾ الصديق. (1999م). ص: 93.

الأسباب التي دعت فرنسا إلى غزو الجزائر هي دعواها إنقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي (القرصنة) الجزائريين، والقضاء على (القرصنة) أي الجزائر - بحسب تعبيرهم - وإن العامل الديني نلمسه من الدور الذي قدمه رجال الدين في الحملة⁽⁵⁷⁾ .

وفي مذكرة أرسلها أحد الفرنسيين وهو الكاردينال لافيغري (La-vijerie)⁵⁸، إلى الإدارة الفرنسية جاء فيها: "علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرانه هكذا، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير المبادئ التي شب عليها أجدادهم، فإن من واجب فرنسا تعليمهم الانجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"⁽⁵⁹⁾.

جرت محاولات عدة للتبشير بالدين المسيحي في الجزائر بين العامين 1830 و 1838م، وهو العام الذي أسست فيه أول أسقفية في الجزائر في 8 آب من العام نفسه، بأمر من الملك الفرنسي، وعُيّن الأسقف أنطوان ديببش (Dupuch) رئيساً لها، على إثر ذلك قاموا بتحويل المسجد الحنفي إلى كنيسة تدعيماً لها⁽⁶⁰⁾.

بعد ان سيطرت فرنسا على أملاك الأوقاف حولت معظم المساجد إلى كنائس، وهناك مساجد وزوايا أعطيت لمصالح عسكرية⁽⁶¹⁾، وإن استيلاءهم على هذه المساجد وجعلها مستشفيات عسكرية ومخازن للجيش لا يسوّغه إلا

⁽⁵⁷⁾ بقطاش، خديجة. (د. ت.). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م. الجزائر. دار دحلب. ص: 17.

⁵⁸ وهو أحد المؤسسين الأوائل لحركة التبشير في الجزائر حيث استلم رئيس أسقفية الجزائر في أواخر العام 1866م، وكان توليه لمنصب الأسقفية يرمي إلى ابعاد دينية وسياسية في نفس الوقت، وقد كان الإسلام والقرآن . في نظره . أشدّ عدو للمسيحية وأن من واجبه محاربتها. استغل المجاعة وانتشار مرض الكوليرا التي حدثت في العام 1867-1868م ليفتح باب التبشير على مصراعيه بحيث استغل وضع الكثير من المرضى والجوعا وخصوصاً الأطفال فأنقذهم من الهلاك باسم الصليب وفرنسا وجمع حوالي 1800 طفل بين مشرد ومريض ووزعهم على المراكز التي انشأها في مختلف مناطق الجزائر قصد معالجتهم وتنصيرهم. للمزيد راجع: بقطاش. (د. ت.). ص: 110. 111. 112.

⁽⁵⁹⁾ الصديق. (1999م). ص: 85.

⁽⁶⁰⁾ بقطاش. (د. ت.). ص: 52. 52.

⁽⁶¹⁾ سعد الله. (1992م). ج: 1. ص: 83. 82.

الاستهتار بالدين الإسلامي الذي وافقوا على احترامه وحماية أهله بداية الاحتلال، ولا يقره إلا التعصب الديني الأعمى الذي يهدف إلى جرح المسلمين بمقدساتهم⁽⁶²⁾.

وصل استهتار فرنسا بالدين الإسلامي إلى درجة تعيينها رجال الإفتاء وأئمة المساجد، وقراء القرآن وإعطائهم أجورهم من الخزينة الفرنسية، شريطة أن يستلموا وظائفهم إلا إذا قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه، ولا يبقون فيها إلا إذا استمروا في إرضائه، وقال أحد كبار موظفي الولاية العامة في الجزائر وهو مسيو برك (Berke)، في مقال نشر بعد موته جاء فيه: " لقد وصل بنا امتهان الدين الإسلامي واحتقاره، إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الامام، إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي ترقية، إلا إذا أظهر للإدارة الفرنسية اخلاصاً منقطع النظير "⁽⁶³⁾.

كان لتعيين الموظفين الدينيين أثراً سلبياً في تقوى المسلمين إذ كانوا يشعرون بفراغ مساجدهم من الشعب الكافي للمواعظ الدينية، لأن الائمة الذين عُيّنوا من قبل الإدارة لا يتجاوز عددهم 150 إماماً في العام 1900م، وقد اقتصرتهم مهامهم على أداء الفرائض الدينية فقط، وتعليم الطقوس التي لا روح فيها ولا غايه من ورائها مما أدى إلى تفشي البدع والخرافات في أوساط المسلمين⁽⁶⁴⁾ وفي 27 كانون الأول من العام 1907م، أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوماً بفصل الدين عن الدولة، وطبق على جميع الأديان ما عدا الدين الإسلامي، فقد ظل تحت سلطة الحكومة وسيطرتها إلى آخر أيام الوجود الفرنسي بالجزائر⁽⁶⁵⁾.

تركزت الطرق الصوفية أثراً واضحاً على الحياة الدينية للمجتمع الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي على أكثر من صعيد، الأول إيجابي ويتمثل في نشر الثقافة العربية الإسلامية وتعليم القرآن الكريم، ومساعدة المحرومين، وحل

⁽⁶²⁾ سعد الله. (1992م). ج:1. ص: 68.

⁽⁶³⁾ المدني. (1956م). ص: 148.

⁽⁶⁴⁾ بو جمعة. (2016م). ص: 172.

⁽⁶⁵⁾ الجيلالي. (1983م). ج:4. ص: 329.

النزاعات بين العشائر، وقد قام عدد من رجالها بمقاومة الاحتلال الفرنسي، أما الدور الثاني فقد كان سلبياً يتمثل في الانحراف عن مبادئها الأولى فانتشرت البدع في أوساطها والخرافات وتقديس القبور والطواف حولها والذبح عندها⁽⁶⁶⁾.

فضلاً عن ذلك كان لبعض رجالها مواقف متخاذلة تجاه الاستعمار، فمن أجل الحصول على بعض المناصب لدى الإدارة سيطرت هذه الطرق على عقول أتباعها ومريديها، ونشرت بينهم الكسل والتواكل، وأسهمت في كسر همهم في مقاومة الاحتلال، وكانت الحجة أن ترسخ في العقول فكرة أن وجود الفرنسيين في الجزائر هو من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه، وأن طاعته هي طاعة لولي الأمر، وبهذه الروح المتخاذلة كانت بعض الطرق سبباً في إطالة مدة الاستعمار في البلاد من جهة، وتفرق صفوف الأمة وضلالها في الدين والدنيا من جهة أخرى⁽⁶⁷⁾.

هذه الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ضل الاحتلال الفرنسي كانت الدافع الأقوى في تبلور الحركة الوطنية الجزائرية من خلال السعي إلى تغييرها أو التخفيف من وطئتها.

ثانياً: العوامل التي ساعدت على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قبل الحديث عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م، لابد من تسليط الضوء على العوامل والظروف التي ساعدت على تأسيسها، وهي عديدة وأبرزها:

1- تبلور الحركة الوطنية الجزائرية وظهور الأحزاب السياسية.

عكست الأوضاع المتردية في ضل الاحتلال الفرنسي حالة الشعب الجزائري الذي وجد نفسه أمام مستعمر اتخذ من سياسة القمع الوسيلة الوحيدة لتثبيت حكمه طوال القرن التاسع عشر، لكن وبالرغم من شدة قبضة الاستعمار، وخصوصاً من الناحية العسكرية، ظل الشعب الجزائري يبحث عن حلول للاستمرار بالمقاومة، والتخلص

⁽⁶⁶⁾ حميداتو، مصطفى محمد. (1997م). عيد الحميد بن باديس وجهوده التربوية. قطر. وزارة الأوقاف الإسلامية. ص: 51.50.

⁽⁶⁷⁾ حميداتو. (1997م). ص: 51.

من هذه الأوضاع المتردية، ولم يكن أمامه إلا اللجوء إلى إيجاد حل بديل عن المقاومة العسكرية، ومع استمرار رفض الجزائريين لسياسة فرنسا التعسفية وجد الجزائريون في المقاومة السياسية الحل البديل للمقاومة العسكرية، لعلهم يصلون إلى تحقيق أهدافهم، تلك المقاومة التي ظهرت نتيجة لتأثيرات خارجية وداخلية، وتبلورت معالمها في مطلع القرن العشرين.

كان للجوء الجزائريين إلى المقاومة السياسية أسباب عدة منها: إخفاق الثورات السابقة الذي أظهر ضعف الحركة الوطنية الجزائرية، والإجراءات التعسفية التي استعملتها فرنسا لوقف الثورات، وظهور النخبة⁶⁸ التي أعطت محتويات جديدة للحركة الوطنية الجزائرية، فضلاً عن ظهور إيديولوجيات جديدة على المسرح العالمي مثل الجامعة الإسلامية⁶⁹ في المشرق العربي، والاشتراكية في أوروبا، وتنافس الدول الكبرى الإمبريالية، كل هذه التيارات كان لها أصداء قوية في الجزائر، اقنعت الوطنيين بضرورة سلوك طريق جديدة للتحرير⁽⁷⁰⁾.

أخذت المقاومة السياسية الجزائرية اشكالا عدة، مثل تقديم العرائض، وإرسال الوفود إلى باريس، والنشاط الصحفي، والإضرابات والمظاهرات، وتأسيس النوادي والجمعيات⁽⁷¹⁾، وقد ظهر تياران في ذلك الوقت كان لكل منهما

⁶⁸ النخبة هم جماعة من الناس يتميزون عن بقية الجزائريين بتفوقهم العلمي والثقافي والاجتماعي وأحيانا بقوتهم الاقتصادية والمالية، ويسلطهم أو نفوذهم السياسي، فهم يُعدّون الفئة المرشحة لريادة الأمة وقيادتها نحو الإصلاح والتطوير والحرية، وقد ظهر نوعان من النخبة في الجزائر نخبة محافظة ونخبة عصرية اندماجية. للمزيد راجع: بلاح.(2006م). ج:1. ص: 329.

⁶⁹ هي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، أي العصر الذهبي للإسلام على عهد النبي محمد(صل) وصحابته والتابعين، ومن الشائع أن هذه الحركة بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأصحابها جمال الدين الأفغاني(1838.1897م) وتلميذه محمد عبده(1849.1905م) ورشيد رضا(1865.1934م) وآخرون... وقد تبنى هذه الحركة سلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني (1876.1909م) وهدفها هو وحدة المسلمين تحت خلافة قوية، ولهذا رأى عبد الحميد الثاني أنه هو الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة. للمزيد راجع: سعد الله، أبو القاسم. (1992م). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م. ج:2. ط:4. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص:109.

(⁷⁰) سعد الله.(1992م). ج:2. ص:96.

(⁷¹) سعد الله.(1992م). ج:2. ص:100.

نشاطه السياسي، الأول ما كان يطلق عليه تيار المحافظين⁷² الذي تكون من مجموعة من العلماء وزعماء الطرق الدينية وبعض الأعيان، وقد وصفهم الكتاب الفرنسيون بأصحاب العمام، وأجمع هؤلاء على رفض التجنيس الفرنسي والتجنيد، وكان غالبيتهم من أنصار فكرة الجامعة الإسلامية، أما التيار الثاني فهو تيار النخبة، أو ما يعرف بالكتلة الليبرالية، وقد ضم في صفوفه خريجي المدارس الفرنسية في الجزائر من صحفيين وأطباء ومحامين وقضاة ومعلمين ومترجمين، وتبنت هذه الكتلة الأفكار الغربية كالحداثة والحرية والجمهورية والمساواة، ولم يرفع هؤلاء أبداً شعار الجزائر للجزائريين، وكانوا قد قبلوا التجنيد لأبناء الجزائر، والتجنيس والإدماج بشرط أن ينال الجزائريون حقوق الفرنسيين⁽⁷³⁾.

رأى أصحاب هذا التيار أنه ينبغي التمييز بين فرنسا التقدمية وبين أساليب المستعمرين القديمة، ومع ذلك لم يحظوا بتأييد عديد من الفرنسيين، وتعرضوا لنقد أبناء وطنهم لقبولهم مبدأ التجنيس، وقد وُصِفَ هؤلاء بأنهم تائهون بين حضارتين⁽⁷⁴⁾ كانت أهم مطالبهم تقوم على محاولة إلغاء مختلف الإجراءات الاستثنائية التي كانوا يعانون منها، والمساواة بين الجزائريين والأوروبيين في جميع المجالات سواء بالقضاء أو الهيئات الانتخابية، وإلغاء قانون الأهالي، ولكن هذه المطالب كانت تشكل أهدافاً لحركة الإدماج بفرنسا⁽⁷⁵⁾.

كان للحرب العالمية الأولى في العام 1914م، تأثير مهم على الشعب الجزائري، فقد انتقل قسم كبير من أبنائه كجنود بسبب قانون التجنيد الإلزامي، أو كعمال للعمل في فرنسا واحتكوا بعالم جديد. وتأثروا بالأفكار

⁷² تعني كلمة المحافظ أو المحافظة بالنسبة إلى هذه المرحلة من تاريخ الجزائر بصورة عامة (التمسك بالقيم الإسلامية ومعارضة الأفكار الغربية العلمانية والإجراءات الاستعمارية الإدماجية) وقد مثلها العلماء أنصار اللغة العربية والدين الإسلامي ويمكن تسميتها ب: النخبة الإسلامية. للمزيد: بلاح. (2006م). ج1: ص: 329.

⁽⁷³⁾ خيريك، بشرى. نمير، عقيل. (2015.2016م). تاريخ الوطن العربي المعاصر "المغرب العربي". دمشق. منشورات جامعة دمشق. ص: 402401.

⁽⁷⁴⁾ خيريك، بشرى. (2015م). موقف الحركات الوطنية في إطار المغرب العربي "تونس، الجزائر، المغرب" من قضية فلسطين بين العامين

1917.1939م. دمشق. وزارة الثقافة. منشورات الهيئة العامة للكتاب. ص: 59.

⁽⁷⁵⁾ كلود، ه. برينان، أ. لاكوس، أ. (د. ت). الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي. ترجمة: محمد عينتاني. بيروت. دار المعارف. ص: 145.

الفرنسية⁽⁷⁶⁾، واكتشفوا أن الفرنسيين في أوروبا أكثر اتزاناً وأقل غطرسةً من الأوروبيين المقيمين في الجزائر، وعند عودتهم إلى الجزائر بعد أن وضعت الحرب أوزارها وجدوا نفس الوجوه العابسة، ونفس النظرة التي تدل على قلة الاحترام، وعدم تقدير الجنس العربي، وكان لهذه النظرة والمعاملة الدونية لمن دافعوا عن شرف فرنسا وكرامتها بمنزلة صدمة قوية للجزائريين⁽⁷⁷⁾.

فضلاً عن تأثيرهم بالأحداث العربية والعالمية، ومنها قيام الثورة العربية الكبرى في العام 1916م، ومبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون، ولا سيما حق تقرير المصير، وقيام الثورة البلشفية في روسيا 1917م، ورافق ذلك كله اتساع قاعدة الطبقة البروليتارية الجزائرية، إذ برز في نهاية الحرب العالمية الأولى شخصية الأمير خالد الجزائري⁷⁸، وكان ضابطاً في الجيش الفرنسي، وعندما سرح تزعم تيار سياسي إصلاحي طالب بالسماح للجزائريين أن يحصلوا على الجنسية الفرنسية مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية، أي أن يبقوا مسلمين⁽⁷⁹⁾.

وطالب بالمساواة بين الجزائريين والأوروبيين في التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي، وإلغاء القوانين والإجراءات الاستثنائية الخاصة بالجزائريين، وتطبيق قانون التعليم الإلزامي على الجزائريين باللغتين الفرنسية والعربية، وحرية الصحافة، وتطبيق قانون فصل الدين عن الدولة على الشريعة الإسلامية⁽⁸⁰⁾ وتطبيق القانون العام

⁽⁷⁶⁾ فارس، محمد خير. (1981-1982م). تاريخ المغرب الحديث والمعاصر. دمشق. المطبعة الجديدة. ص: 445.

⁽⁷⁷⁾ بوحوش، عمار. (1997م). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص: 251.

⁷⁸ يعود بنسبه إلى الأمير عبد القادر الجزائري، لما ألم به المرض تقاعد في العام 1919م من الجيش الفرنسي، فضّل الإقامة بالجزائر ليتفرغ للنشاط السياسي دفاعاً عن بلاده واتخذ عدة وسائل لنضاله منها الصحافة إذ أسس صحيفة الإقدام، والخطب وخاصة في المجالس الانتخابية والاتصال بالشخصيات الفرنسية مثل النواب والوزراء ورؤساء الجمهوريات، شارك في الانتخابات البلدية التي جرت عام 1919م ونجحت قائمته ولكن حكمت المؤامرات ضده وجرى تزوير الانتخابات واتهم بتحريض الجزائريين ضد الفرنسيين، توجه إلى سورية في العام 1923م بسبب تأمر المستوطنين والحكام الفرنسيين في الجزائر عليه، انتقل إلى فرنسا عام 1925م بعد أن نُفي إلى الإسكندرية وأعلن من هناك أن الحكومة الفرنسية أجبرته على الذهاب إلى الإسكندرية لأسباب سياسية، وقد أعطته منحة للتقاعد بشرط أن يبقى هناك. للمزيد: العلوي، محمد الطيب. (1985م). مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954م. الجزائر. دار البعث. ص: 85. وأيضاً: خير بك، نمير. (2015-2016م). ص: 410، 415.

⁽⁷⁹⁾ فارس. (1982م). ص: 445.

⁽⁸⁰⁾ العلوي. (1985م). ص: 89.

دون تمييز، والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين في التوظيف، ولكن الفرنسيين رفضوا هذه المطالب، ونفوا الأمير خالد إلى فرنسا حيث شارك في النشاط السياسي هناك⁽⁸¹⁾.

كانت حركة الأمير خالد بحقّ النواة الأولى لبداية تشكل الأحزاب السياسية على الساحة الجزائرية فضلاً عن المؤثرات السابقة الذكر، إذ وصل الجزائريون إلى درجة كبيرة من الوعي السياسي، وشعروا بأن لديهم الحق في المطالبة وإبداء الرأي، ومع تزايد عدد المثقفين بالثقافة الفرنسية من أبناء الجزائر الذين شكلوا تياراً سياسياً يطالب بالاندماج والمساواة، والتخلص من التفرقة العنصرية، إلى جانب من هاجر إلى أوروبا قد خلقت وعياً قوياً ومشاركة فعالة في النقابات العمالية اليسارية التي كانت تتنازل ضد الإمبريالية والقوات الاستعمارية، فضلاً عن تزوير الانتخابات البلدية والمجالس العامة وطرد الأمير خالد، قد قضت على أي تعاون بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر، وهذا دفع بالجزائريين إلى تكوين أحزاب للدفاع عن أنفسهم وعن بلدهم⁽⁸²⁾، وكان من أهم الأحزاب التي ظهرت في الجزائر:

1. حزب نجم شمال إفريقيا: حركة تأسست في شهر شباط من العام 1926م في باريس على يد نخبة من أهالي أفريقيا الشمالية، وكان أكثرهم من الجزائر، لكن مع مرور الوقت فقد النجم أعضاءه التونسيين والمغاربة، وأصبح منظمة جزائرية خالصة بزعامة مصالي الحاج (1898. 1974م)⁸³، وكان الهدف الحقيقي للنجم هو تحقيق استقلال أفريقيا الشمالية كلها، وقد تمثلت نشاطاته في المنشورات والصحافة والمؤتمرات، وكانت طريقته ثورية ومباشرة، مما عرضه للمضايقات الشديدة من قبل السلطات الفرنسية، التي قامت بحله مرات عدة بسبب برنامجه الذي يدعو إلى

⁽⁸¹⁾ فارس. (1982م). ص: 446.

⁽⁸²⁾ بوحوش. (1997م). ص: 229.

⁸³ ولد مصالي الحاج بمدينة تلمسان في 16 أيار من العام 1898م، في الجزائر، من عائلة فقيرة تعمل بالفلاحة، وبسبب فقره ابتعد عن الدراسة ومارس عدة مهن، شارك الجيش الفرنسي في الخدمة العسكرية الإجبارية خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب انتقل إلى فرنسا للعمل، ساهم في تأسيس حزب نجم شمال أفريقيا، ومن بعده حزب الشعب الجزائري في العام 1937م، وبعدها حزب انتصار الحريات الديمقراطية بعد العام 1945، الذي أسس أعضاءه جبهة التحرير الوطني، تعرض للكثير من الاعتقالات والنفي من السلطات الفرنسية بسبب منهجه الاستقلالي. للمزيد راجع: الحاج، م. (2007م). مذكرات مصالي الحاج 1938.1898. ترجمة: محمد المعراجي. تصدير: عبد العزيز بونفليقة. الجزائر. منشورات ANEP. ص: 9. أيضاً راجع: الخطيب، أحمد. (1986م). حزب الشعب الجزائري. ج: 1. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 118، 127.

الاستقلال، إلا أنه عاود الظهور بأسماء مستعارة، وكانت جريدة ((الأمة)) التي أسسها الحزب هي اللسان الناطق باسمه للتواصل مع الشعب الجزائري، وقد لجأت السلطات الفرنسية لحله في العام 1937م⁽⁸⁴⁾.

2. فدرالية المنتخبين الجزائريين: تأسست في 18 حزيران من العام 1927م، وكانت محصورة بالمنتخبين الجزائريين، وجريدتها (التقدم)، وكانت أهم مطالبها المساواة مع الفرنسيين في جميع المجالات سواء في الأجور والعلاوات، أو في الخدمة العسكرية، وإلغاء قانون الأهالي، وإلغاء المعاملات المفروضة على العمال الجزائريين الراغبين بالهجرة إلى فرنسا⁽⁸⁵⁾، وأسست في العام 1930م اتحاد المنتخبين الجزائريين، وكان لها فروع في جميع أنحاء الجزائر أكبرها فرع قسنطينة، وكانت تضم في صفوفها عدداً من شبان النخبة المثقفين بالثقافة الفرنسية، والمطالبين بالاندماج معها، وأبرزهم ابن جلول (1896.1986م)⁸⁶، الذي تولى رئاستها، وفرحات عباس (1899.1985م)⁸⁷، لكن مطالبهم في المساواة لم تجد آذاناً مصغية لدى السلطات الفرنسية⁽⁸⁸⁾.

⁽⁸⁴⁾ AGERON, CH, R.(1964). Histoire de L'Algérie contemporqine 1830-1964.PARIS. presses universitaires de frqnce108.Boulevqrd Saint-Germain .p:88.

أيضاً راجع: سعدالله.(1992م). ج:2. ص:372.373.374.

⁽⁸⁵⁾ Nouschi, A:(1962). La Naissance du Natuionalisme algérien 1914-1954. Les Editions de minuit. Paris.p:63.

⁸⁶ ولد محمد الصالح بن جلول في العام 1896م في قسنطينة من عائلة ثرية، انتقل إلى باريس لمتابعة تعليمه وسجل بكلية الطب وتخرج فيها عام 1924م، ودخل عمل السياسة حين أصبح مستشاراً بالمجلس البلدي وظهر يدافع عن النخبة المثقفة، وطالب بالإدماج بوصفه عضواً في فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي يرؤسها الدكتور ابن التهامي إلى جانب صديقه فرحات عباس، واستلم رئاسة الفدرالية مطلع الثلاثينيات وله دور في عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري عام 1936م وكان رئيساً لوفد المؤتمر إلى باريس، أنشأ عام 1938م، التجمع الفرنسي الإسلامي، وأثناء اندلاع الثورة التحريرية وقع على عريضة تؤكد أن سياسة الإدماج لم يعد لها معنى. توفي عام 1986م. للمزيد راجع: بلاح.(2006م). ج:1. ص:431.430.

⁸⁷ ولد في مدينة الطاهير في 24 آب من عام 1899م التابعة لمدينة سطيف، من أنصار حركة الإدماج، درس في مدرسة الطاهير الفرنسية ثم في ثانوية قسنطينة عام 1914م، التحق بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية وبعدها التحق بجامعة الجزائر لدراسة الصيدلة، وحصل على الإجازة فيها عام 1931م، انتسب في العشرينيات إلى حركة الشبان، وكانت السياسة تستهوي فكره إذ أسس جريدة التلميذ وهو طالب جامعي، وبعد انتهاء دراسته انتخب مستشاراً عاماً، ثم مندوباً مالياً في حكومة الاستعمار الفرنسي، استهوته الحضارة الفرنسية بشكل كبير إلى درجة أنه أنكر وجود الوطن الجزائري، شارك في الحياة السياسية منذ نعومة أظفاره وكان هدفه تخليص الجزائر من التفرقة العنصرية والقضاء على فكرة تفوق الغالب على المغلوب والحصول على الجنسية الفرنسية للجزائريين، استمر على هذا التفكير إلى أن فقد الأمل من سياسة فرنسا في تحسين أوضاع الجزائر بعد محاولات عديدة ومبررة. للمزيد راجع: AGERON, CH, R. (1979). Histoire de L'Algérie contemporqine.P.U.F. Paris.p321-322.

أيضاً راجع: خيريك، نمير.(2015، 2016م). ص:415.414.

⁽⁸⁸⁾ الخطيب.(1986م). ص:83-84-85.

3. الحزب الشيوعي الجزائري: تأسس في العام 1935، وهو امتداد للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان من أبرز أعضائه الجزائريين عمار أوزقان الذي أصبح أميناً عاماً له، لكن مشكلته أنه كان ينادي بقيام ثورة من الفلاحين ضد الإمبريالية والإقطاع، ولم يتطرق إلى الموضوع الجوهرى، وهو تحرير الجماهير من الهيمنة الفرنسية، ولهذا بقي معزولاً عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها⁽⁸⁹⁾، فضلاً عن أن الفكرة العامة التي ارتسمت في أذهان الناس عن الحزب الشيوعي الجزائري ومن ورائه الحزب الشيوعي الفرنسي ان ليس لهما برنامج سياسي واضح، وانهما لا يثقان في قدرة الشعب الجزائري على القيام بثورة وتحرير نفسه من الاحتلال الفرنسي⁽⁹⁰⁾، إلا أن الحزب الشيوعي الجزائري شارك مع بقية الأحزاب الجزائرية الأخرى في الحياة السياسية.

ومما هو جدير بالذكر أن نشاط هذه الأحزاب لم يكن سوى امتداداً لحركة الأمير خالد - مع اختلاف بعضها في المطالب - ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويذكر الدكتور محمد خير فارس أنه في هذه الحقبة بدأ الحديث عن الجزائر العربية والجزائر المستقلة بعدما كان الحديث عن جزائر فرنسية⁽⁹¹⁾.

(89) بوحوش. (1976م). ص: 281.

(90) Leffont, P. (1980). Histoire de la France on Algérie. Plon. Paris. p:314.

(91) فارس. (1981-1982م). ص: 446.

2- ظهور الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر.

على الرغم من التدابير التي اتخذتها فرنسا من أجل طمس معالم الهوية والشخصية الجزائرية، إلا أن رغبة الشعب الجزائري في مقاومة الاستعمار لم تتوقف، فقد شهدت الجزائر حركة إصلاحية إسلامية يمكن إرجاعها إلى منتصف القرن التاسع عشر.

بدأت هذه الحركة بظهور جيل من المصلحين الذين تأثروا بالحركة الإصلاحية المشرقية، ومن أهم اعلامه الشيخ عبد القادر المجاوي (1848. 1913م)⁹²، الذي كان يعتقد بأن الإصلاح يجري بواسطة التربية، وأن المطلب الرئيسي في النهضة هو العلم، وقد اشتهر من تلامذته الشيخ حمدان الونيسي⁹³، معلم الشيخ عبد الحميد بن باديس⁹⁴ في قسنطينة⁽⁹⁵⁾.

⁹² هو عبد القادر بن أبي عبدالله محمد عبد الكريم ابن عبد الرحمن المجاوي . نسبة إلى مجاوة، قيل أنها قبيلة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى . ولد في مدينة تلمسان بغرب الجزائر عام 1848م، و يعدّ عبد القادر المجاوي من العلماء المخلصين، حارب الجهل والبدع والإلحاد والتبشير في الجزائر، كانت أسرته كريمة اشتهرت بالعلم والدين والذكاء وقوة الشخصية، كان يوقن بأن العدو الذي قيّد الجزائر للاستعمار فاستطاعها إنما هو الجهل وضعف الاخلاق بضعف الدين، وساء ما في المجتمع الجزائري والمغربي كله من خرافات وعقائد باطلة تقتل المسلمين وتجعلهم للاستعمار أرضاً يطوها، وآمن بأن الوسيلة لنهوض الجزائر وتحقيق استقلالها، هي التربية الدينية والتعليم وإصلاح المجتمع والقضاء على العصبية المذهبية التي زرعها الجهل وأنعشها الاستعمار، توفي عام 1913م بقسنطينة بعد مسيرة حافلة من العلم وتربية الأجيال. للمزيد راجع: دبوز، محمد علي.(1965م). نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. ثلاثة أجزاء. ج:1. القاهرة، المطبعة التعاونية، ص: 82، 90.

⁹³ ولد الشيخ حمدان الونيسي عام 1856م، في مدينة قسنطينة من عائلة عريقة، عين عام 1881م مدرساً بالجامع الكبير بقسنطينة وعمره لا يتجاوز 25 سنة، ظل يمارس مهنة التدريس وتربية الأجيال الذين أسهموا في تحقيق نهضة الجزائر العلمية والثقافية قرابة 30 سنة، تم طرده عام 1910م من منصبه من قبل الإدارة الفرنسية وكان إمام الحركة الإصلاحية الشيخ عبد الحميد بن باديس أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد التحق بدروسه وعمره 18 سنة، سافر إلى المدينة المنورة بعد ذلك وبدأ بالتدريس هناك، والتحق به الإمام عبد الحميد بن باديس وأراد البقاء معه لكنه نصحه بالعودة إلى الجزائر لتتويع الشعب وزرع بذور النهضة، وبعد سنتين من التدريس في المدينة المنورة التحق الشيخ حمدان الونيسي بجوار ربه ودفن هناك. للمزيد: بلاح.(2006م). ج:1. ص: 346.345.

⁹⁴ أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سيتم الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث.

⁽⁹⁵⁾ الخطيب، أحمد. (1985م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 92.91.

أيضاً الشيخان عبد الحليم بن سماية (1866. 1913م)⁹⁶ والشيخ محمد بن الخوجة (1865. 1913م)⁹⁷ اللذان يعدّان من أبرز مؤسسي الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، وقد تأثرا بأفكار محمد عبده⁹⁸ وكان محمد بن الخوجة من أكثر الجزائريين تقريباً منه وأشدّهم تأثراً بأفكاره الإصلاحية، كان يكاتبه باستمرار⁽⁹⁹⁾.

وكان لدعوة محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا وأفكارهما الإصلاحية وخصوصاً بعد زيارة محمد عبده للجزائر في العام 1903م تأثير واضح في نفوس الجزائريين، فقد دفعت النفوس إلى التطلع إلى الأفضل، ووصول جريدة المنار¹⁰⁰ التي ساهمت في ترويج المذهب الإصلاحي وإطلاع البعض عليها¹⁰¹ وعلى كتب المصلحين⁽¹⁰²⁾.

⁹⁶ هو عبد الحليم بن علي بن سماية، من أعيان مدينة الجزائر من أسرة مشهورة بالعلم والتدين، ولد في الجزائر عام 1866م، كان يجيد اللغتين العربية والفرنسية، وكان متمكناً في العلوم الإسلامية، زار بلاد الشام وأدى فريضة الحج، وانتقل إلى تونس للدراسة، وعندما عاد عمل في التدريس وله أشعار ومقالات، وكان من المواظبين على قراءة مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وقد تبنى مذهبهما الإصلاحي، وكان من أبرز المستقبليين له عندما زار الجزائر عام 1903م، وله صورة تذكارية معه، كان من أشد المعارضين لقانون التجنيد الإجباري ومن أنصار حركة الجامعة الإسلامية. للمزيد: بلاح. (2006). ج: 1. ص: 344343. أيضاً: ديبوز (1980م). ج: 1. ص: 106، 110.

⁹⁷ كاتب وشاعر ولد عام 1865م، تعلم في مدينة الجزائر، واتصل بالشيخ محمد عبده وأخذ عنه ونشر الفكرة الإصلاحية ومحاربة البدع في الجزائر، وعمل على تحرير جريدة (المبشر) قبل الحرب العالمية الأولى، ثم أبعد عنها، وله مؤلفات منها: الاكتراث بحقوق الإنانث، وإقامة البراهين العظام في نفي التعصب عن دين الإسلام، وديوان شعر من نظمه ورسالة في (سيرة علماء الجزائر) وغيرها. للمزيد: الزركلي، خير الدين. (2007م). **قاموس الأعلام**. ثمانية أجزاء، ج: 7. ط: 17. بيروت. دار العلم للملايين. ص: 101-102.

⁹⁸ محمد عبده (1849. 1905م): هو بن حسن خير الله من آل التركماني، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام تتلخص رسالة حياته في امرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة، ولد في إحدى القرى المصرية تعلم بالجامع الأزهر وعمل في التعليم وكتب في الصحف واتفق اللغة الفرنسية، سافر إلى باريس فأصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) بعد أن تبنى أفكار الجامعة الإسلامية عاد إلى مصر عام 1888م وتولى منصب القضاء له عدد من المؤلفات منها رسالة التوحيد وغيرها كتب عنه الكثير من المؤرخين، زار الجزائر عام 1903م وكانت زيارته من الأحداث المهمة التي مهدت لظهور تيار الإصلاح الفكري والديني في الجزائر على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس، توفي عام 1905م. للمزيد: الزركلي، خير الدين. (2007م). **قاموس الأعلام**. ثمانية أجزاء. ج: 6. ط: 17. بيروت. دار العلم للملايين. ص: 252. أيضاً: بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 344.

⁽⁹⁹⁾ الخطيب. (1985م). **جمعية العلماء...** ص: 9291.

¹⁰⁰ وهي جريدة إسلامية تهدف إلى الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، أسسها الشيخ محمد رشيد رضا في القاهرة، وصدر العدد الأول منها في شهر شباط من العام 1898م، وحرص الشيخ محمد رشيد رضا على تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق مع العقل والعلم، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام، والطعن ما ظهر فيه من الخرافات، وقد كان لهذه الجريدة تأثير كبير في نفوس الجزائريين.

للمزيد راجع: **تاريخ الاسترجاع 2023/6/16** <https://ar.m.wikipedia.org>

(¹⁰¹) CARRET, J.(1959). **Le Reformisme En Islam L'Assoiation Des oulama d' Algérie**. Imprimerie officielle 7et 9 rue Trollier. Alger.p:8.

(¹⁰²) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (1982م). **سجل مؤتمرات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**. الجزائر. دار المعرفة. ص: 38.

فضلاً عن ذلك شكلت الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة منذ العام 1913م، عاملاً مهماً في الحركة الإصلاحية بدروسه الحية والتربية الصحيحة، التي كان لها الأثر الواضح في ظهور نخبة من الطلبة مستكملة الأدوات من فكرة صحيحة وعقول نيرة، وأقلام كاتبة كما وصفها إبراهيمي، عُدّت بحق طلائع العهد الجديد الزاهر⁽¹⁰³⁾.

فضلاً عن عودة الطلاب الأوائل الذين أنهوا دراستهم في البلاد العربية كالحجاز وتونس ومصر حيث تلقوا العلم هناك بأفكار إصلاحية ناضجة، وكان من بينهم محمد البشير إبراهيمي¹⁰⁴ والطبيب العقبي (1890-1960م)¹⁰⁵ وغيرهم، وقد أقام هؤلاء كلٌ في منطقته يربي ويعلم ويدعو إلى الإصلاح بالعلم والمعرفة والحكمة⁽¹⁰⁶⁾، وتحت تأثير روح الإصلاح وحركة الجامعة الإسلامية قضى هؤلاء كل حقبة الحرب العالمية الأولى خارج بلادهم، وقد تعلموا الأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية فضلاً عن التطورات العامة عن مشاكل العالم وقواه، وعندما انتهت الحرب عاد هؤلاء إلى الجزائر بنظريات معادية للفرنسيين وشرعوا في وضع برنامج اجتماعي وثقافي يهدف إلى إضعاف أسس فرنسا في الجزائر⁽¹⁰⁷⁾.

أيضاً تركت الحرب العالمية الأولى أثراً في نفوس الجزائريين من نمو في التطور الفكري، والرغبة في الإصلاح خصوصاً بعد مشاركتهم فيها، وتأثرهم بأفكار الحرية والمساواة والاستقلال، كما كان للصحافة العربية

⁽¹⁰³⁾ جمعية العلماء. (1982م). ص: 3837.

¹⁰⁴ ثاني رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد عبد الحميد بن باديس، سيتم الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الثالث.

¹⁰⁵ هو الطبيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج بن صالح ولد عام 1890م في قرية سيدي عقبة في بسكرة جنوب قسنطينة وسط اسرة متواضعة الجاه عرفت بالوروع والتقوى، تربي تربيته الأولى وسط مجتمع بسيط، هاجر مع أسرته للحجاز عام 1895م، حالهم كحال الكثير من الجزائريين الذين هاجروا بلادهم من سياسة البطش الاستعمارية، أكمل العقبي تعليمه وتربيته في المدينة المنورة نتيجة لذلك تأثر بالحركة الوهابية بسبب البيئة المحيطة فيه، وأخذ بتيار الجامعة الإسلامية لأنها حركة إيقاف الضمير الإسلامي وإعادة الاعتبار للخلافة الإسلامية، عاد إلى الجزائر عام 1920م، وبدأ حركته الإصلاحية حاله حال العلماء الذين عادوا إلى الوطن وأسس جريدة الإصلاح 1927م، أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين واختير نائباً للكتاب العام توفي عام 1960م في العاصمة الجزائر مريوش. (2007م). ص: 27، 35. أيضاً: نويهض، عادل. (1980م). **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**. ط: 2. بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية. ص: 238. 239.

⁽¹⁰⁶⁾ الخطيب. (1985م). **جمعية العلماء... ص: 93.**

⁽¹⁰⁷⁾ سعد الله. (1992م). ج: 2. ص: 386.

الإسلامية في الجزائر مطلع القرن العشرين دور مهم في رفع الوعي الفكري، وتنقيف الجزائريين، وكسر عزلتهم عن العالم، وتحضير الرأي العام لتقبل الحركة الإصلاحية، ومن هذه الصحف والجرائد المنتقد، والشهاب¹⁰⁸،

والإصلاح¹⁰⁹ والفاروق¹¹⁰، وذو الفقار¹¹¹، والإقدام¹¹²، وغيرها⁽¹¹³⁾.

بدأت صحف الإصلاح بالظهور عندما شعر المصلحون بأهمية الصحافة في نشر أفكارهم وانتقاد الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية التي كانت سائدة، وكذلك محاربة خصوم الإصلاح بواسطتها من طريقتين واندماجيين⁽¹¹⁴⁾.

كما أن ظهور الحركات السياسية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى مثل حركة الأمير خالد، وحركة العلماء المحافظين، وحركة نجم شمال أفريقيا، وحتى تلك الحركات التي لم تتقيد بالدين الإسلامي إلى حد ما ولا

¹⁰⁸ أسسها عبد الحميد بن باديس في العام 1925م، وبما أن لهما صلة بالبحث سيتم التحدث عنهما في الفصل الثاني بالتفصيل.

¹⁰⁹ جريدة إسلامية حرة، أسسها الشيخ الطيب العقبي في العام 1927م، وهي جريدة دينية قبل كل شيء، وساهم في تأسيسها وتحريرها الاستاذان الأمين العمودي ومحمد العيد، وتصدر مرة في الأسبوع في بسكرة ثم الجزائر. للمزيد راجع: زكرياء، مفدي. (2003م). تاريخ الصحافة العربية في الجزائر. تحقيق: أحمد حمدي. الجزائر. دار هومة. ص: 181.

¹¹⁰ تم تأسيسها في الجزائر في العام 1913م، وهي جريدة إخبارية علمية اجتماعية أدبية تصدر كل يوم جمعة اشترك في إنشائها السيدان عمر بن قدور وعمر راسم لكن انسحب منها عمر راسم وبقي يصدرها عمر بن قدور لكنها توقفت أثناء الحرب العالمية الأولى، وأعاد عمر بن قدور إصدارها في الجزائر من العام 1920م، على شكل مجلة دينية تهتم بشؤون التصوف والطرق والزوايا وما إلى ذلك، كتبت مواضيع في الفلسفة والطبيعة والمادة وكانت تُنشر هذه الدراسات تحت عنوان: منبر الفكر. للمزيد راجع: زكرياء. (2003م). ص: 58، 68-69.

¹¹¹ صدرت في الجزائر في العام 1913م، واشترك في إنشائها السيد أبو منصور الصنهاجي وعمر راسم، وهي جريدة انتقادية متطرفة، كانت تهاجم في كتاباتها، الصهيونية والخونة المناققين، وكان صاحبها عمر راسم يحاول أن يقتدي بالإمام محمد عبده في إصلاح المجتمع الجزائري، لكن لم يصدر من هذه الجريدة غير أربعة أعداد فقط، لأن صاحبها تعرض للتهديد من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية. للمزيد راجع: زكرياء. (2003م). ص: 57.

¹¹² أسسها الأمير خالد الجزائري في 4 أيار من العام 1920م، في الجزائر، وكان يعالج فيها آفات المجتمع ويناھض السياسة الاستعمارية في البلاد ويندّد بالخونة والعلاء وينادي بالإصلاح في المجتمع الجزائري. للمزيد راجع: زكرياء. (2003م). ص: 65.

⁽¹¹³⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء...ص: 9493.

⁽¹¹⁴⁾ مطبقاني، مازن. (1998م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939م. دمشق. دار

بالشخصية الوطنية كحركة المثقفين باللغة الفرنسية المعبر عنهم بـ (النخبة)، لدى الكتاب الأجانب، كان له دور مهم في ظهور حركة الإصلاح ، وكانت هذه الحركات سياسية وتوجيهية⁽¹¹⁵⁾.

ويمكن إضافة عامل آخر مهم ساعد على تأسيس جمعية العلماء المسلمين وهو الأوضاع المتردية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي إذ شجعت علماء الجزائر على التفكير بقيام عدد من الإجراءات من أجل تحسين أوضاع البلاد، لأنها قد وصلت إلى درجة تكاد تكون الأمة الجزائرية في طي والنسيان، مما شجع العلماء على توحيد جهودهم والاعتماد على أنفسهم من أجل مواجهتها وتحسينها بشتى الوسائل، فضلاً عن السماح بظهور الأحزاب السياسية والجمعيات مما شجع العلماء على تأسيس الجمعية .

وبسبب تضافر هذه الجهود فقد شهدت الجزائر نتائج مهمة على يد رواد الإصلاح، وتشكلت يقظة عامة خصوصاً في الحقبة الممتدة بين العامين 1919-1931م . أي حتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . غطت كل مظاهر الحياة الجزائرية.

3- جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في تكوين حزب ديني يجمع شمل العلماء الجزائريين.

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس في الحجاز يقوم بأداء فريضة الحج، وهناك التقى في المدينة المنورة بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي في العام 1913م، وبقياً لمدة ثلاثة أشهر يلتقيان كل ليلة من بعد صلاة العشاء حتى الفجر يتحادثان فيما يمكن عمله عند عودتهما إلى الجزائر للقيام بحركة إصلاحية لإخراج البلاد مما وصلت إليه، وبعد عودتهما استمرا يلتقيان في سطيف أو قسنطينة، مرة كل أسبوعين، وعلى الأكثر مرة كل شهر حيث أخذ كل منهما يعلم ويربي أبناء منطقته، ويقومان بزيارات إلى بقية المناطق الجزائرية الأخرى⁽¹¹⁶⁾.

⁽¹¹⁵⁾ بن العقون. (1984). ج:1. ص:182.183.

⁽¹¹⁶⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص:55.

وأعطى جهد الشيوخ ثماره في تكوين جيل من الطلبة المتقنين المتجربين من أفكار التجنيس والبدع والمؤمنين بوجود الأمة الجزائرية، بعد ذلك فكر ابن باديس بتوسيع الجهود بعد الاقبال الكبير من الطلبة لتبني أفكار الإصلاح الجديدة، من خلال تأسيس حزب ديني يجمع علماء الجزائر من أجل الوقوف أمام الحملة التي يشنها الفرنسيون على الأرض والشعب والدين والتعليم، ولهذا الغرض قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بزيارة البشير الابراهيمي بمدينة سطيف في العام 1924م، وأخبره بموجب الزيارة أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي)، تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، ويكون مركزها العام مدينة قسنطينة . العاصمة العلمية . وشرح له فوائدها، وطلب منه أن يضع قانونها الأساسي، فوضعه في ليلة واحده، وقرأه على الأمام ابن باديس، ورجع إلى قسنطينة ، وعرض الشيخ عبد الحميد الفكرة على علماء قسنطينة بعد عودته، وأيدوا الفكرة في البداية وأقروا القانون الذي وضعه الإبراهيمي بعد تعديل بسيط عليه⁽¹¹⁷⁾.

لكن لم يكتب لهذا المشروع النجاح لأنه يحتاج إلى زمن طويل حتى يختم وتأنس إليه النفوس التي

اعتادت على التفرقة - بحسب رأي الإبراهيمي - ويوضح الشيخ أحمد حماني (1915 - 1998م)¹¹⁸

⁽¹¹⁷⁾ جمعية العلماء.(1982م).ص:4241.

¹¹⁸ ولد الشيخ احمد حماني(1915م - 1998م) في 6 أيلول من العام 1915م، في قرية أزيار الواقعة في ولاية جيجل، وينتسب إلى اسرة مشهود لها بمقاومة الظلم الاستعماري، نزح إلى قسنطينة عام 1930م، فأتى حفظ القرآن ثم انخرط في سلك طلبة الإمام عبد الحميد بن باديس ابتداء من العام 1931م حتى العام 1934م، وأتقن في هذه الفترة فنون الدراسة الابتدائية وانظم إلى صفوف جمعية العلماء كعضو عامل، وارتحل بعدها إلى تونس في نفس العام لمتابعة دراسته وظل هناك لمدة عشر سنوات ولم تتقطع صلته بأعضاء جمعية العلماء، وعمل في الشهاب والبصائر، وكتب فيهما وشارك في الصحافة التونسية والجزائرية، وانتخب اميناً عاماً في جمعية الطلبة الجزائريين في تونس، وعاد إلى الجزائر في العام 1944م، وعين مديراً للدراسة في التربية والتعليم كمدرس للذكور، استمر في نضاله ضمن صفوف جمعية العلماء وتم اعتقاله خلال الثورة الجزائرية الكبرى بسبب جعل دار الطلبة مركزاً من مراكز الثورة وتعرض للتعذيب، وأصبح بعد الثورة عضواً في اللجنة المسؤولة عن التعليم في مدينة قسنطينة، ومديراً لمعهد ابن باديس الذي تأسس في العام 1947م، استلم عدة مناصب في الجزائر كان آخرها رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1991م، وادار جريدة البصائر، وله العديد من المؤلفات منها: صراع بين السنة والبدعة، من الشهداء الابرار، فتاوى الشيخ أحمد حماني، توفي في العام 1998م. للمزيد راجع: تاريخ

وهو أحد أعضاء جمعية العلماء بأن سبب عدم نجاح المشروع هو عدم تجاوب علماء قسنطينة له، لأن أغلبهم من موظفي الإدارة الفرنسية، وأفكار هذا المشروع تعارضه الإدارة على الرغم من أنهم كانوا يحبذون الفكرة⁽¹¹⁹⁾.

أيقن العلماء أيضاً أن خلق مثل هذه المنظمة قد يؤدي إلى انقسام الطبقة المتعلمة، لأن هناك علماء مثقفون لديهم وعي سياسي واتجاه إصلاح، وعلماء لهم اتجاه ديني سبق وتخرجوا في الزوايا المحلية وغيرها من المراكز الدينية، وكان في إمكان العلماء المصلحين تأسيس ((جمعية الإصلاح الديني))، لكنهم لم يرغبوا بعزل زملائهم المحافظين، لذلك كان العلماء مقتنعين أن أية منظمة ناجحة يجب أن تضم المحافظين أيضاً، لكن العبارة السحرية لجمعية الاخاء العلمي التي أراد عبد الحميد بن باديس تأسيسها في العام 1924م، على الرغم من عدم نجاحها، إلا أنها انتشرت في كل مكان في الجزائر، فقد استعملها الكتاب في الصحافة، والخطباء في الاجتماعات العامة، فضلاً عن استعمالها في المحادثات الخاصة، ولقد جذبت هذه العبارة أنظار المثقفين في البلاد كلها⁽¹²⁰⁾.

فضلاً عن ذلك فقد تناولت الصحف الإصلاحية في عدد من المقالات هذا الموضوع، فقد وجه ابن باديس نداء إلى العلماء الإصلاحيين في العدد الثالث من صحيفة الشهاب التي أسسها في العام 1925م، يحثهم على الاتحاد وتأسيس حزب ديني غايته تطهير الدين الإسلامي من الخرافات والبدع، وناشدهم بـ: "إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح، ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولاً من عدد كاف شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق"⁽¹²¹⁾.

أثار النداء الذي نشره ابن باديس في الشهاب ردود فعل إيجابية، فقد أخذ العلماء يتوافدون يوماً بعد يوم إلى إدارة الشهاب، وخلال مدة سنة، استمال نداء ابن باديس جل العناصر ذات الاتجاه الإصلاحي من أمثال الشيخ

⁽¹¹⁹⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 9796.

⁽¹²⁰⁾ سعد الله. (1992م). ج: 2. ص: 388.

⁽¹²¹⁾ مراد، ع. (2007م). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940م. ترجمة: محمد بحيان. ط: 3. الجزائر. دار الحكمة.

الطبيب العقبي ومولود حفيظي(1880-1948م)¹²² وغيرهم ، وكل عضو من هؤلاء كان يأتي بدعمه المعنوي لابن باديس، فضلاً عن اقتراحاته حول الكيفية التي بمقتضاها يمكن تكوين الحزب الديني والغايات التي يمكن أن تتناط به وهكذا، أصبح " الحزب الديني" الذي دعا إليه ابن باديس الموضوع الأساس للمقالات المنشورة في الشهاب، وألقى الرأي العام الإسلامي نفسه منخرطاً فيه، وأمسى تكوين تجمّع ذو طابع إسلامي في الجزائر له غايات دينية وثقافية، الشغل الشاغل للمتقنين المسلمين وجميع المسلمين الواعين خلال السنوات من 1925 إلى 1930م.⁽¹²³⁾

أرسل ابن باديس في العام 1928م، دعوة إلى الطلاب المتخرجين في جامع الزيتونة، كاستمرار في لم شمل العلماء الجزائريين ومنهم العائدين من المشرق العربي، لكي يدرسوا الحالة الراهنة، كي يتعاونوا على وضع خطة عمل لإنقاذ البلاد، وقد لبى الدعوة كل من الشيخ البشير الابراهيمي والشيخ الطيب العقبي وبعض الشيوخ الذين انضموا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تأسيسها، من أمثال الشيخ محمد السعيد الزهراوي (1899-1956م)¹²⁴،

¹²² هو المولود بن الصديق بن العربي، وينتسب إلى قرية بني حافظ الواقعة في ولاية سطيف، التي نشأ فيها وتلقى العلوم الشرعية وحفظ القرآن في سن مبكرة، ودخل بعدها مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية فأقننها، واتقن مبادئ اللغة العربية والفقه، سافر إلى تونس ومصر قبل الحرب العالمية الأولى لطلب العلم وتحصيل الشهادات، درس خلالها الشريعة وأصول الدين والتفسير والحديث والفلسفة واللغة والادب والرياضيات وتعمق في علم الفلك، عاد إلى الجزائر في العام 1918م، وقرر أن يدرس في بيته مجموعة من الطلبة ويزودهم بالمعارف التي اكتسبها، له العديد من المقالات في مختلف الصحف الجزائرية وإنشأ الجمعيات الخيرية، واهتم أيضاً بمجال التعليم مع اهتمامه بعلم الفلك والكونيات إذ نشر مقالات عدّة عن الخسوف والكسوف وعن الساعات الشمسية التي أنشأها ورسمها، توفي في العام 1948م، ودفن في قريته بني حافظ. للمزيد راجع: **تاريخ الاسترجاع**

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16>

⁽¹²³⁾ مراد.(2007). ص:144.

¹²⁴ هو محمد السعيد الزهراوي بن البشير بن علي بن ناجي البسكري من ولاية بسكرة، من أعضاء جمعية العلماء المسلمين البارزين بعد تأسيسها، نشأ وتعلم على يد مجموعة من علماء أسرته التي اشتهرت بالعلم، بعدها قصد الشيخ عبد الحميد بن باديس لينهل العلم على يده وبقي عنده أربعة عشر شهراً، وانتقل إلى تونس ليتعلم في جامع الزيتونة وبقي هناك مدّة أربعة أعوام، عاد إلى الجزائر في العام 1925م، فاستقر في العاصمة وانضم إلى جماعة الإصلاح أسس جريدة الجزائر التي كان شعارها(الجزائر للجزائريين) لكن أوقفتها السلطات الاستعمارية بعد صدور أربعة أعداد منها فقط، انضم إلى صفوف جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها واستلم فيها عدّة مناصب كرئيس تحرير لبعض جرائد الجمعية، وعمل بالتدريس الحر التي تشرف عليها الجمعية، له العديد من المؤلفات ومنها: حاضر تلمسان، بين النخيل والرمال، حديث خرافة وغيرها، توفي في العام 1956م. للمزيد راجع: **تاريخ**

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16> **الاسترجاع**

والشيخ محمد خير الدين (1902-1993م)¹²⁵ وغيرهم، واجتمع هؤلاء في مكتب ابن باديس في قسنطينة، وناقشوا الأوضاع التي آلت إليها البلاد في ظل الاحتلال الفرنسي، وفي نهاية الاجتماع، أبدى العلماء استعدادهم التام، وعرض ابن باديس خطة العمل الإدارية والعلمية التي تضمنت إلقاء الدروس والوعظ لعامة المسلمين، والكتابة في الصحف والمجلات للتوعية، وإنشاء النوادي للاجتماعات، وإلقاء الخطب والمحاضرات، والعمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والحكم الاستعماري⁽¹²⁶⁾.

استمرت المقالات في الشهاب تركّز على تأسيس الحزب الديني المأمول، ففي إحدى المقالات التي نشرت في العام 1930م نجد أحد كتاب الشهاب يقول بأنه يجب تأسيس حزب إصلاحي ديني يكون مركزه العاصمة وله فرعان، أحدهما بقسنطينة والآخر بوهرا، شعاره الدعوة إلى الدين الإسلامي الصحيح، ونشر اللغة العربية التي هي الوسيلة الوحيدة لفهم الدين والأخذ من القرآن، ويستند هذا الحزب على عزيمة الشباب المفكر.

ومعنى ذلك: "إن الشعب الذي لم تتكون فيه الروح الاجتماعية، ليس من السهل التأسيس لعمل جماعي، ويندر أن ينجح فيه مشروع مستند إلى جماعة، سواء في شؤونه الاقتصادية أو الأدبية أو غيرها، ولكن هذا لا يقتضي ترك المحاولة المتكررة في نواحيه كلها وإن قرنت بالفشل مراراً، حتى تتكون تلك الروح"⁽¹²⁷⁾.

¹²⁵ من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الذين لعبوا فيها دوراً مهماً وأسهموا في نشر دعوتها في انحاء القطر الجزائري، هو محمد بن خير الدين بن جملين بن خير الدين بن الحاج محمد بن سلمان، ولد في بلدة فرفار في ولاية بسكرة في العام 1902م، اهتم والده بتربيته دينية إسلامية، واتم حفظ القرآن وارتحل إلى قسنطينة لطلب العلم، وفي العام 1918م، هاجر إلى تونس وتعلم في الزيتونة، عاد إلى الجزائر في العام 1925م، حضر عدة اجتماعات مع المصلحين لتحسين أوضاع الجزائر، وكلفه ابن باديس بالوعظ والارشاد في منطقة فرفار وضواحيها استلم عدة مناصب في جمعية العلماء منها عضو مستشار وعضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي في العام 1936م، ونائب رئيس الجمعية بعد العام 1946م، إلى جانب الشيخ العربي التبسي، والأمين العام للجمعية وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة الجزائرية، واسلم عدة مناصب بعد الاستقلال وله عدة مؤلفات ومنها مذكراته بجزئين ولها أهمية كبيرة في تاريخ الجزائر ومسار الحركة الإصلاحية بالإضافة أن له العديد من المقالات في صحف الجمعية، وترك أثراً مادياً وهو مسجد (السنة) الذي بناه في الثمانينيات في بسكرة توفي في العام 1993م، بعد صراع مع مرض العضال، ودفن في مقبرة البخاري في بسكرة. للمزيد راجع: خير الدين، محمد. (1985م). مذكرات محمد خير الدين. جزءان. ج:1. الجزائر. مطبعة دحلب. ص:70،82.

⁽¹²⁶⁾ خير الدين. (1982م). ج:1. ص:83،85،86.

⁽¹²⁷⁾ (1930م. تموز). الإصلاح المنشود وأساليب الدعوى إليه. الشهاب. مج:6، ج:7. ص:386. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

لقد أصبح تأسيس الحزب الديني حديث الشعب بفضل جهود ابن باديس، إذ أصبح خلق هذا الحزب أمراً ضرورياً لأن فكرته قد اختمرت في العقول ونضجت، وأصبحت في متناول العلماء والشعب، ولم يبق سوى إخراجها إلى الواقع، في المقابل كانت فرنسا في بداية العام 1930م، تستعد للاحتفال بمرور مئة عام على احتلالها للجزائر، تلك الاحتفالات التي كان لها الدور المهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولا سيما بعد الاستفزازات التي مارستها فرنسا في هذه الاحتفالات التي ألهمت ناراً في نفوس الجزائريين.

4 . احتفال فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها للجزائر وما رافقها من استفزازات بحق الجزائريين.

كان مطلع العام 1930م، حاسماً بالنسبة للجزائريين لأن الفرنسيين لم يكتفوا بما قاموا به من تقتيل وتشريد وتهجير للجزائريين طوال قرن من الزمن، حتى هدام تفكيرهم إلى تنويع جرائمهم بإقامة مأتم عظيم بشكل احتفال على أشلاء شعب لم يؤمن برسالتهم التمدينية، ولم يخضع لسياستهم، واختاروا بعض الأعيان من الجزائر للمشاركة فيه وبعض المناصرين من أذئاب الاستعمار ممن باعوا أنفسهم لتمجيد آثار الاحتلال والتبشير بحضارته وثقافته⁽¹²⁸⁾. احتفلت فرنسا في 5 تموز من العام 1930م، بالذكرى المئوية للاحتلال، وقد رافق هذا الاحتفال تحديات سياسية واستفزازات دينية للجزائريين، ومنها تنظيم استعراض عسكري في شوارع العاصمة والمدن الجزائرية الأخرى بثياب مماثلة للثياب التي كان يرتديها الجنود الفرنسيون عند الاحتلال، والأسلحة التي يستخدمونها، وقد أمرت الإدارة الفرنسية بعض موظفيها من رجال الدين المسلمين بالسير إلى مغارة سيدي فرج، حيث كان الفرنسيون قد أقاموا تكريماً لذكرى الاحتلال، مقاماً لسيدي فرج الوالي الصالح الذي تشتهر باسمه المنطقة، وهناك قرأ رجال الدين القرآن على أنه ابتهاج، واكلوا ما أعد من الطعام على أنه بركة⁽¹²⁹⁾.

⁽¹²⁸⁾ قناش، محمد. (1982م). الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص: 51.

⁽¹²⁹⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 10099.

كان بعض المسلمين وبعض العقلاء من الفرنسيين ينتظرون أن تكون هذه الاحتفالات مناسبة لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الجزائري، الذي كان يعاني من القوانين الفرنسية الجائرة والأزمات الاقتصادية، ولكن لم تكن هذه الاحتفالات إلا فتحاً للجروح القديمة، وتذكيراً بمساوئ الاستعمار⁽¹³⁰⁾.

استفز الفرنسيون الجزائريين بشتى الوسائل في هذه الاحتفالات، فقد وضعت الإعلانات المصورة بالعربية والفرنسية على جدران المدن الجزائرية مستنكرة هذه المناسبة بطرائق شتى، ومن بين هذه الإعلانات واحد يمثل الشعب الجزائري مقيداً، حاملاً عبئاً ثقيلاً، بينما يهدده سوط وصليب وسيف، وتحت هذه الصورة يقرأ الانسان بالعربية ما يلي: "قرن من الاستعباد تحت الاستعمار الفرنسي في الجزائر"⁽¹³¹⁾.

احتقلت سلطة الحماية احتفالاً صارخاً وأكلوا وشربوا وسكروا، وزادوا على ذلك إقامتهم مؤتمر كاثوليكي، ديني، متعصب جمعوا فيه القساوسة والرهبان، وارتفعت الأصوات ضد الدين الإسلامي، وضد العروبة، وفي أثناء الاحتفالات قام الحاكم العام بإلقاء تصريحات مهينة في المرسى القديم أمام المحتفلين بالذكرى بقوله: "في هذا المكان، حيث كانت اللصوصية تضرب اطنابها، وحيث كان الظلم والطغيان، وحيث كانت أوروبا تخضع لهول القرصنة وفظاعتها، نستقبلكم أيها السادة وقد ساد الأمن، وعاد الرخاء، ونشر العدل بساطه، وزالت اللصوصية، وانمحت القرصنة إلى الأبد تحت لواء فرنسا العظيم المنتصر"⁽¹³²⁾.

أعمى الطغيان أعين الفرنسيين في هذه الاحتفالات، وصرحوا بأقوال وقاموا بأعمال جددت في نفوس الجزائريين آلاماً قديمة⁽¹³³⁾، وأشعلت ناراً في أنفس الجزائريين حتى الموالين للفرنسيين شعروا بالإهانة التي لحقت بهم وبكرامتهم، وانتقد العلماء الإصلاحيون هذه الاحتفالات بشدة، ودعوا بصحافتهم نخبة الأمة إلى اليقظة وإنقاذ شعبهم

⁽¹³⁰⁾ قناش. (1982م). ص: 51.

⁽¹³¹⁾ سعد الله. (1992م). ج: 2. ص: 337.

⁽¹³²⁾ المدني، أحمد توفيق. (1982م). حياة كفاح منكرات 1945-1925م. ثلاثة أجزاء. ج: 2. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر. ص: 171-170.

⁽¹³³⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1997م). آثار محمد البشير الإبراهيمي (1940-1929م) خمسة أجزاء. ج: 1. تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي.

بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص: 30.

وحثهم على أن يظهروا للعالم أنهم قادرون على تكوين كتلة من الوطنيين للدفاع عن وجود الأمة، وأطلقت الصحف نفسها على هذه الاحتفالات اسم (مهازل)، في العام 1930م، ورددت العبارات القائلة إن الفرنسيين قد احتفلوا بعيدهم الأول، ولكنهم لن يحتفلوا بعيدهم الثاني⁽¹³⁴⁾.

كانت هذه الاحتفالات صدمة قوية للشعب الجزائري، فقد نبهت الغافلين وأيقظت النائمين وقوت من عزم المصلحين وتصميمهم، وقد عدّها أحمد توفيق المدني¹³⁵ بأنها قدمت القضية الجزائرية عشرين عاماً على الأقل⁽¹³⁶⁾. في وقت كانت فيه المنافسة مشتتة بين الإصلاحيين وأصحاب الطرق الصوفية وبدأت المشادات تظهر شيئاً فشيئاً بين أفراد الفئتين في بعض المسائل الخلافية بين فقهاء الإسلام، كقراءة القرآن على الأموات، والوسيلة بالنبي صل الله عليه وسلم وبالأولياء وزيارة القبور، بالإضافة إلى استنكار المصلحين للبدع والخرافات التي كانت تقع في زيارة قبور الأولياء التي كان يقيمها اتباع الطرق الصوفية بما يظهر فيها من تجمعات محرمة ورفض وشعوذة....الخ⁽¹³⁷⁾.

أدرك أغلبية الطرفين شدة ما عانوه من هذه الاحتفالات، وتوضحت صورة المستعمر في أذهانهم، وأنه يجب اتحاد علماء الجزائر فيما بينهم بدل الخلاف لمواجهة الخطر الحقيقي وهو الاستعمار الفرنسي والجهل والفقر، ولن تكون هذه المواجهة إلا بتحقيق الحزب الديني الذي سعى ابن باديس ورفاقه إلى تكوينه وجعله حقيقة واقعة.

(¹³⁴) سعد الله. (1992م). ج:2، ص:405.

¹³⁵ المدني من أصل جزائري ولكنه من سكان تونس ويحمل رسمياً الجنسية التونسية شارك في الحياة السياسية وناضل في صفوف الحزب الدستوري التونسي (القديم) فأبعد إلى الجزائر خلال عام 1925م، وهناك شارك في النضال الوطني ضد الاستعمار واعوانه، وهو مثقف باللغتين العربية والفرنسية، وكان غالباً ما يكتب في الصحف بأسماء مستعارة، أنضم رسمياً إلى صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1952م، وعين أميناً عاماً لها بعد حصوله على الجنسية الجزائرية، وعين خلال الثورة الجزائرية وزيراً للثقافة في الحكومة المؤقتة له مؤلفات منها: كتاب الجزائر وجغرافية القطر الجزائري فضلاً عن مذكراته بعنوان حياة كفاف. للمزيد راجع: الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص:105.

(¹³⁶) بوحوش. (1997م). ص:369.

(¹³⁷) بن العقون. (1984م). ج:1، ص:172-171.

كان على رأس هؤلاء العقلاء التاجر عمر إسماعيل¹³⁸ الذي كان من كبار تجار مدينة الجزائر، وقد حملته الوضع المتدهور على أن يقوم بواجب المبادرة الخيرية، فاجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس، وطلب منه أن يدعو في مجلة الشهاب لتأسيس جمعية العلماء على أن يلتزم هو بجائزة مقدارها ألف فرنك لمن يوفق في إنشاء هذه الجمعية، وألف فرنك أخرى تدفع لصندوق الجمعية افتتاحتها للاكتتاب لها، زيادة على اشتراك شهري، ولكن شرط أن يشارك في الجمعية جميع علماء الجزائر لا فرق بين مصلحين وطرقيين، وألا تخوض الجمعية في المسائل الدينية الخلافية التي شتتت شمل الأمة، وأن تعمل على نشر العلم والمعرفة وتوحيد الكلمة⁽¹³⁹⁾.

رحب ابن باديس بهذا الاقتراح بعد حديث طويل دار بينه وبين عمر إسماعيل، ونشر مقال في الشهاب بعنوان: "هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية العلماء فينال جائزة مالية مع تخليد ذكره"⁽¹⁴⁰⁾، وبعد هذا المقال توالى الوفود تسأل عن الموضوع، وقد وُجّهت دعوات للعلماء للاجتماع لتأسيس الجمعية.

ثالثاً: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام 1931م وقانونها الأساسي.

لم يأت من فراغ ميلاد جمعية تجمع علماء الدين في الجزائر وتوحد صفوفهم ، فقد أدرك هؤلاء العلماء معنى أن يجتمعوا ويتكاتفوا، لأن مجلس الشورى للعلماء موجود منذ بدايات الإسلام لتيسير أمور الإمامة الإسلامية، وعلى هذا النهج سار علماء الجزائر، فعلى الرغم من تأخر ميلاد الجمعية، إلا أن العلماء كانوا مدركين ما جاء في كتاب الله من آيات حثت على التجمع، ومن بينها قوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)⁽¹⁴¹⁾. وقوله: (وتعاونوا على البر والتقوى)⁽¹⁴²⁾، أيضاً قوله عز وجل: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا

¹³⁸ عمر إسماعيل من أعيان مدينة الجزائر واثرائها تاجر يملك ثروة كبيرة كان ذكياً طموحاً قليل المعلومات دؤوب العمل قام بدور كبير في تأسيس نادي الترقى مادياً الذي أخذ مقراً لجمعية العلماء بعد تأسيسها، ومن المسهمين في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، إذ تولى رئاسة لجنة العمل الدائمة في المجلس الإداري للجمعية ولكن علاقته كانت قوية بالإدارة الفرنسية . للمزيد راجع: المدني.(1982م). حياة كفاح...ج2، ص:173.

⁽¹³⁹⁾ بن العقون.(1984م). ج:1، ص:174.

⁽¹⁴⁰⁾ (1931م، شباط). هل من حازم يوفق...ص:49.

⁽¹⁴¹⁾ القرآن الكريم. آل عمران. آية رقم 103.

⁽¹⁴²⁾ القرآن الكريم. المائدة. آية رقم 2.

الصلاة وأمرهم شورى بينهم...) (143)، والآيات التي تحتّ على تجمع العلماء، والتعاون فيما يصب في مصلحة الأمة كثيرة (144)، على هذا الأساس سار علماء الجزائر في تأسيس جمعيتهم.

1. اختلاف آراء المؤرخين حول المؤسس لجمعية العلماء المسلمين.

في الوقت الذي كثر فيه الحديث بين عامة الجزائريين عن الحزب الديني الذي سعى ابن باديس إلى تأسيسه، جاءت الاحتفالات المئوية لتعجل ميلاد هذا التجمع على شكل جمعية، لكن اختلف المؤرخون حول مؤسس هذه الجمعية بين ثلاث شخصيات وهم: عبد الحميد بن باديس، والتاجر عمر إسماعيل، وأحمد توفيق المدني، ولكل شخصية من يؤيدها ويعارضها.

أما التاجر عمر إسماعيل فقد جاء إلى ابن باديس بعد الاحتفالات المئوية - كما ذكر سابقاً - وطلب منه أن ينشر في الشهاب أن من يؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقدم له جائزة ألف فرنك، بينما عبد الحميد بن باديس سعى إلى تكوين هذه التجمع ووضع اساساته منذ العام 1913م، أما احمد توفيق المدني فقد ذكر أنه هو من أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فبعد الاحتفالات المئوية عقد العزم على القيام بثلاث اعمال¹⁴⁵ وهي: إنشاء جماعة إسلامية تهدف إلى احياء امجاد الجزائر وتثبيت في اوساطها الإسلام والوطنية والعروبة، والثاني تأليف كتاب عن تاريخ الجزائر، بينما العمل الثالث فهو تأليف كتاب ينفي عن الجزائر إشاعة الظلم والنهب والصوصية ((القرصنة)) (146).

(143) القرآن الكريم. الشورى. آية رقم 38.

(144) الزواوي، أبو يعلى. (1947م). جماعة المسلمين. مطبعة الإرادة. ص: 17.

¹⁴⁵ ذكر المدني في مذكراته أنه كان جالس في نادي الترقى اثناء الاحتفالات مع أصحابه وهم الشيخ محمد العاصمي والتاجر عمر إسماعيل والسيد محمد عباس الذي يمتلك ثقافة واسعة باللغة العربية وكان من رواد الإصلاح، واقترح المدني عليهم وجوب جمع العلماء وتأسيس جمعية إسلامية، فوافقه الحاضرون واطلق عليها الشيخ العاصمي اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واقترح عمر إسماعيل أن يقدم جائزة ألف فرنك لمن يؤسسها، وقام المدني بصياغة قانونها الأساسي بعد الاتفاق فيما بينهم. للمزيد راجع: المدني. (1982م). مذكرات... ج: 2. ص: 172، 178.

(146) المدني. (1982م). مذكرات... ج: 2. ص: 172.

تحققت الاعمال الثلاث حسب رواية المدني، أما الجماعة فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والعمل الثاني تأليف كتاب عن تاريخ الجزائر، بينما العمل الثالث تأليف كتاب عن ((محمد عثمان باشا داي الجزائر))⁽¹⁴⁷⁾، لكن انصار ابن باديس كان لهم رأي مخالف لما رواه المدني، مفاده أن ابن باديس هو المؤسس لجمعية العلماء، وذلك بناءً على رواية الشيخ محمد خير الدين الذي يذكر: "كنت أنا والشيخ مبارك الميلي (1898-1945م)¹⁴⁸، بمكتب الأمام ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ محمد عباسية صاحب جريدتي (المرصاد) و (الثبات) من بعد، وطلب اليه أن يقوم بالدعوة الى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة وكلفه أن يختار جماعة من الذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة، أو مخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية بنادي "التلقي" بالعاصمة حتى يتم الاجتماع بسلام وهدوء، وتتحقق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس"⁽¹⁴⁹⁾.

ويتابع محمد خير الدين كلامه: "وقد انطلق محمد عباسية في ذلك اليوم الى الجزائر العاصمة ونفذ ما طلبه منه الأمام ابن باديس وضم اليه السيد (عمر بن إسماعيل الدلسي) والشيخ (العاصمي) أحد الموظفين الدينيين الرسميين، والسيد (أحمد توفيق المدني) الذي كان يصفه الشيخ مبارك الميلي في كثير من المناسبات . على وجه الدعاية . بأنه صديق الجميع"⁽¹⁵⁰⁾.

⁽¹⁴⁷⁾ المدني. (1982م). .) . **مذكرات...** ج:2. ص:178.

¹⁴⁸ ولد الشيخ محمد مبارك بن محمد الميلي في العام 1898م، في قرية أولاد المبارك بدائرة الميلية، تربى يتيم الأب والأم فرباه جده وتولى رعايته وتعليمه، حفظ القرآن الكريم في سن الحادية عشر، انتقل إلى قسنطينة عام 1919م، لطلب العلم فكان احد تلامذة الشيخ ابن باديس، بعدها سافر إلى تونس لمتابعة تعليمه في الزيتونة، عاد إلى الجزائر وعمل في التدريس والوعظ، شارك في تأسيس جمعية العلماء كعضو في مجلسها الإداري، كان له مقالات عديدة في الصحف الإصلاحية باسم مستعار هو (الببضاوي) وفي العام 1937م جمع مقالاته في كتاب سماه: رسالة الشرك ومظاهره، كما ألف كتاب عن تاريخ الجزائر القديم والحديث في جزأين نُشر الأول في العام 1928م، والثاني في العام 1932م، كما أُنتخب الميلي في العام 1937م مديراً لجريدة البصائر وتولى قسم التحرير، تابع جهاده الفكري وناضل بقلمه إلى أن وافته المنية في العام 1945م، وهو ابن السابعة والأربعين من عمره. للمزيد راجع: بلاح. (2006م). ج:1. ص:423.

(¹⁴⁹ خير الدين. (1985م). ج:1. ص:105.

(¹⁵⁰ خير الدين. (1985م). ج:1، ص:105.

في الحقيقة تضاربت الروايات حول المؤسس لجمعية العلماء، ولكن عند الرجوع إلى بعض المراجع والمصادر من الصحف الإصلاحية يمكن القول أن الفضل في تأسيس الجمعية يعود إلى ابن باديس ولكن بمساعي التاجر عمر إسماعيل، والأهم من ذلك فإن تأسيس هكذا جمعية لا يمكن أن يكون إلا بمساهمة أكثر من انسان خصوصاً أن الحديث عن تأسيسها كان الشغل الشاغل بالنسبة للجزائريين، كما أن رواية المدني تضاربت مع ما سبق ذكره إذ أعاد إلى نفسه وضع قانون الجمعية الأساسي، وبدوره البشير الإبراهيمي يُرجع إلى نفسه فضل وضع القانون الأساسي للجمعية⁽¹⁵¹⁾، اما المدني فقد أضاف بأن ابن باديس حضر الاجتماع الأول لتأسيس جمعية العلماء وطلب - ابن باديس - من المدني أن يهيأ له خطاب الافتتاح، وبالمقابل اصرر المدني أن يكون ابن باديس رئيس الجمعية⁽¹⁵²⁾، ولكن بالرجوع إلى جريدة الشهاب فقد ذكر ابن باديس بنفسه أنه لم يحضر الاجتماعين الأول والثاني لتأسيس الجمعية وهذا ما سيتم التأكد منه لاحقاً.

2- مرحلة التأسيس والقانون الأساسي للجمعية.

بعد النشر في جريدة الشهاب، بخصوص تأسيس جمعية العلماء، تم ارسال الدعوات إلى علماء الجزائر، وتحديد مكان الاجتماع في العاصمة الجزائر، وجاء يوم الاجتماع على شكل جلسة تمهيدية صباح يوم الثلاثاء الخامس من أيار من العام 1931م، باجتماع اثنين وسبعين عالماً من علماء القطر الجزائري والطلبة في نادي

⁽¹⁵¹⁾ الإبراهيمي. (1997م). الآثار ج: 5. ص: 280.

⁽¹⁵²⁾ المدني. (1982م). مذكرات... ج: 2. ص: 179.

التلقي¹⁵³، الموجود في العاصمة، استجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية من اعيان العاصمة عميدها السيد عمر إسماعيل من أجل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.⁽¹⁵⁴⁾

كان اجتماعهم بصفة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي للجمعية، وعُيّن أبو يعلى الزواوي(1878-1952م)¹⁵⁵ للرئاسة المؤقتة، محمد الأمين العمودي(1892-1957م)¹⁵⁶ للكتابة، وعرض القانون الأساسي من قبل كُتّاب الجلسة على الحاضرين فاقرته اللجنة العمومية بالإجماع، وفي اليوم نفسه انتُخبت (الهيئة الإدارية)، إذ طُرحت عدة أسماء بالاقترح وهم: (عبد الحميد بن باديس . محمد البشير الإبراهيمي . الطيب العقبي . محمد الأمين العمودي . مبارك الملي . إبراهيم بيوض . المولود الحافظي . مولاي بن الشريف . الطيب المهاجي . السعيد الجري . حسن الطرابلسي . عبد القادر القاسمي . محمد الفضيل الورتلاني) وأعلنت الجمعية أن لهؤلاء المشايخ أن عملهم مقصور

¹⁵³ نادي التلقي: تأسس نادي التلقي بتاريخ 18 تموز عام 1927، وفي رواية أخرى بتاريخ 3 تموز من نفس العام في العاصمة الجزائر. خلال صيف عام 1926م، بدأ التداول بين جماعة من أعيان العاصمة في أمر تكوين ناد يلم الشمل ويتبادل فيه الناس الرأي في المواضيع الاقتصادية والاجتماعية، وقد وافق المتداولون في أثناء اجتماعهم في حفل عشاء على التسمية التي اقترحها أحمد توفيق المدني، وهي نادي التلقي، وسرعان ما تبرع بعض الحاضرين بالمال اللازم لتأمين المكان، وجرى انتخاب مجلس اداري له، وافتح عبد الحميد بن باديس يوم 25 تموز عام 1927م، سلسلة المحاضرات العامة التي أقيمت في النادي، وكانت محاضراته الأولى بعنوان " الاجتماع والنوادي عند العرب" أعتبر النادي مركز لقاء الطبقة الجزائرية المثقفة، وكان أيضاً مركز لقاء مع الزوار العرب من علماء وأدباء وشعراء خاصة منهم الوافدين من المشرق العربي، وقد أصبح النادي مقراً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها. للمزيد راجع: الوناس، الحواس.(2012م). نادي التلقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954م. الجزائر. مؤسسة كنوز الحكمة. ص: 143، 161. أيضاً: الخطيب.(1985م). جمعية العلماء... ص: 106، 105.

⁽¹⁵⁴⁾ الإبراهيمي، محمد البشير.(1931م، أيار). الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين. الشهاب. مج: 7. ج: 5. ص: 367. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

¹⁵⁵ هو محمد السعيد أبو يعلى الزواوي، كاتب وصحفي وخطيب، ابدع في الفقه والتاريخ، من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، ولد في بلدة عزازقة (القبائل الكبرى) نزلت عائلته إلى الشام، فنشأ وتعلم في دمشق، لجأ إلى مصر في بداية الحرب العالمية الأولى، وكتب في عدة صحف منها: المؤيد القاهرية وثمرات الفنون البيروتية وصحيفة المعلومات الصادرة في الاستانة، والحاضرة التونسية، عاد إلى الجزائر بعد الحرب وعمل في التعليم والوعظ، وتولى الإمامة في جامع سيدي رمضان، حارب الخرافات والبدع في كتاباته، توفي في الجزائر العاصمة في العام 1952م، ومن مؤلفاته : الإسلام الصحيح و جماعة المسلمين وتاريخ زواوة. للمزيد راجع: نويهيض(1980م). ص: 164.

¹⁵⁶ شاعر وصحفي من رجال الحركة الإصلاحية، ولد في مدينة الوادي، وكانت أسرته تنتصف بالعلم، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية، بدأ نشاط في مدينة بسكرة مع مجموعة من الشبان المثقفين، كانوا يطلقون على انفسهم اسم (جماعة الإصلاح الديني) تحت رئاسة الشيخ الطيب العقبي، لمع اسمه في الصحافة الجزائرية بسبب كثرة مقالاته، وتم انتخابه أميناً عاماً لجمعية العلماء المسلمين نظراً لخبرته في القانون والسياسة ومعرفة الجيدة باللغة الفرنسية، أسس صحيفة الدفاع (La Defence) في العام 1934م، الصادرة باللغة الفرنسية لنشر الفكر الإسلامي والدفاع عن حقوق الشعب الجزائري، ناضل مع جماعة الإصلاح وشارك في الثورة الجزائرية، اعتقلته سلطات الاحتلال وقاموا باغتياله في العام 1957م. للمزيد راجع: بلاح.(2006م) ج: 1. ص: 426-427.

على انتخاب رئيس لهم ونائب له وكاتب عام ومساعد وامين مال ومساعد، وأن يعيدوا النظر في القانون الأساسي ويقدموه للحكومة للتصديق عليه وانفضت الجلسة مساء ذلك اليوم⁽¹⁵⁷⁾، وأعيد اجتماع أعضاء الهيئة الإدارية في المساء، ما عدا عضوين هما عبد الحميد بن باديس وحسن الطرابلسي (1880-1974م)¹⁵⁸، وانتُخب عبد الحميد بن باديس غائباً رئيساً للجمعية، محمد البشير الإبراهيمي نائباً له، وللكتابة العامة الأستاذ محمد الأمين العمودي، ومساعد الطيب العقبي، وأمانة المال الأستاذ مبارك الميلي ومساعد إبراهيم بيوض (1899-1981م)¹⁵⁹، أما بقية الأعضاء فقد انتُخبوا كمستشارين، وفي اليوم الثاني اجتمعت الهيئة الإدارية برئاسة محمد البشير الإبراهيمي، ما عدا ابن باديس والطرابلسي، وأعادتا النظر في القانون الأساسي فأقرته بالإجماع وقررت ترجمته باللغة الفرنسية وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه⁽¹⁶⁰⁾.

في اليوم الثالث عقدت الهيئة الإدارية اجتماعاً برئاسة ابن باديس، وعرضت عليه الأعمال السابقة فوافق عليها، وأقيمت حفلة شاي من قبل اللجنة التحضيرية في نادي الترقى بحضور الأعضاء وجماعة من النواب الأهليين، وهيئة إدارة النادي وأعلن السيد عمر إسماعيل أنه وجه دعوى لمدير الشؤون الأهلية السيد ميرانط

⁽¹⁵⁷⁾ الإبراهيمي (1931م، أيار). الجلسة التمهيدية...ص: 367-368.

¹⁵⁸ ولد الحاج حسن الطرابلسي في العام 1880م، في بلدة الرابطة الواقعة قرب مدينة طرابلس عاصمة ليبيا، نشأ في كنف أسرة معروفة بالعلم، وحفظ القرآن الكريم، وقصد جامع الزيتونة بتونس حيث تتلمذ على أيدي عدة مشايخ اخذ عنهم مختلف العلوم كالفقه والتوحيد والتفسير إلى جانب علوم اللغة العربية، انتقل إلى مستغانم في الجزائر قاصداً الشيخ أحمد العلوي المستغاني وقد لازمه اثني عشر عاماً تعلم منه الطريق العلوية، وأصبح من الذين حملوا لوائها، وطوال خمسين عاماً قضاها في الزاوية العلوية كون اجيالاً عدة، تعرض إلى مضايقات الاستعمار مرات عديدة منها الاعتقال، انتقل إلى جوار ربه في العام 1974م. للمزيد راجع: تاريخ الاسترجاع 2023/6/22 <https://alawi1934-ar.blogstop.com>

¹⁵⁹ هو إبراهيم بن عمر بيوض، ولد في مدينة القارة جنوب الجزائر، ووالده يُعد من اعيان البلد، حفظ القرآن في سن مبكرة وتلقى العلوم على يد مشايخ قارة المشهورين، وما لبث أن اعتلى منبر الوعظ في مسجد قارة ورئيساً لحلقاتها وهو في عمر السادسة والعشرين، أسس معهد الشباب للتعليم الثانوي وهو المعروف بمعهد الحياة، جذب المعهد الكثير من الطلاب، شارك في تأسيس جمعية العلماء كعضو إداري، وأسهم في صياغة قانونها الأساسي، ناضل مع جماعة الإصلاح واثاء الثورة أصبح محور النشاط الثوري في منطقة ميزاب ومدينة قارة، عين عضو في اللجنة التنفيذية المؤقتة، واسندت إليه مهمة الشؤون الثقافية إلى يوم تسليم السلطة لأول حكومة جزائرية في العام 1962م، له العديد من المؤلفات ومنها: تفسير القرآن، والمجتمع المسجدي، وحديث الشيخ الإمام، والبدعة مفهومها وأنواعها وشروطها، وفتاوى الإمام الشيخ بيوض وغيرها، توفي في العام 1981م. للمزيد راجع: تاريخ

الاسترجاع 2023/6/16 <https://ar.m.wikipedia.org>

⁽¹⁶⁰⁾ الإبراهيمي (1931، أيار). الجلسة التمهيدية...ص: 368.

(Mirante)¹⁶¹ الذي اعتذر عن الحضور، وطلب من عمر إسماعيل أن ينوب عنه ويقدم اعتذاره للجميع، وخطب ابن باديس بالمجتمعين، وقدم شكره لأعضاء اللجنة وللحاضرين وللسيد عمر إسماعيل ولرجال النادي، وتحدث عن الجمعية، ثم خص بالشكر السيد ميرانط على سماحته، وقدم ابن باديس بعدها الاعتذار عن عدم حضوره الاجتماعين الأول والثاني وبأنه حرم خيراً كثيراً بغيبابه، وتكلم عن الجمعية ومقاصدها، ثم وجه خطابه إلى العلماء وحثهم على دعم الجمعية والدعاية لها وتحبيب العامة فيها⁽¹⁶²⁾.

وانتُخبت اللجنة الدائمة¹⁶³ لتسيير شؤون عمل الجمعية في العاصمة⁽¹⁶⁴⁾، أما بالنسبة إلى القانون الأساسي¹⁶⁵ فقد تكون من خمسة أقسام احتوت على ثلاثة وعشرين فصلاً، كان مضمون القسم الأول: عن الجمعية وتأسيسها، مفاده أنه لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض في المسائل السياسية¹⁶⁶، أما القسم الثاني: فكان عن الغاية من تأسيس الجمعية والتي هي محاربة الآفات الاجتماعية مثل الخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه الشرع، والعمل على كل ما تراه صالحاً للوصول إلى غايتها لكن ضمن القوانين المعمول بها،

¹⁶¹ كان يشغل منصب الشؤون الأهلية والكاتب العام لولاية الجزائر، وقد وصفه ابن باديس أنه صاحب أخلاق عالية وأدب ويعرف عن المسلمين أنهم يجب أن يُعاملوا اليوم بغير ما كانوا يُعاملون أمس، وكان مستشرقاً له معرفة جيدة باللغة العربية جعلته يحمل عطفاً خاصاً على أبنائها. ويبدو أن الهدف من دعوة الجميع إلى الحفل هو إطلاع العامة على ميلاد الجمعية والغاية منها حتى السلطات. للمزيد راجع: (1931م، حزيران). خطبتان لصاحب الجلسة في اجتماع جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة. الشهاب، مج: 7، ص: 6. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

(¹⁶²) الإبراهيمي. (1931م، أيار). الجلسة التمهيدية... ص: 370.369.368.

¹⁶³ لقد ظهرت مشكلة أمام ابن باديس وأعضاء الجمعية فأغلبيتهم مقيم خارج العاصمة والجمعية مركزها في العاصمة لذلك انتُخبت لجنة عمل دائمة من سكان العاصمة لتصرف شؤون الجمعية وتكون على اتصال دائم مع رئيس الجمعية في قسنطينة، ويبدو أن غاية ابن باديس من هذه الفكرة هي الابتعاد عن مواجهة السلطات الفرنسية في العاصمة وختار أعضاء اللجنة الدائمة من الموالين للسلطات لكي يتمكن من تسيير أمورهم ريثما توافق الإدارة الفرنسية على المصادقة عليها. أما أعضاء اللجنة فهم (عمر إسماعيل رئيس . محمد المهدي كاتب . آيت سي أحمد عبد العزيز أمين مال . محمد الزمرلي والحاج عمر العنق أعضاء). أعضاء اللجنة الدائمة نقلاً عن: Courreye, C. (2016). L'Association des Oulémas Musulmans Algériens et la construction de l'état algérien indépendant : fondation, héritages, appropriations et antagonismes (1931-1991). Littératures Université Sorbonne Frnçais. Paris. P: 65. (¹⁶⁴) (1931م، حزيران). خطبتان. ص: 386.

¹⁶⁵ للاطلاع على القانون الأساسي كاملاً راجع الملحق رقم (3) ص: 172.

¹⁶⁶ في الحقيقة إن مسألة عدم الخوض في المسائل السياسية ما هي إلا حجة اتخذها أعضاء الجمعية من أجل الحصول على موافقة السلطات الفرنسية في الحصول على تصريح الموافقة على تأسيس الجمعية لأنه سيلاحظ فيما بعد أن من أعمال الجمعية بعد تأسيسها هو الخوض في الأمور السياسية.

ويحق لها أن تؤسس شعباً في القطر وتفتح النوادي والمكاتب الحرة للتعليم الابتدائي⁽¹⁶⁷⁾، وكان مضمون القسم الثالث: عن أعضاء الجمعية، وشمل الشروط الواجب توافرها فيهم وميزاتهم، والقسم الرابع: عن مالية الجمعية، أما القسم الخامس فكان عن المجلس الإداري والاجتماعات العامة⁽¹⁶⁸⁾، ولم يبق أمام الجمعية لكي تبرز إلى الوجود رسمياً سوى الحصول على ترخيص من السلطات الفرنسية، فبعد الانتهاء من التنظيمات الإدارية قام الأعضاء بحسب الأصول بطلب الترخيص، وجاءت الموافقة بصورة سريعة من دار عمالة العاصمة بتاريخ 22 أيار من العام 1931م، ونشر التصريح بتاريخ 31 أيار من العام نفسه في الجريدة الفرنسية الرسمية⁽¹⁶⁹⁾.

لكن قد يتساءل البعض لماذا منحت السلطات الفرنسية ترخيص للجمعية بالرغم من محاربتها لمثل هذه الحركات التي تتعارض مع سياسة فرنسا، لا بد أن أبرز العوامل التي جعلت من السلطات الفرنسية تمنح الترخيص هو أنها ما زالت تحت تأثير الاحتفالات المئوية لاحتلالها للجزائر وما رافقها من سكر وإهانة للجزائريين جعلتهم يتخذون سياسة لينه تجاه الجمعية بوجه الخصوص والجزائريين بوجه العموم، وأيضاً حنكة الإصلاحيين في صياغة القانون الأساسي الذي نص على عدم التدخل في الشؤون السياسية وضم الجمعية في أعضاؤها علماء الجزائر كافة من اصلاحيين وطرقيين والموظفين الدينيين في الإدارة الحكومية، جعلت من السلطات تطمئن تجاهها وعدم الخوف منها، ويمكن أن نضيف عاملاً آخر بحسب رأي بعض المؤرخين مثل علي مراد وهو وجود شخصية فرنسية معتدلة هو ميرنات مدير الشؤون الأهلية كما وصفه ابن باديس صاحب الاخلاق العالية والادب اللطيف قد ساعد على منح الترخيص لجمعية.

وهكذا بعد الحصول على الترخيص تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رسمياً، واستطاع عبد الحميد بن باديس وأصحابه من الإصلاحيون تحقيق غايتهم، لكن صادفتهم مشكلة كبيرة في أثناء السير في العمل، وهي أن

⁽¹⁶⁷⁾ من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (2008م). تقديم: عبد الرحمن شيبان. الجزائر. دار المعرفة. ص: 22-21.

⁽¹⁶⁸⁾ من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (2008م). ص: 22، 27.

⁽¹⁶⁹⁾ الخطيب. (1885م). جمعية العلماء... ص: 112.

أعضاء المجلس يتكونون من إصلاحيين مصممين على نشر الدعوة الإصلاحية وطرقيين يساندهم عمر إسماعيل رئيس نادي الترقى، وموظفي الإدارة الدينيين الذين كانوا يعدون أنفسهم للسيطرة على الجمعية⁽¹⁷⁰⁾.

إن عدم الانسجام بين الطرفان في الغايات والاهداف كان السبب في الخلافات التي ظهرت عند نهاية السنة الأولى من نشاطها، وقد تزعم المعارضة شخصيتان هما عمر إسماعيل رئيس اللجنة الدائمة الذي كان يطمح بدور أهم في إدارة الجمعية، ومولود حفيظي احد قدامى الازهريين . وقد وصفه علي مراد بأنه شخص معقد ومتقلب الأطوار، معتد بنفسه ويعلمه المشرقي . لم يكن راضياً بدور المساعد الذي أوكل إليه، وكان لديه طموح بمركز مهم في اللجنة المديرة لجمعية العلماء، ووجد فيه أصحاب الطرق الصفات المطلوبة التي تمثل شخصية القائد، وقد نصب نفسه ناطقاً رسمياً باسمهم، والمدافع عنهم⁽¹⁷¹⁾.

جاء الحد الفاصل للخلاف في السنة الثانية للجمعية أثناء انتخاب مجلسها الإداري في شهر أيار من العام 1932م، إذ ظهرت نوايا عمر إسماعيل في السيطرة على الجمعية من خلال اللائحة الانتخابية للمجلس الإداري التي جهزها بنفسه، عندما ذكر اسمه في القائمة مع أنه ليس من أهل العلم ولا من الطلبة⁽¹⁷²⁾، معتمد في ذلك على نفوذه المالي الذي خوله الاشراف على التنظيم المادي للانتخاب، من خلال توزيع الدعوات واستدعاء أغلبية أصحاب الطرق للانتخاب¹⁷³ من أجل أن ينتخبوا الأسماء الموجودة في اللائحة وبذلك يضمن الفوز⁽¹⁷⁴⁾.

تنبّه ابن باديس وأصحابه إلى هذه المؤامرة من قبل عمر إسماعيل وأعوانه، وجمع ابن باديس أعوانه لحضور الانتخاب، وكانوا من أهل العلم ومن تلامذته، وجرى الاجتماع في 23 أيار يوم الاثنين للانتخاب، ولشدة

⁽¹⁷⁰⁾ الخطيب.(1985م). **جمعية العلماء**...ص:173.

⁽¹⁷¹⁾ مراد.(2007م). ص: 157.

⁽¹⁷²⁾ بن باديس، عبد الحميد(1932م، آب). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عامها الثاني. **الشهاب**.مج:8.ج:8.ص:443. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

¹⁷³ من الواضح أن العناصر غير الإصلاحية شعرت بعد تأسيس الجمعية وانتخاب مجلسها الإداري أن الأدوار التي أوكلت إليهم هي أدوار ثانوية وأن الأدوار الرئيسية قد استلمها عناصر الإصلاح لذلك تجددت روح المنافسة القديمة لدى عمر إسماعيل وأصحابه وبدأ بالاستعداد لشن حملة انتخابية يسيطر من خلالها على المجلس الإداري بدل الإصلاحيين.

⁽¹⁷⁴⁾ مراد.(2007م). ص:157.

حنكة ابن باديس وذكائه ألقى خطاب الافتتاح، وعرف الجميع بأن أعضاء المجلس لا بد أن يكونوا من أهل العلم كما تنص إحدى مواد القانون الأساسي للجمعية¹⁷⁵، وبات هذا الشرط لا ينطبق على عمر إسماعيل، ولا على كثير من القائمة التي جهزها. وأن مجلس الإدارة عين لجنة لتفقد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف، وبعد التأكد من أهل العلم باللائحة سيجري الانتخاب⁽¹⁷⁶⁾.

كان ما ذكره ابن باديس مثيراً للحضور، وحدث فوضى عارمة بسبب النقاشات التي احتدت في النادي ورفض المعارضين مادة القانون، مما استدعى تدخل الشرطة لإخلاء القاعة، ومنع حدوث أي مشاكل، فانفض الطرفان دون الوصول إلى حل على أن يعاد الانتخاب في اليوم التالي بحضور رجال الشرطة، وبالفعل حدث الانتخاب وكانت المفاجأة أن أغلبية أنصار عمر إسماعيل انسحبوا بعدما فقدوا الأمل أمام لجنة الحكم وأمام الشرطة وحُددت أسماء القائمة للانتخاب وهم: ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي والفضيل (من المجلس القديم وكانوا حاضرين) المهاجي وكان غائباً لقدمه من الحج، ابن عريبة وأبو اليقظان وخير الدين والتبسي والمكي والقاسمي (هؤلاء كانوا جدد حاضرين) وأبو عبدالله البوعبدلي كان جديداً ولم يحضر وأرسل برقية يخبرهم اعتبروني معكم في كل شيء. وجرى الانتخاب، وذكر ابن باديس أنه جرى انتخاب القائمة على الوجه القانوني وفاز الشيوخ المذكورون إلا واحداً فقد فاز عليه الزهراوي بنحو عشرين صوتاً⁽¹⁷⁷⁾، الذين كان أغليبيتهم من الإصلاحيين، أما بالنسبة إلى عمر إسماعيل وأنصاره مثل مولود حفيظي فبعدما جرى اقصاؤهم من الجمعية قرروا إنشاء جمعية معادية لجمعية العلماء خاصة بهم بمساعدة عمر إسماعيل المادية في 15 أيلول عام 1932م وأمام 750 شخصاً أسس الشيخ الحافظي (جمعية علماء السنة الجزائريين) لمحاربة العلماء الأحرار، ولكن هذه الجمعية التي كانت تحت

¹⁷⁵ نصت المادة على: الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الإجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية والذين تعلموا بالمعاهد العلمية الإسلامية الأخرى. للمزيد راجع: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (2008م). ص:24.

⁽¹⁷⁶⁾ بن باديس (1932م، آب). جمعية العلماء...ص:343-344.

⁽¹⁷⁷⁾ بن باديس (1932م، آب). جمعية العلماء....ص:446.

سيطرت الطرقيين لم تدم أكثر من ثلاث سنوات لأنها كانت منبوذة من طرف الوطنيين المخلصين، ولأنها كانت تفتقر إلى اتباع وأنصار يدافعون عنها بإخلاص⁽¹⁷⁸⁾ وهكذا استبعدَ عمر إسماعيل وأعوانه من الأعضاء وحقق ابن باديس هدفه المنشود ليجري تصفية الجمعية من أغلبية الطرقيين والموظفين الدينيين، وبدأ مع رفاقه بالسير على خطة العمل التي وضعوها، وقاموا بعدد من الجولات في القطر الجزائري للدعاية للجمعية ونشر دعوتهم الإصلاحية وأهدافهم⁽¹⁷⁹⁾.

رابعاً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها.

اختلف المؤرخون حول أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولعلَّ السبب أن قانونها الأساسي تضمن بند عدم تدخل الجمعية في المسائل السياسية، لكن على أرض الواقع، ومنذ أن أخذت الجمعية التصريح من الإدارة، بدأت تسلط الضوء على بعض المسائل السياسية، لذلك حدث تباين بين المؤرخين من حيث الأهداف، فمنهم من حصرها على التعليم العربي ومحاربة الخرافات والبدع، وتصفية الإسلام مما علق به من الشوائب في القرون الأخيرة⁽¹⁸⁰⁾، ومنهم من كان يرى أن أهدافها هي تجديد الإسلام والصراع ضد المرابطين وأصحاب الزوايا والطرق المتواطئين مع الاستعمار، وتكوين إطارات الثقافة العربية، وبرنامجهما الرجوع إلى العروبة والإسلام⁽¹⁸¹⁾.

وبالعودة إلى جوليان (Gulien)، فإنه حدد برنامج جمعية العلماء وأهدافها في محورين اثنين: الأول ديني والثاني ثقافي، أما المحور الديني فيتضمن الرجوع بالإسلام في الجزائر إلى الأصول الأولى، والمحور الثقافي السعي

⁽¹⁷⁸⁾ بو الصفصاف، عبد الكريم. (1996م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م. الجزائر.

المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر. ص: 109.108.

⁽¹⁷⁹⁾ بن باديس (1932م، أب). جمعية العلماء... ص: 446.445.

⁽¹⁸⁰⁾ سعدا، أبو القاسم. (1992م). الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م. ثلاثة أجزاء. ج: 3. ط: 4. بيروت: لبنان. دار الغرب

الإسلامي. ص: 86.

⁽¹⁸¹⁾ عباس. (2005م). ص: 95.94.

إلى لم شتات المسلمين الجزائريين بالتقريب بين الطوائف الجزائرية من عرب وبرايرة دون تمييز في الجنس بقصد خلق كتلة واحدة من المسلمين الجزائريين بواسطة التربية والتعليم⁽¹⁸²⁾.

تضمن القانون الأساسي أهداف الجمعية وهي محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه الشرع⁽¹⁸³⁾ أما ابن باديس فذكر في بداية السنة الخامسة للجمعية أهداف الجمعية ومبادئها، بأنها السير بإيمان ثابت ويقين صادق للاستمرار بالخطة الدينية والعلمية للجمعية في نشر العلم والفضيلة، ومحاربة الجهل والرذيلة، متسلحين بـ: "القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا"⁽¹⁸⁴⁾.

أما البشير الإبراهيمي فقد حدد أهداف الجمعية بمحاربة البدع والخرافات بواسطة الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامة وغيرها⁽¹⁸⁵⁾.

وحسب رواية أبو القاسم سعد الله أن البعض قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار، وبفكرة تكوين الدولة الجزائرية⁽¹⁸⁶⁾، بينما حدد مبارك بن محمد المليي، عمل الجمعية فأنه: "تهذيب المجتمع في دائرة الدين والقانون بالوسائل المشروعة، والتهذيب هو إقبال للردائل وإقبال على الفضائل، وإن قاعدة درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، هي دعوة كل عاقل نصوح إلى أن تكون عنايته بمحاربة الرذيلة أشد منها بإحياء الفضيلة"⁽¹⁸⁷⁾، وقد

⁽¹⁸²⁾ جوليان، ش. (1976م). إفريقيا الشمالية تسيير. ترجمة: المنجي سليم. الطيب المهدي. الصادق المقدم. فتحي زهير. الحبيب الشطي. ط:3. تونس. الدار التونسية للنشر والتوزيع. ص:135.

⁽¹⁸³⁾ من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (2008م). ص:22.

⁽¹⁸⁴⁾ سجل جمعية العلماء (1982م). ص:64.

⁽¹⁸⁵⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1997م). آثار الإمام البشير الإبراهيمي 1964-1954م. تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. خمسة أجزاء. ج:5. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص:282.

⁽¹⁸⁶⁾ سعد الله (1992م). ج:3. ص:86.

⁽¹⁸⁷⁾ المليي، مبارك بن محمد. (1933م، 17 نيسان، الاثنين). بيان وإرشاد. جريدة السنة، العدد: 2. ص:4. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

اتخذت الجمعية شعاراً لها، منذ بداية تأسيسها وهو: "الجزائر وطننا. العربية لغتنا. الإسلام ديننا"⁽¹⁸⁸⁾، يوضح أهدافها القريبة والبعيدة المدى.

أما الوسائل التي اتخذتها الجمعية فهي المساجد التي استخدمتها للوعظ والإرشاد بطريقة العلماء الجديدة في فهم الدين ودوره في الحياة، وفتح المدارس من أجل التربية والتعليم، والنوادي من أجل التوعية والتوجيه الوطني بالخطب والمحاضرات والمسرحيات والأشعار والأناشيد وغيرها، وإنشاء الصحف لنشر الأفكار والأهداف والدعوة إلى اليقظة والدفاع عن الجمعية ضد خصومها، وقد أضيفت وسائل أخرى خلال الثلاثينيات منها الاحتجاجات والمقابلات وإرسال الوفود لتبليغ الدعوة الإصلاحية والرحلات والمشاركة في التجمعات العامة⁽¹⁸⁹⁾.

أسست الجمعية العديد من الفروع لها في مختلف أنحاء الجزائر حتى وصل عدد فروع الجمعية في العام 1938م، إلى نحو 150 فرعاً، أما المدارس التابعة للجمعية فقد وصل عددها 85 مدرسة في العام 1938م، في قسنطينة وحدها، وتظم آلاف التلاميذ، وأغلبها مدارس ابتدائية ومرحلة الدراسة فيها ست سنوات مقسمة بالتساوي على قسم تحضيري وابتدائي، وقسم متوسط يُدرس فيها منهج التربية الإسلامية والثقافة العربية ومبادئ أولية للمعارف العلمية⁽¹⁹⁰⁾.

سعت الجمعية من خلال هذه المدارس لغرس المثل العليا في نفوس الطلاب والعيش من أجل الإسلام والعروبة⁽¹⁹¹⁾، وازداد عدد المدارس كثيراً في مدة رئاسة الإبراهيمي، وتكثفت جهوده بفتح معهد ابن باديس في العام 1947م، في قسنطينة، وكان للدراسات العليا، والإبراهيمي في العام 1952م سافر إلى المشرق للحصول على منح دراسية للمتخرجين فيه⁽¹⁹²⁾، فضلاً عن ذلك، أخذ تعليم المرأة حيزاً كبيراً من مجالات الجمعية، التي كانت تعاني

⁽¹⁸⁸⁾ بوحوش. (1997م). ص: 369.

⁽¹⁸⁹⁾ سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 90. أيضاً: خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 164163.

⁽¹⁹⁰⁾ بوالصفصاف. (1996م). ص: 136، 139.

⁽¹⁹¹⁾ Ageron. (1964). p89.

⁽¹⁹²⁾ تليلاني، أحسن. (2007م). جريدة النجاح حقيقتها وديورها. الجزائر. منشورات وزارة الثقافة. ص: 24-25.

التخلف لأن أبواب التعليم مغلقة أمامها، لذلك نادى الجمعية بتعليم المرأة ورفع حجاب الجهل عنها، فاهتمت بتعليم البنات تعليماً دينياً، ووطنياً، قائماً على الحشمة والفضيلة والعفة⁽¹⁹³⁾.

خلاصة القول: في ظل الظروف المتردية التي كانت تعيشها الجزائر تحت سلطة الاستعمار الفرنسي طوال قرن من الزمن، أدرك بعض العلماء الجزائريين الذين تلقوا أغلب تعليمهم في المشرق العربي وتأثروا بمبادئ الجامعة الإسلامية وأفكار المصلحين، خطورة الوضع الذي وصلت إليه الجزائر، لذلك صمموا على السير بخطة عمل من أجل استرداد ما سلبه الاستعمار من مقومات الشخصية الجزائرية المتمثلة باللغة والوطن والدين، وأثمرت جهودهم في تأسيس حزب يجمع شمل العلماء المصلحين لنشر التعليم ومحاربة أتباع الاستعمار من الطرقيين، فتمثل هذا الحزب في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسست لتكون المنارة التي تضيء، وتدل الشعب الجزائري التائه في بحر الممارسات الاستعمارية الفرنسية المظلم.

⁽¹⁹³⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 231-232-233.

الفصل الثاني.

النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة عبد الحميد بن باديس (1931-1940م).

أولاً: عبد الحميد بن باديس ونشاطه الإصلاحي في الجزائر (1889-1940م).

1- عبد الحميد بن باديس (مولده، تعليمه، نشاطه التعليمي والصحفي).

2- أسلوبه في العمل السياسي.

ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة عبد الحميد بن باديس.

1- رفض التجنيس.

2- رفض الاندماج والدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية.

ثالثاً: الإجراءات التعسفية الفرنسية المتخذة ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

رابعاً: المؤتمر الإسلامي الجزائري في العام 1936 ودور جمعية العلماء فيه.

1- فكرة المؤتمر والدعوة إلى عقده.

2- عقد المؤتمر وأهم مطالبه.

خامساً: خيبة الأمل من وعود فرنسا وانتفاضة ابن باديس.

سادساً: موقف جمعية العلماء من نشوب الحرب العالمية الثانية.

كانت مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين بالنسبة إلى جمعية العلماء بأنه مرحلة الانخراط بالعمل السياسي على الرغم من أن قانونها يمنع ذلك، واستمرت هذه المرحلة حتى وفاه رئيسها الإمام عبد الحميد بن باديس في بدايات العام 1940م، كما اتسمت هذه المرحلة بالمشاحنات الساخنة، مع أصحاب الطرق الصوفية والإدارة الفرنسية، والتحول العلني لأسلوب ابن باديس من سياسة اللين مع فرنسا وأعداء الشخصية الوطنية الجزائرية، إلى الردود السياسية الواضحة والجريئة، وتعبئة الجماهير التي تربت وتعلمت على أيدي العلماء الإصلاحيين من أمثاله، فضلاً عن المشاركة الفعالة مع الأحزاب الجزائرية الأخرى في المطالبة بالحقوق والمساواة مع الفرنسيين، لكن السؤال ما دور جمعية العلماء في النضال السياسي الوطني للجزائر على الرغم من أنها وضعت بنداً في قانونها بعدم التدخل في المسائل السياسية وما الذي دفعها إلى الخوض في غمار النضال السياسي شأنها شأن الأحزاب الجزائرية الأخرى؟

قبل الخوض في مسيرة النضال السياسي لجمعية العلماء، لا بد في البداية من تسليط الضوء على شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس لأنه يُعد المؤسس الحقيقي للجمعية، وواضع الخطوط الأولى لمسيرة نضالها السياسي.

أولاً: عبد الحميد بن باديس ونشاطه الإصلاحي في الجزائر (1889-1940م).

1. عبد الحميد بن باديس (مولده، تعليمه، نشاطه التعليمي والصحفي).

تُعد شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس من أبرز الشخصيات التي وضعت بصمتها الواضحة في تاريخ الجزائر المعاصر، هذه الشخصية التي لم تتوقف أقلام المؤرخين عن الكتابة عنها نتيجة الأعمال والمسيرة الجهادية التي قام بها، فقد وصفه المؤرخون بصفات عديدة في كتبهم، فمنهم من أطلق عليه رائد الحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر، ومنهم من وصفه بالزعيم الروحي والسياسي، والإمام المصلح والمجدد، ومنهم من نسب له الفضل في بناء قاعدة الثورة التحريرية للجزائر وزعيمها الروحي، فما الأعمال التي قام بها ابن باديس في الجزائر حتى أصبحت هذه الشخصية رائدةً للحركة الإصلاحية والشخصية الأخطر بالنسبة إلى لفرنسيين.

ولد عبد الحميد بن باديس ليلة الخامس من كانون الأول من العام 1889م، في مدينة قسنطينة⁽¹⁹⁴⁾، تلك المدينة التي طالما أتعبت قوات الغزو الاستعماري منذ لحظاته الأولى، واحتفظت بكل أصالتها بسبب انفتاحها على الأقاليم والارياف المجاورة لها، وبسبب بعدها عن العاصمة مما جعلها مركز ثقل ضد الوجود الاستعماري، ولهذا وقع عليها عبء الاحتفاظ بأصالة الجزائر، فلا غرابة أن تكون مهداً لحركات المقاومة وأن تحتضن الحركات الإصلاحية، ففي هذا الجو ولد ابن باديس⁽¹⁹⁵⁾ في أسرة اشتهرت بالعلم والجاه، والتي ترجع أصولها إلى المعز بن باديس الصنهاجي (1014-1063م)⁽¹⁹⁶⁾، وكان والده السيد مصطفى بن مكي بن باديس من حفظة القرآن الكريم، وعضو المجلس الجزائري الأعلى، وأمه زهيرة بنت علي بن جلول من أسرة مشهورة بقسنطينة بالثراء والعلم⁽¹⁹⁷⁾.

لقد ساعدت مكانة أسرته الاجتماعية على أن يتحرر من الحاجة للعمل لدى السلطات الاستعمارية⁽¹⁹⁸⁾ وقد شجعه والده الذي وجد فيه النبوغ منذ صغره على المضي في طلب العلم، وتعهد له بسداد نفقاته، وأن يلبي له احتياجاته كلها في سبيل التعلم⁽¹⁹⁹⁾ وبدأ دراسته في قسنطينة، ولم يلتحق بالمدارس الفرنسية لأن والده فضل تنشئته على تربية إسلامية خالصة، فحفظ القرآن في سن مبكرة، وفي العام 1903م بدأ يتلقى دروسه على يد الشيخ حمدان الونيسي الذي كان له الدور الكبير في تثقيف ابن باديس بالثقافة العربية الإسلامية⁽²⁰⁰⁾.

حتى أنه أخذ عليه عهداً ألا يعمل موظفاً لدى الحكومة، حتى يتفرغ لخدمة دينه وأمته، ونفذ ابن باديس هذا العهد وطبقه مع من كان يتوسم فيه الخير من تلامذته⁽²⁰¹⁾، وعندما هاجر أستاذه الونيسي إلى الحجاز قرر ابن باديس أن يرتحل إلى تونس في العام 1908م طلباً للعلم في جامع الزيتونة، وكان عمره وقتها تسعة عشر عاماً،

⁽¹⁹⁴⁾ سعد، فهمي. (1983م). حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في بقظة الجزائر. بيروت. دار الرحاب. ص: 47.

⁽¹⁹⁵⁾ العسلي، بسام. (1982م). عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية. بيروت. دار النفائس. ص: 9594.

⁽¹⁹⁶⁾ سعد. (1983م). ص: 47.

⁽¹⁹⁷⁾ سعد. (1987م). ص: 47.

⁽¹⁹⁸⁾ عثمان، محمد فتحي. (1987م). عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة. الكويت. دار القلم. ص: 37.

⁽¹⁹⁹⁾ العسلي. (1982م). ص: 95.

⁽²⁰⁰⁾ سعد. (1983م). ص: 4847.

⁽²⁰¹⁾ قاسم، محمود. (1979م). الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية. ط: 2. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: 16.

وهناك تتلمذ على يد عدد من الأساتذة منهم الشيخ محمد النخلي (1862-1924م)²⁰² والشيخ طاهر بن عاشور (1879-1973م)²⁰³ وغيرهم⁽²⁰⁴⁾ وبعد أربع سنوات من طلب العلم قرر السفر في العام 1912م، إلى الحجاز لإداء فريضة الحج⁽²⁰⁵⁾ وهناك اجتمع استاذاه الونيسي والبشير الإبراهيمي وغيرهم من علماء مصر والشام، كما تتلمذ هناك على يد الشيخ حسين أحمد الهندي²⁰⁶ هناك، الذي درسه أصول الحركة السلفية المزدهرة في الشرق⁽²⁰⁷⁾.

بعدها طلب ابن باديس النصيحة من أستاذه الهندي والونيسي فيما يجب أن يفعله، فأشار عليه الأول بالبقاء في المدينة المنورة، بينما نصحه شيخه الونيسي بالرجوع إلى الجزائر من أجل العمل وخدمة الإسلام والعروبة فيه، لأنه لا خير في علم ليس بعده عمل، وقرر الأخذ بنصيحة شيخه الونيسي والرجوع إلى الوطن، لأنه عدّ نفسه من حراس الإسلام والعربية والقومية في الجزائر⁽²⁰⁸⁾.

في أثناء عودته إلى الوطن مرّ بكل من سورية ولبنان وفلسطين، إذ اجتمع بعلماء هذه البلدان وشاهد عن كثب أوضاعها، ومر بمصر وزار الأزهر واطلع على نظام الدراسة والتعليم فيه، وزار الشيخ محمد بخيت

²⁰² ولد في القيروان في العام 1862م شاعر وفقه من أعلام مدرسي جامع الزيتونة المشهورين، وكان من المتأثرين بحركة الجامعة الإسلامية التي تبناها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، توفي في تونس في العام 1924م. للمزيد راجع: مطبقاني، مازن. (1999م). عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي. ط2. دمشق. دار القلم. ص: 32.

²⁰³ ولد في تونس في العام 1879م، من كبار علماء الزيتونة له العديد من المؤلفات أشهرها في التفسير (التحرير والتنوير) وغيرها توفي في العام 1973م. للمزيد راجع: مطبقاني. (1999م). ص: 32.

⁽²⁰⁴⁾ قاسم. (1979م). ص: 16.

⁽²⁰⁵⁾ العسلي. (1982م). ص: 96.

²⁰⁶ في الحقيقة ليس هناك الكثير من المعلومات عنه سوى أنه من أبرز علماء المسجد النبوي الشريف في بداية القرن العشرين وكان إماماً ومدرساً، وتلمذ على يده الكثير من العلماء، ومن بينهم عبد الحميد بن باديس، إلا أنه عندما قامت الثورة العربية الكبرى في العام 1916م ضد العثمانيين وقف في وجهها مما أدى إلى نفيه إلى جزيرة مالطا أولاً ثم إلى الهند، وهناك تابع تدريسه وتولى رئاسة العلماء بمدينة (ديوبند). للمزيد راجع: مطبقاني. (1999م). ص: 35. نقلاً عن الشيخ محمد الحافظ أحد علماء المدينة المنورة وقضااتها.

⁽²⁰⁷⁾ قاسم. (1979م). ص: 16.

⁽²⁰⁸⁾ بن حلوش، مصطفى. (1937م، تشرين الأول). الاحتفال الرائع بافتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان. الشهاب. مج: 13. ج: 8.

ص: 355. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

المطيعي (1854-1935م)²⁰⁹ الذي كان زميلاً للشيخ محمد عبده في طلب العلم، وكان عالماً في العلوم الأزهرية، وأخبره ابن باديس أن شيخه الونيسي هو الذي طلب منه المرور به والتزود منه، ورحب الشيخ المطيعي فيه، ومدح الشيخ الونيسي بأنه رجل عظيم، ثم كتب لابن باديس إجازة في دفتر إجازاته بخط يده⁽²¹⁰⁾.

عاد بعدها الإمام ابن باديس إلى موطنه الجزائر بعد أن تفتح ذهنه على بعض الأفكار التي استمدها من كتب بعض علماء السلف، والعلماء المعاصرين الذين اتصل بهم وحاورهم، وفي ذهنه مشروع كبير صممه مع رفيقه الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ومضمونه ضبط خطة إصلاحية متعددة الأوجه، تنطلق أساساً من التعليم والتثقيف، ثم تتوسع لتشمل مجالات أخرى، وبمجرد عودته إلى مسقط رأسه قسنطينة شرع على الفور في تنفيذ خطوات المشروع إذ بدأ يعلم الناس ويرشدهم، وبث الوعي في النفوس ليكوّن منهم طلائع تنهض بالبلاد وتقود قوافل النضال في ميادين الجهاد المختلفة⁽²¹¹⁾.

وقد تمكن والده من تأمين ترخيص رسمي له من والي قسنطينة بالتعليم بالمجان في الجامع الأخضر في قسنطينة، بعد أن منعه من التدريس في الجامع الكبير، وبدأ مشروعه بكل جد في ممارسة العمل الإصلاحي قصد تغيير الإنسان الجزائري وإعادة صياغة بنيانه⁽²¹²⁾.

واظب ابن باديس على إعطاء دروسه في الجامع الأخضر وجامع سيدي قموش في البداية وبعد صلاة الفجر كان يدرس الأطفال علوم الدين وعلوم العربية متدرجاً معهم بحسب مستوياتهم المختلفة، ويستمر حتى صلاة الظهر يستريح بعدها ساعة لتناول الطعام، ثم يستأنف عمله حتى العشاء، ليذهب بعد أن يستريح قليلاً في المساء

²⁰⁹ فقيه ومفسر وفيلسوف، من أبرز علماء الأزهر في القرن العشرين، ومفتي الديار المصرية، ولد في المطيعة من أعمال أسيوط بصعيد مصر، التحق بالجامع الأزهر لطلب العلم، وكان شديد الذكاء والطموح، وبدأ التدريس وذاع صيته، ولشهرته وعلمه وتسلم منصب القضاء في مصر، وبعدها مفتي الديار المصرية والعديد من الوظائف، وله العديد من المؤلفات منها: شرح جمع الجوامع في أصول الفقه - القول الجامع في الطلاق البدعي والمتابع - إرشاد الأمة إلى إحكام الحكم بين الذمة وغيرها من المؤلفات، توفي في العام 1935م بعد حياة حافلة بالعلم والعمل. للمزيد راجع: **تاريخ الاسترجاع**

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16>

⁽²¹⁰⁾ زروقة، عبد الرشيد. (1999م). **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940م**. بيروت: لبنان. دار الشهاب. ص: 99.

⁽²¹¹⁾ رمضان، محمد الصالح. فضيل، عبد القادر. (2007م). **إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس**. الجزائر. دار الأمة. ص: 40.

⁽²¹²⁾ زروقة. (1999م). ص: 100.

ويستأنف تدريسه لشيخ قسنطينة في تفسير القرآن في الجامع الأخضر حتى منتصف الليل⁽²¹³⁾، عندما أدرك ابن باديس أن جهوده أخذت تعطي ثمارها بدأ بالتفكير بتوسيعها من خلال نشر أفكاره الإصلاحية في الصحافة ليطلع عليها كافة الشعب الجزائري، وبذلك يضمن أن أفكاره تصل إلى أبعد حد ممكن، لذلك دخل عالم الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى بسنوات قليلة، إذ رأى ضرورة الخروج بالحملة الإصلاحية التي بدأت في العام 1913م، من نطاق جمهور قسنطينة وضواحيها إلى مستوى جمهور الوطن الجزائري كله، وأن ليس هناك وسيلة أخرى للاتصال بهذا الجمهور سوى الصحافة الوطنية الحرة⁽²¹⁴⁾، لإيمانه بدور الصحافة في رفع مستوى الوعي السياسي والوطني بين الجزائريين، وفي نشر الدعوة الإصلاحية على نطاق واسع في الوطن⁽²¹⁵⁾.

بدأ بنشر مقالاته في بعض الصحف وبالأخص صحيفة النجاح²¹⁶، لكن كان يكتب بأسماء مستعارة مثل القسنطيني والعبسي والصنهاجي ولعله فعل ذلك ليبعد الشبهات عنه خاصة من الإدارة واعداء الإصلاح، ولا سيما أن أسلوبه الصحفي كان يتميز بالأسلوب المباشر والصريح وقصير الجمل ومفحم للخصم وطافح بالسخرية اللاذعة كما وصفه تركي رابح خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمناقشة المتهمين على الشخصية الجزائرية سواء اكانوا جزائريين أو أجانب، ولكن لما رأى أن صحيفة النجاح غير قادرة على إحداث الهزة العنيفة لإيقاظ الشعب الجزائري تركها ليؤسس صحيفة خاصة به⁽²¹⁷⁾.

⁽²¹³⁾ قاسم. (1979م). ص:17.

⁽²¹⁴⁾ رابح، تركي. (1977م). الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940م. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر. ص:189.

⁽²¹⁵⁾ رابح. (1977م). ص:194.

²¹⁶ صدرت بقسنطينة يوم 14 آب من العام 1920م، اشترك في تحريرها وإدارتها السيدان عبد الحفيظ بن الهاشمي ومامي إسماعيل وكانت بمثابة (المبشر) في نشر الأخبار القضائية والترقيات الوظيفية وتصريحات المسؤولين الاستعماريين، وكانت صلاتها قوية بالسلطات الاستعمارية، وقد عاشت هذه الجريدة حتى العام 1957م، وتوقفت بوفاة محررها مامي إسماعيل واشتغال مديرها عبد الحفيظ بن الهاشمي بخطة الإفتاء. للمزيد راجع: زكرياء. (2003م). ص:70.

⁽²¹⁷⁾ مطبقاني. (1999م). ص:69-68.

كانت أول جريدة أسسها ابن باديس هي جريدة المنتقد، لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري، كما وصفها ، وصدر أول عدد منها يوم الخميس الثاني من تموز من العام 1925م، وكانت منذ البداية حادة اللهجة شديدة الانتقاد لسياسة الإدارة الاستعمارية، قوية الحملة على البدع والأوضاع المتردية، لذلك لم تدم طويلاً لأن الإدارة الاستعمارية أوقفتها بعد صدور ثمانية عشر عدداً منها فقط⁽²¹⁸⁾.

جاءت افتتاحية العدد الأول منها بعنوان " خطتنا مبادينا وغايتنا وشعارنا" فجرى الحديث فيه عن دخول عالم الصحافة والإحساس بالمسؤولية، والسير إلى الأمام من أجل تحقيق غاية الإصلاحيين، وشرح ابن باديس المبادئ الثلاثة التي سوف يُسار عليها في خطة العمل، وهي المبدأ السياسي، والمبدأ التهذيبي، والمبدأ الانتقادي، وكان شعار الجريدة " الحق فوق كل واحد والوطن قبل كل شيء"⁽²¹⁹⁾.

لكن بعد أن أُوقفت من قبل السلطات الفرنسية لم يستسلم ابن باديس في هذا المجال لأنه أدرك الدور الذي تؤديه الصحافة في رفع الوعي الوطني والفكري لدى الجزائريين ومن ثم فك عزلتهم عن العالم الخارجي، لذلك أسس جريدة الشهاب التي صدر أول عدد منها في 12 تشرين الثاني من العام 1925م، وكانت تصدر مرة كل أسبوع، ثم أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع، وفي السنة الرابعة لها عرفت الجريدة أزمة مالية حادة، لذلك تحولت من جريدة إلى مجلة تصدر مرة كل شهر، استمرت في الصدور حتى شهر أيلول من العام 1939م، إذ أوقفها ابن باديس من تلقاء نفسه بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لكي لا ترغمه فرنسا على كتابة ما يؤيدها في الحرب وحملت هذه الجريدة لواء الدفاع عن حقوق الوطن الجزائري والشخصية القومية للشعب الجزائري وهي العروبة والإسلام والجزائر، وتناولت أيضاً الأوضاع السياسية التي شهدتها الجزائر في تلك المدة، وتعد من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر،

⁽²¹⁸⁾ رايح.(1977م). ص:189.

⁽²¹⁹⁾ النخبة.(1925م، 2تموز،الخميس). خطتنا مبادينا وغايتنا وشعارنا. المنتقد. العدد:الأول.ص:5. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

وبالأخص تاريخ الحركة الإصلاحية⁽²²⁰⁾ وخلفت جريدة المنتقد وحملت الأفكار نفسها، ولكن باستثناء اللهجة الحادة التي استخدمها ابن باديس في المنتقد، فقد اتبع شيئاً من المرونة السياسية، فكان لين القول وخفيف اللهجة مع الإدارة الاستعمارية⁽²²¹⁾.

استمر ابن باديس بعد تأسيس جمعية العلماء بإصدار الصحف والمجلات ولكن باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فصدرت جريدة السنة النبوية المحمدية في العام 1933م، تحت إشرافه، وصدر أول عدد منها في شهر نيسان عام 1933م، قامت بالدفاع عن الإسلام الصحيح والوقوف أمام دعاة الخرافات، وكان يرأس تحريرها الشيخان الطيب العقبي والسعيد الزهراوي، غير أن توجهها الإسلامي والوطني دفع السلطات الاستعمارية إلى إيقافها، وقد صدر منها ثلاثة عشر عدداً فقط، استمرت بالصدور لمدة أربعة أشهر⁽²²²⁾ وكان العدد الأول منها تحت عنوان "بواعثنا. عملنا. خطتنا. غايتنا"⁽²²³⁾ شرح فيه ابن باديس خطة العمل والهدف من إنشاء الجريدة، لكن وبتحريض من أصحاب الطرق الصوفية التابعة للإدارة الاستعمارية أوقفتها وصادرت أعدادها من الأسواق بهدف توجيه ضربة للعلماء بسبب ازدياد نشاطهم بقيادة الإمام، وكان لإيقافها صدى واسع على الساحة الجزائرية، ولا سيما بين الإصلاحيين، الأمر الذي حثهم على الاستمرار وعدم الاستسلام فأصدروا بدلاً عنها جريدة الشريعة النبوية المحمدية وهي جريدة أسبوعية مثلت كذلك لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدر العدد الأول منها يوم الاثنين 17 تموز من العام 1933م، بعد أن أوقفت جريدة السنة وكانت تحت إشراف عبد الحميد بن باديس ويرأس تحريرها الاستاذان العقبي والزهراوي ثم أوقفتها السلطات الاستعمارية في شهر آب بتاريخ 1933/8/28م، ولم يصدر منها

⁽²²⁰⁾ رابح، محمد. (2017م، حزيران). صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. مجلة القرطاس. العدد: 6. ص: 71. تلمسان: الجزائر. أيضاً: رابح. (1977م). الشيخ عبد الحميد.... ص: 190-191.

⁽²²¹⁾ رابح. (2017م، حزيران). صحافة جمعية العلماء.... ص: 71.

⁽²²²⁾ خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 297. أيضاً: رابح. (2017م، حزيران). ص: 70-71.

⁽²²³⁾ بن باديس، عبد الحميد (1933م). بواعثنا. عملنا. خطتنا. غايتنا. السنة. العدد: الأول ص: 1. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي.

سوى سبعة اعداد فقط ⁽²²⁴⁾، وبعدها جريدة الصراط السوي في العام نفسه وهي أيضاً جريدة أسبوعية صدر العدد الأول منها بتاريخ 11 أيلول من العام 1933م، تحت إشراف ابن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزهراري وصاحب الامتياز فيها الأستاذ أبو شمال، صدر منها سبعة عشر عدداً فقط، لكن أوقفتها السلطات الاستعمارية بتاريخ 8 كانون الثاني من عام 1934م ⁽²²⁵⁾، وهكذا على مدار سنة تقريباً أصدرت الجمعية تحت قيادة ابن باديس ثلاث جرائد لكن الإدارة الاستعمارية أوقفتها جميعها ²²⁶ بهدف ضرب نشاط الجمعية ⁽²²⁷⁾.

أصدرت جمعية العلماء جريدة البصائر في العام 1935م وكانت جريدة أسبوعية يديرها ويرأس تحريرها الشيخ الطيب العقبي والسعيد الزهراري، وصاحب الامتياز فيها الشيخ محمد خير الدين ⁽²²⁸⁾، وكان إصدارها من أهم الأعمال التي كتب لها الاستمرار في المجال الصحفي، إذ استمرت على مرحلتين الأولى حتى العام 1939م، وتوقفت بسبب قيام الحرب العالمية الثانية، والمرحلة الثانية من العام 1947م، حتى العام 1956م، وتوقفت بسبب اندلاع الثورة التحريرية، وتعد من أهم الجرائد التي أرخت للحركة الوطنية في مدة صدورها إذ دافعت عن قضايا العروبة، والإسلام، والشخصية الجزائرية، وناقشت القضايا التي تهم الأمة الجزائرية، ومن أهمها التجنيس، وفصل الدين عن الدولة، والإصلاح الديني، وقضايا الأوقاف والجمعيات الدينية، وتدشين المدارس التابعة للجمعية، والدفاع عن التعليم الحر والاعتراضات على القرارات الفرنسية ضد الجمعية ⁽²²⁹⁾.

⁽²²⁴⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1933م، الاثنين تموز). تعطيل السنة وإصدار الشريعة. الشريعة النبوية المحمدية. العدد: الأول. ص: 1. لبنان: بيروت. دار الغرب الإسلامي. أيضاً: خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 297.

⁽²²⁵⁾ خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 297.

²²⁶ إن محاربة الإدارة لصحف الجمعية هي دليل واضح على إدراكها بمدى خطورة جمعية العلماء في تنوير العقول وتحريض الشعب ضدها خصوصاً محاربة أهدافها في تجنيس الشعب الجزائري وتنصيره، وذلك ببث تعاليم الاسلام واللغة العربية وتدريسها، وإبراز الشخصية الجزائرية التي تختلف اختلافاً كاملاً عن الشخصية الفرنسية.

⁽²²⁷⁾ رابح. (2017م، حزيران). ص: 72. 71. أيضاً: خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 297.

⁽²²⁸⁾ خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 297.

⁽²²⁹⁾ مطبقاني. (1988م). جمعية العلماء. ص: 116. 117. أيضاً: رابح. (2017م، حزيران). ص: 74. 73.

أصدر رجال الإصلاح أيضاً بعض الصحف والمجلات باللغتين العربية²³⁰ والفرنسية²³¹، وقد مثلت هذه الصحف المنبر الأساسي لنضال ابن باديس ورجال الجمعية، في نقل أفكارهم واعتراضاتهم ضد الحكومة وأصحاب الطرق وحتى أفكارهم السياسية، وتناولهم للأحداث تناولاً مباشراً، وكانت مسيرة ابن باديس التعليمية والصحفية حافلة بالأحداث، سواء في أثناء عمله منفرداً أو مع رجال الجمعية، ويبدو أن البيئة التي نشأ فيها قد ساعدت على تكوين شخصيته سواء تربيته بين أفراد أسرته التي كان لها مكانة مرموقة حتى عند السلطات الفرنسية، فضلاً عن ذلك منصب والده الذي حماه من سياسة التعسف الفرنسي طوال مدة نضاله، أو البيئة التعليمية التي تلقاها عند رجال الإصلاح والرحلات التي قام بها سواء إلى المشرق العربي أو للمغرب جعلت آفاقه العلمية تتوسع، وتعرف على العالم الخارجي، وما يجري فيه من أحداث، فضلاً عن ذلك الدهاء والحكمة التي كان يمتلكهما الإمام، فقد استطاع بذكائه أن يساير فرنسا في الظاهر بسياسة اللين والتأييد التي اتبعتها في كتاباته الصحفية.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، كيف خاض ابن باديس في السياسية؟ وكيف عبر عن أفكاره السياسية؟ وبأي طريقة استطاع أن يحمي نفسه من السلطات الفرنسية سواء في عمله بشكل منفرد أو مع جمعية العلماء ولاسيما وجود بند في قانون الجمعية وهو عدم التدخل في الأمور السياسية؟

²³⁰ كان لبعض أعضاء الجمعية نشاطهم الصحفي فاصدروا صحفاً طال زمن صدورها أو قصر ومنها: جرائد لأبي اليقظان، كلما عطلت له جريدة عوضها بغيرها ومنها: وادي ميزاب . النور. النبراس . الأمة . المغرب، وغيرها، وجريدة المغرب العربي للزهرابي، والإصلاح للعقبي، والليالي لعلي بن سعد، والمرصاد والثبات لمحمد عابسة. للمزيد راجع: خير الدين.(1985م). ج:1. ص:298.

²³¹ أصدر رجال الجمعية صحفاً باللغة الفرنسية ويبدو أن الهدف من وراء ذلك إيصال أفكار الإصلاح وأهداف الجمعية، وما يجري على الساحة الجزائرية من أحداث من وجهة نظر الجزائريين إلى الفرنسيين أنفسهم سواء داخل الجزائر أو حتى داخل فرنسا. ومن الجرائد التي أصدرتها جريدة الدفاع (La Defense) لصاحبها الأمين العمودي وصدر أول عدد منها يوم الجمعة من كانون الثاني في العام 1934م، وتناولت مواضيع مهمة مثل نشاط الجمعية وحرية الدين الإسلامي والوضع القانوني للصحافة العربية في الجزائر والتعليم العربي والأحداث السياسية على الساحة الجزائرية. للمزيد عن الجريدة راجع: رابح.(2017م، حزيران). ص:77.76.

2. أسلوبه في العمل السياسي.

كانت طريقة العمل التي اتبعها ابن باديس في أسلوبه السياسي متباينة، لذلك يُلاحظ من الظاهر أن أسلوبه في العمل لا يتعدى كونه رجلَ دين وعلم، وهذه الصورة هي التي أراد الإمام إيصالها إلى فرنسا، لأن سياسة فرنسا تقوم على معاداة كل الحركات الوطنية السياسية التي تتعارض مع سياستها، ومما لا شك فيه أن الإمام كان يراعي ظروف والده الذي كان موظفاً لدى السلطات الاستعمارية لذلك حاول تجنب العمل السياسي المباشر.

بدأ ابن باديس في الظهور في المجال السياسي عندما صار يكتب في الصحف، ويبين للناس طريقته في التعليم الإصلاحية، ومحاربة الطرقية بواسطة المقالات، وانتقاد الأوضاع السائدة في المجتمع الجزائري، وردوده على المهاجمين على الشخصية الجزائرية والمطالبين بالاندماج مع فرنسا، لكن رغم ذلك فقد اتبع سياسة التباين مع فرنسا في بداية الأمر إذ يتبين للقارئ، أن أغلب مقالاته فيها شرح وانتقاد للأوضاع والمطالبة بالإصلاح، لكن تحت لواء فرنسا، والسبب في ذلك لأنه أراد تجنب المواجهة مع السلطات، وحتى عند تأسيس جمعية العلماء كان قانونها يتضمن عدم الخوض في المسائل السياسية لنفس السبب.

هناك الكثير من الأدلة التي تدل على هذه السياسة، ففي العدد الأول من جريدة المنتقد كتب الإمام مقالة فيها تأييد وانتقاد لفرنسا في الوقت نفسه فيذكر فيه: "نحن قوم مسلمون جزائريون في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية، وهذه الأمة قامت بواجبها نحو فرنسا أيام عسرها ويسرها، ومع الأسف لم نرَ الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن يكون جزاءها... إن الأمة الجزائرية ضعيفة ومتأخرة، فنرى من ضرورتها أن تكون في كنف أمه قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم المدنية والعمران، وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد.. إن سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية²³². الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"⁽²³³⁾.

²³² يُلاحظ هنا حكمة الأمام وذكاءه، فقد ذكر فرنسا الديمقراطية ويقصد بها الحكومة الفرنسية في فرنسا وليس الحكومة الاستعمارية في الجزائر فهناك اختلاف كبير في سياسة الطرفين.

⁽²³³⁾ النخبة. (1925م، الخميس 2 تموز). خطتنا مبادينا.... المنتقد. العدد: الأول. ص: 5.

فضلاً عن ذلك عندما أسس عبد الحميد جمعية العلماء تضمن قانونها عبارات فيها مدح لفرنسا والابتعاد عن السياسة، لأنه أراد ان يبعد أعضاء الجمعية عن الخوض في الأمور السياسية لكي يتسنى للجمعية الميلاد والاستمرار بهدفها المنشود، لكن بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانشغالها أول عامين من تأسيسها في إخراج الطرقيين منها وتثبيت أركانها، بدأت تتخبط تدريجياً في بعض المسائل السياسية بقيادة زعيمها الإمام عبد الحميد بن باديس، لكن بنفس الأسلوب الذي سار عليه .

بدأ نشاط ابن باديس السياسي يتوضح من الحديث عن قضايا الجزائر والمطالبة بالمساواة في الحقوق مثلما ساوتهم فرنسا في الواجبات، وطالب ابن باديس أن يكون هناك نواب جزائريون يمثلون الشعب الجزائري في البرلمان الفرنسي، لأن فرنسا عدّت الجزائر جزءاً منها وقررت الحكومة الفرنسية أن يكون للجزائريين نواب يمثلونها في البرلمان الفرنسي، لكن هؤلاء النواب كانوا من المستوطنين فقط، فليس من الحق أن تصدر قوانين لشعب في غيابهم⁽²³⁴⁾.

كانت الحادثة الكبرى لابن باديس في نشاطه السياسي عندما برهن على عدم مشروعية الحكم الفرنسي في الجزائر، معتمداً في ذلك على ما فسرّه من خطبة الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق، فأصول الحكم في الإسلام تتناقض أصول الحكم الاستعماري تماماً، إذ يرى ابن باديس أن لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة الإسلامية إلا بتولية الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق في الولاية والعزل، فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها، وهذا الأصل مستمد من قول أبو بكر الصديق: وليت عليكم، لأن غيري ولاني وهو أنتم، وهذا لا ينطبق على الحكم الفرنسي الذي فرض نفسه على الجزائر بحروب الإبادة والتفرقة العنصرية⁽²³⁵⁾.

استطاع ابن باديس أن ينور العقول بطريقة عمله وكان الهدف من نشاطه السياسي بث الوعي بين الجماهير من أجل إدراك ما لهم من حقوق ومطالب، ودافع عن جمعية العلماء من تعديات بعض المؤيدين لفرنسا وأقوالهم بردوده الرصينة مثلما وقع مع الوالي العام للجزائر في العام 1933م، الذي تدخل في أمور دينية بحتة، واتهم الجمعية

⁽²³⁴⁾ مطبّقاني. (1999م). عبد الحميد بن باديس....ص: 88، 90.

⁽²³⁵⁾ قاسم. (1979م). ص: 65.

بأنها هي المسؤولة عن القلاقل والفتن التي تحدث في البلاد، وقد كان رد ابن باديس على هذه المزاعم التي أشاعها أحد النواب الموالين للحكومة وعلى الوالي العام رداً مفحماً، إذ كشف لكل منهما زيف كلامه، وجهله بحقيقة الأمور، ونفى ابن باديس بجرأة ما نسبته الوالي العام إلى الجمعية والنواب الذين تجاوبوا معها من اتهامات باطلة، فذكر أن الحوادث التي شهدتها العاصمة والصدامات التي تقع من حين إلى آخر مرجعها تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية بأسلوب مخالف للدين والقانون⁽²³⁶⁾.

من ناحية أخرى كانت مواقف السياسية متنوعة أبرزها الدخول في صراع مع إدارة الاحتلال ومجابهتها، لكن العمل الأكبر له في الثلاثينيات مع جمعية العلماء كان الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي للنظر في أحوال الأمة الجزائرية، واستطاع الاسهام في المؤتمر وتقديم قائمة من المطالب للحكومة الفرنسية، فضلاً عن ذلك وجه نداء إلى سكان قسنطينة لمقاطعة الاحتفالات المئوية لاحتلال المدينة، وحارب مع العلماء سياسة التجنيس والاندماج، وقدم رأيه في الحرية والاستقلال موجهاً رسالة إلى الشعب الجزائري بأن الحرية هي حق لكل إنسان كحقه في الحياة⁽²³⁷⁾.

أما رأيه في الاستقلال فقد عدّه حقاً طبيعياً لكل شعب من شعوب الأرض، إذ كانت سياسته تتركز في الدفاع عن الذاتية الجزائرية أو بعبارة أصح قومية الجزائر العربية وهي: الإسلام . العروبة . الجزائر، حتى يأتي الوقت الذي يستطيع فيه الشعب أن يحصل على حريته واستقلاله بالقوة، وقد كانت خطة عمل ابن باديس تهدف في المدى البعيد إلى استقلال الجزائر وحريتها⁽²³⁸⁾.

فضلاً عن ذلك روى عن ابن باديس أحد تلامذته أنه قال في العام 1936م، بمناسبة رجوع رئيس حزب الشعب الجزائري مصالي الحاج من فرنسا إلى الجزائر ومطالبته بالاستقلال التام للجزائر، عندما كان مجتمعاً مع جماعه من انصار حركته: "وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه دون سقف؟ وما غايتنا من عملنا إلا

⁽²³⁶⁾ رمضان، فضيل. (2007م). ص: 121.

⁽²³⁷⁾ رمضان، فضيل. (2007م). ص: 120، 148.

⁽²³⁸⁾ رابح. (1977م). ص: 232.

تحقيق الاستقلال⁽²³⁹⁾. وهذا دليل واضح بقناعة الإمام أن الشعب الجزائري لن يستطيع أن يحصل على استقلاله ما لم يتسلح بالعلم والدين ويؤمن تماماً بحب الوطن وهو الجزائر.

كانت الصحافة أول الوسائل التي لجأ إليها الإمام في العمل السياسي من خلال المقالات ومتابعة الأحداث السياسية، والاعتماد على جماعته من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الذين يعدون قادة الأمة حسب المنهج الإسلامي، فضلاً عن دعوة أصحاب القضية أو ممثليهم للتجمع والمطالبة بقضيتهم، فهو المؤمن بالتجمع والجهود الجماعية، كذلك استخدم العلماء في نضالهم إرسال العرائض والبرقيات بالمطالب والاحتجاجات، وشارك داعية الإصلاح الإسلامي في الحفاظ على الشخصية الإسلامية العربية من خلال المطالبة بالحقوق والواجبات تجاه الشعب الجزائري⁽²⁴⁰⁾.

في الحقيقة كانت مواقف الأمام السياسية سواء بعمله الفردي أو مع جمعية العلماء في البداية معتدلة واللهجة الخطابية لينة، واستمر ذلك حتى العام 1936م، إذ تصلبت مواقفه واشتدت لهجته²⁴¹ فبعد أن كان يغلف أفكاره السياسية بأطر دينية أو اجتماعية أو فلسفية، أصبح يجاهر بها ويعلنها للناس ويدعوهم إلى اتخاذ المواقف التي تحفظ كرامتهم⁽²⁴²⁾.

ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة الإمام عبد الحميد بن باديس.

مثلما هو مذكور سابقاً فقد ورد بند من قانون الجمعية وهو عدم التدخل في الأمور السياسية، والدلائل كلها تشير إلى أن الدافع منه هو تهدة الإدارة وعدم إثارة الشكوك حول الجمعية، لكن عند قراءة أهداف الجمعية نجد أن

⁽²³⁹⁾ رابح. (1979م). ص: 233.

⁽²⁴⁰⁾ عثمان. (1987م). ص: 128، 133.

²⁴¹ يعود السبب في ذلك خيبة الأمل التي أصابته من قبل فرنسا بعدما عرض مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري في العام 1936م، على حكومة فرنسا وقوبلت بالرفض، عندها فقد الإمام الأمل من فرنسا وأدرك تماماً أنه يجب على الشعب الجزائري الاعتماد على نفسه للحصول على حقوقه.

⁽²⁴²⁾ رمضان، فضيل. (2007م). ص: 130.

أهمها الرجوع إلى مبادئ الإسلام الأولى، أي الالتزام بتعاليم الإسلام، والإسلام مثلما هو معروف دين ودولة، يوجد حاكم مسلم تنتخبه الرعية ويتولى الجانب السياسي، ويحكم باسم الدين الإسلامي، وتلتزم الرعية بتعاليم الإسلام، وله حدود وقوانين، ومن هذا المبدأ كان على العلماء الالتزام بهدفهم الإصلاحية الشامل ومن ضمنه السياسي، ولا يقفون فقط عند حدود التعليم والدين ويهملون السياسة لأنها جانب مهم من جوانب الحياة في المجتمع.

لذلك توجب على العلماء الالتزام بتحقيق أهدافهم وإن كانت على المدى البعيد التدخل في الأمور السياسية العامة التي تخص الفرد والمجتمع، وهذا ما أوضحه محمد خير الدين عندما ذكر بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن حزباً سياسياً، ولم تعمل في ميدان السياسة الحزبية مثلها مثل بقية الأحزاب الجزائرية الأخرى، وإنما عملت في ميدان السياسة العامة التي تهدف إلى توعية الفرد وتبصره بحقوقه في الحرية والاستقلال⁽²⁴³⁾.

إذ شرح مهمة الجمعية بأنها تسعى لوضع الأساسات الأولى لتنشئة جيل عندما ينادي بالحرية والاستقلال يكون جاهزاً ومهيأ نفسياً، وذلك من خلال النهضة، وتعليم أصول الدين الإسلامي، وحب الوطن الجزائري، فأغلب الثورات التي حدثت في التاريخ قد سبقتها حركة بعث فكري، وإيقاظ قومي يعبئ الشعور، ويوضح الأهداف، ويرسم الطريق، والأمثلة كثيرة على ذلك منها جهاد رسول الله صل الله عليه وسلم، الذي لم يبدأ جهاده إلا بعد أن هيا النفوس وملأها بنور الإيمان، وكذلك تأثير محمد عبده الإصلاحية الذي لم يلجأ إلى أسلوب المواجهة والهجوم، ولم يواجه الحكام بالعمل المسلح، بل لجأ إلى إصلاح أمتة، وتعليم شعبه، وتصفية عقيدة الشعب من الشوائب، وفتح باب الاجتهاد لتتطلق العقول وتفتي إلى حمل السلاح في ميدان الجهاد، وتتحاشى العمل السياسي المباشر، والتركيز على التعليم والتربية، لذلك نجد أغلب الثورات التي حدثت في اواخر حياته وبعد وفاته كانت على أيدي الزعماء السياسيين من تلامذته⁽²⁴⁴⁾.

⁽²⁴³⁾ خير الدين. (1985م). ج.1: ص.343.

⁽²⁴⁴⁾ خير الدين. (1985م). ج.1: ص.342-341.

هذا ما أدركه رجال الإصلاح في الجزائر، وسارت خطة جمعية العلماء على هذا الأساس، وهذا تأكيد على قول ابن باديس السابق الذكر: وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال، لذلك أدرك العلماء وجوب القيام بنهضة فكرية قبل الإعلان عن أي عمل جهادي.

واعتماداً على عدم تفريق الإسلام بين السياسة والعلم فقد ذكر رئيس جمعية العلماء بهذا الصدد: "وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصاد على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة. مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد."⁽²⁴⁵⁾.

أما بالنسبة إلى مشاركة العلماء في السياسة فقد وضح - ابن باديس - بهذا الصدد: "ثم ما العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة ؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رشليو؟ افيجوز الشيء ويحسن إذا كان من هناك؟ ويحرم ويقبح إذا كان من هنا ..؟ كلا لا عيب ولا ملامة وإنما لكل امرئ ما اختار ويمدح ويذم بحسب سلوكه في اختياره."⁽²⁴⁶⁾.

من هذا المبدأ انطلقت جمعية العلماء للتدخل في الأمور السياسية العامة التي كانت تشغل المجتمع الجزائري وأهمها رفض التجنيس والاندماج، والمحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية.

1. رفض التجنيس.

بعد تأسيس جمعية العلماء انصرف أعضاؤها إلى تحقيق أهدافها المتمثلة بحل أهم القضايا التي تخص الوطن الجزائري، ومنها فتح المدارس للتعليم، والدروس في المساجد لتعليم أصول الدين، وفتح النوادي لإلقاء

⁽²⁴⁵⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1937م، 18 حزيران)، الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق. البصائر. العدد: 71. ص: 168. الجزائر.

⁽²⁴⁶⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1933م، كانون الأول). حول تصريحات الوالي العام. الصراط السوي. العدد: 15. ص: 4. 5. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي.

المحاضرات، وعقد الاجتماعات لتداول أمور البلاد، ولكن كان هناك قضيتان شغلنا الوسط الجزائري، ومستأ بالشخصية الوطنية الجزائرية، وهما قضية الحصول على الجنسية الفرنسية وإدماج الجزائر بفرنسا، ولم يستطع العلماء الوقوف صامتين أمام هاتين القضيتين، لأن شرط الحصول على الجنسية الفرنسية هو التخلي عن الأحوال الشخصية، أي التخلي عن الدين الإسلامي، وطمس الهوية الوطنية الجزائرية.

ظهر قانون منح الجنسية الفرنسية للجزائريين أول مرة في 14 تموز من العام 1865م، وهو قانون السيناتوس كونسولت (Le Senatus en consulte)، شرط تخلي الجزائريين عن أحوالهم الشخصية⁽²⁴⁷⁾، وظهرت فئة بين الجزائريين نشأت في مدارس الفرنسيين، أخذت إلى التجنيس بالجنسية الفرنسية وترغب فيها، والتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، وذلك من أجل الحصول على بعض الحقوق السياسية⁽²⁴⁸⁾. اشتدت بعد ذلك دعوة بعض الجزائريين إلى التجنيس بعد مرور قرن على احتلال فرنسا للجزائر، وأرادوا أن يكثّر عددهم فأسسوا بعض الجرائد التي صارت تحت الجزائريين على التجنيس من أجل الحصول على الحقوق الفرنسية، مقابل التخلي عن أحد أهم مقومات الشخصية الجزائرية وهو الدين الإسلامي⁽²⁴⁹⁾.

إزاء هذا الوضع الذي أصبح يهدد إسلام الجزائر وعروبتها، هاجم العلماء وبقوة محاولة فرنسا تجنيس الجزائريين، وشنوا حملة على سياسة التجنيس ودعائه بواسطة الخطابة، والندوات العامة، والدروس، والجرائد ولا سيما البصائر لتحذير المواطنين من الخطر الداهم الذي يحدق بهم⁽²⁵⁰⁾، وكتب أحمد توفيق المدني مقالاً في جريدة الشهاب بعنوان: (نحن بين الموت والحياة)، حذر فيه الشبيبة الجزائرية من اتباع سبيل التجنيس الذي يؤدي حتماً إلى

⁽²⁴⁷⁾ مراد. (2007م). ص: 491.

⁽²⁴⁸⁾ حميدانو. (1997م). ص: 102.

⁽²⁴⁹⁾ عامره، تركي رابح. (2004م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956م) ورؤساؤها الثلاثة. الجزائر. المؤسسة الوطنية

للفنون المطبعية. ص: 47.

⁽²⁵⁰⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 239.

التخلي عن الوطنية والتاريخ واللغة والشريعة الإسلامية، ويشرح مخاطر الفرنسة على الشخصية الوطنية الجزائرية⁽²⁵¹⁾.

وكتب الطبيب العقبي في جريدة البصائر مقالاً بعنوان: (كلمتي الصريحة في التجنيس والمتجنسين)، جاء فيه: "التجنيس - بمعناه المعروف في شمال إفريقيا - حرام، والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه، ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر مرتد عن دينه بإجماع المسلمين"⁽²⁵²⁾.

هاجم العلماء المصلحون الدوافع التي جعلت بعض ضعاف النفوس تستميلهم مغريات التجنيس، وعدّوا أن القلة القليلة التي تتجنس بالجنسية الفرنسية، تحصل على امتيازات كثيرة منها الحق في الحرية والأمن وفي الأفضلية الاجتماعية، بينما بقيت الأغلبية الجزائرية تعاني من نظام قانون الأهالي "الانديجانا"⁽²⁵³⁾.

كما توالى المقالات من طرف العلماء حول التجنيس ومخاطره، ولاسيما بعد إصرار دعاة التجنيس على توسيع دعايتهم إذ عقدوا اجتماعهم في العام 1934م، لمطالبة الحكومة بتسهيل التجنيس، سعياً منهم لتكثير سوادهم⁽²⁵⁴⁾، بالمقابل شدد العلماء على هذه القضية إلى أن خرج ابن باديس بالفتوى الإسلامية ضد المتجنسين التي أدت دوراً حاسماً بالنسبة إلى الجزائريين وفرنسا وجاء فيها: "التجنيس بجنسية غير إسلامية²⁵⁵ يقتضي رفض أحكام

⁽²⁵¹⁾ مراد. (227م). ص: 492.

⁽²⁵²⁾ العقبي، الطبيب. (1937م، الجمعة، تموز). كلمتي الصريحة في التجنيس والمتجنسين. البصائر. العدد: 77. ص: 213. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

⁽²⁵³⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 239.

⁽²⁵⁴⁾ حميداتو. (1997م). ص: 103.

²⁵⁵ المقصود بالجنسية الإسلامية هي الديانة الإسلامية، أي استبدال الديانة الإسلامية بديانة أخرى.

الشريعة. ومن رفض حكماً واحداً من أحكام الإسلام عُدَّ مرتداً عن الإسلام بالإجماع. فالمتجنس مرتد بالإجماع.⁽²⁵⁶⁾

إذا ختمت جمعية العلماء حملتها ضد التجنيس بتكفير كل من يتخلى عن أي حكم من أحكام الإسلام، وكانت هذه الفتوى بمنزلة الضربة القاضية بالنسبة إلى المتجنسين، وقد صادقت عليها لجنة الإفتاء في الجمعية، وكان لها صداها في كامل أقطار المغرب العربي، إذ فزع المتجنسون بعد انتشار هذه الفتوى وحطمت كل آمالهم، وكذلك كانت ضربة قاضية بالنسبة إلى سياسة الاستعمار في تجنيس الجزائريين⁽²⁵⁷⁾.

وكان الجزائريون ينظرون إلى المتجنسين نظرة سخرية، بالمقابل كانوا يعيشون حالة صعبه في الجزائر لأن المجتمع الفرنسي يرفضهم بسبب سياسة التمييز العنصري، ويعدّهم الجزائريون منبوذين وطبقة خارج المجتمع⁽²⁵⁸⁾، لذلك عملوا جاهدين إلى المطالبة بإدماج الجزائر بفرنسا بالكامل، فماذا فعل العلماء حيال ذلك؟

2. رفض الاندماج والدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية.

نشأت فكرة الاندماج مع فرنسا بين المتجنسين الذين كانت أكبر أمنيتهم رؤية جميع الجزائريين يتمتعون بالجنسية الفرنسية، ليتخلصوا من وضعهم الشاذ في المجتمع الجزائري، وقد انقسم دعاة الاندماج إلى قسمين، الأول: الذين وافقوا على أخذ الجنسية الفرنسية، وطالبوا بالاندماج التام والكامل مع فرنسا، ومنهم الزناتي صاحب جريدة صوت الأهالي (La voix indigene)، الذي جعل عنوان افتتاحية العدد الأول من جريدته (الجزائر ستصبح فرنسية)،

⁽²⁵⁶⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1938م، الجمعة، 14 كانون الثاني). فتوى جمعية العلماء في التجنيس الكلي والجزئي. البصائر. العدد: 95. ص: 45.

قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

⁽²⁵⁷⁾ عمارة. (2004م). ص: 5049.

⁽²⁵⁸⁾ سعد الله. (1992م). ج: 2. ص: 404403.

وكان من الحزب الاندماجي، فضلاً عن بعض النواب والشخصيات الجزائرية الأخرى، كان هؤلاء يرون أن لا خلاص للشعب الجزائري إلا بالانضمام إلى الحضارة الفرنسية قلباً وقالبا⁽²⁵⁹⁾.

أما القسم الثاني فهم النخبة الذين لم يكونوا يتمنون شيئاً سوى الاندماج في الأمة الفرنسية شريطة أن يحتفظوا بقانونهم الشخصي الإسلامي، ومنهم الدكتور ابن جلول وصديقه ومعاونه فرحات عباس، وأغلب النواب الماليين، إذ كانوا يرون بأن الاندماج هو السبيل الوحيد للتخلص من الممارسات الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين ولاسيما قانون الأهالي، وقد ازدادت النداءات بالاندماج مع فرنسا خلال الاحتفالات المئوية لأنها كانت لحظة مجد بالنسبة إلى الفرنسيين وأصحاب الاندماج، وأكدت في نفوسهم بأن الوحدة الفرنسية الجزائرية أمر حاصل لا محالة⁽²⁶⁰⁾.

ازدادت آمال أنصار الاندماج عندما اقترح حاكم الجزائر العام السابق موريس فيوليت (Maurice viollette)²⁶¹، أن يمنح الجنسية الفرنسية لبعض الفئات المدنية والعسكرية من مسلمي الجزائر، وعلى منح الجزائريين بعض الحريات بصورة تدريجية، والشروع في منح الحق النيابي لبعض الجزائريين في البرلمان الفرنسي، وقد اثار هذا الاقتراح ضجة في كل من فرنسا والجزائر، فقد استقبله أنصار الاندماج الجزائريين بالفرح لأنه يلبي طموحاتهم السياسية في ذلك الوقت، بينما عارضه بشدة المستوطنون وممثلون في مجلس النواب الفرنسي بشدة، وبعض الأحزاب الوطنية الجزائرية⁽²⁶²⁾.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد نظرت إلى هذا الاقتراح أو المشروع بشيء من التردد لأنه ينص على منح الجنسية شرطاً للحصول على حق الانتخاب، إذ إنه لا يمنح الحقوق السياسية بالنسبة إلى الجزائريين إلا بعد تخليهم عن أحوالهم الشخصية، وخشيت الجمعية من جذب عدداً كبيراً من الشباب المسلمين الجزائريين للحصول

⁽²⁵⁹⁾ مراد. (2007م). ص: 497, 496.

⁽²⁶⁰⁾ مراد. (2007م). ص: 498, 496.

²⁶¹ موريس فيوليت (1960.1870م) سيناتور ماسوني من رجال الحزب الاشتراكي الفرنسي حكم الجزائر بين العامي 1925 و 1927م، وزير الدولة المكلف بشؤون الجزائر في حكومة الجبهة الشعبية، وأصبح نائباً في مجلس الشيوخ بعد استقالته من منصب الحاكم العام في الجزائر، وأسهم اسهاماً كبيراً في السياسة الفرنسية في المستعمرات، وهو مهندس مشروع بلوم - فيوليت 1936م. للمزيد راجع: سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 18.

⁽²⁶²⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 242.

على الجنسية الفرنسية من أجل حصولهم على حقوقهم السياسية، والاستغناء عن أحوال دينهم الشخصية، هذا التردد من قبل الجمعية جعلها تدخل في مناقشات مع أنصار الاندماج، وبقي المشروع حيز الكلام فقط بسبب المعارضة حوله، وتغلب الأحداث السياسية على الساحة الجزائرية⁽²⁶³⁾.

في هذه المدة ازداد النشاط السياسي لأحد أهم أعضاء أنصار الاندماج وهو الصيدلاني فرحات عباس الذي لم يعترف بوجود الوطن الجزائري أو الشخصية الجزائرية في مقولته الشهيرة: "لقد تحاورت مع شخصيات كثيرة بخصوص هذه المسألة لكنني لم أقتنع بها، فلو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنياً، على أني لن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له، فإني لم أعثر عليه. وسألت التاريخ، وسألت الأحياء والأموات، وزرت المقابر: فلم يحدثني أحد عنه.... فلا يقام بناء على الريح. وقد أبعدنا نهائياً السحب الكثيفة والأوهام لتربط نهائياً مستقبلنا بمستقبل صنيع فرنسا في هذه البلاد..."⁽²⁶⁴⁾.

أثار هذا الكلام أعضاء جمعية العلماء وعلى رأسهم الأمام عبد الحميد بن باديس ووقفوا في وجه أنصار الاندماج وقطعوا الطريق عليهم لمنع اندماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، كرد على النخبة الاندماجية وكان خير رد عليهم ما قاله ابن باديس رداً على فرحات عباس حول إنكار الوطن الجزائري: "قال البعض من النواب المحليين، ومن كبار الموظفين في هذه البلاد، إن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على عدّ نفسها أمةً فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا....، بل قال أحد النواب النابهين إنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها أثراً، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر؛ وأخيراً أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا!"⁽²⁶⁵⁾.

⁽²⁶³⁾ مراد. (2007م). ص: 499.

⁽²⁶⁴⁾ جوليان. (1976م). ص: 133.

⁽²⁶⁵⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1936م، نيسان). كلمة صريحة. الشهاب. م: 12. ج: 1. ص: 4746. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

ويتابع: "إننا نحن ففتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا. ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية... ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا- ولا يمكن أن تكون فرنسا- ولا تريد أن تصبح فرنسا. ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج."⁽²⁶⁶⁾، ويضيف: "ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، الذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية"⁽²⁶⁷⁾.

بهذا الرد تبين موقف جمعية العلماء ضد سياسة الاندماج ورفضها التام له، وبرز دفاعها عن الشخصية الوطنية الجزائرية ولا سيما من الذين أنكروها، وكما وقفت جمعية العلماء ضد التجنيس بالجنسية الفرنسية، فقد عارضت الاندماج وأنصاره؛ الأمر الذي سبب لها الكثير من العداوات على الساحة الجزائرية، سواء من أصحاب الطرق أو أنصار التجنيس والاندماج، ومنذ أن بدأت ملامح الجمعية السياسية تظهر بدأ المتآمرون عليها من أصحاب الطرق والاندماج بتقديم تقارير لدى الحكومة الفرنسية ضدها، فما الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال ضد الجمعية؟ وما موقف الجمعية منها؟

ثالثاً: الإجراءات التعسفية الفرنسية المتخذة ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

عندما تأسست جمعية العلماء في العام 1931م، كان موقف السلطات الاستعمارية منها في البداية معتدلاً ، لكن بعد أن أخرج أصحاب الزوايا والموظفين المواليين للسلطات من عضويتها كما لوحظ سابقاً، بدأ هؤلاء بشن حرب ضدها، وتقديم تقارير للسلطات الفرنسية بأن أعمالها مخالفة للسياسة الفرنسية، ولا سيما بعد نجاحها في استقطاب أعداد كبيرة من العلماء والطلبة بعد تأسيسها بمدة وجيزة.

⁽²⁶⁶⁾ بن باديس. (1936م، نيسان). كلمة...ص: 4847.

⁽²⁶⁷⁾ بن باديس. (1936م، نيسان). كلمة...ص: 48.

واجهت جمعية العلماء نتيجة لذلك ضغوطات عديدة من قبل سلطات الاستعمار في العام 1932م، التي كانت تراقبهم عن كثب عندما بدأ علماءها برحلات إلى المناطق الجزائرية، وقاموا بإلقاء المحاضرات في المساجد والمدارس الحرة وفي بيوت الشخصيات التي كانت تستدعيهم، وكذلك الحال عندما بدأت المواقف السياسية لجمعية العلماء تظهر في العام نفسه، من خلال قيام قادة الجمعية بحركة نشيطة بدعوة الشعب الجزائري إلى مقاطعة البضائع اليهودية، ومحاربة فكرة إعطاء الجنسية الفرنسية للجزائريين، في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية دون التخلي عن الجنسية الجزائرية⁽²⁶⁸⁾.

لذلك غيرت سلطات الاحتلال موقفها من الجمعية وعدّتها جمعية خطيرة نظراً إلى مواقفها الوطنية، وأكد الأمين العام الفرنسي للجزائر في العام 1932م أن جمعية العلماء تحولت إلى قوة سياسية تقوم بدعاية مغرضة في صفوف الشبان الجزائريين، وتحرضهم على معاداة فرنسا⁽²⁶⁹⁾، ورافق هذا التصريح تصريحات أخرى ضد العلماء، ومنها أنها جمعية سياسية في ثوب ديني، وأنها تخفي الوطنية بستار العلم والعربية، وتستتر القومية بستار الدين، وتخدم سياسة أجنبية، فعدها أداة تعمل لصالح الجامعة العربية الإسلامية والقومية العربية، ونظر إليها الاستعمار كقاعدة للحركة الوطنية الإسلامية، وخصم لا للثقافة الفرنسية فحسب بل لوجود فرنسا نفسه في الجزائر⁽²⁷⁰⁾.

وبدأت بعد ذلك المضايقات الاستعمارية للجمعية، وأصدرت قراراً يقضي بمراقبتها ومتابعة العلماء على أساس أن هذه المنظمة تشكل خطراً على الوجود الفرنسي، وأصدرت مراسيم عدة تخول الموظفين الدينيين المعيّنين من طرف الفرنسيين احتكار الوعظ والإرشاد في المساجد، وكان أول إجراء ضد العلماء هو منعهم من الإرشاد

⁽²⁶⁸⁾ بوحوش (1997م). ص: 252. أيضاً: خيريك، نمير. (2014، 2015م). ص: 428.

⁽²⁶⁹⁾ خير بك، نمير. (2014، 2015م). ص: 428.

⁽²⁷⁰⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1997م). أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر). تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. خمسة أجزاء. ج: 3. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص: 61. أيضاً: مراد. (2007م). ص: 475.

والوعظ في مسجد تلمسان في العام 1933م، وفي العام نفسه مُنِعَ الشيخ الطيب العقبي من إلقاء الدروس في المساجد الرسمية⁽²⁷¹⁾.

قامت بعد ذلك سلطات الاحتلال بالتدخل في الشؤون الإسلامية الجزائرية، فقد قام الكاتب العام لعمالة الجزائر الفرنسي بحل الجمعية الدينية الإسلامية في عاصمة الجزائر بتاريخ 27 شباط من العام 1933م، واستعاض عنها بتكوين جمعية دينية إسلامية اختار أعضاؤها من بعض أعوان الإدارة، وتولى رئاستها الكاتب العام للجزائر السيد ميشال (Michel)، وقد عدت الأوساط الإسلامية الجزائرية هذا القرار - مهزلة المهازل - تجاه الدين الإسلامي⁽²⁷²⁾ وأصدر هذا الوالي قراراً إلى مصالح الأمن والإدارات الفرنسية بمراقبة العلماء، ومنعهم من الوعظ والتدريس بالمساجد، وأُغلق في السنة نفسها عددٌ من مدارس الجمعية في عمالة وهران، وتغريم العشرات من معلميها وسجنهم بتهمة التعليم دون الحصول على إذن السلطات⁽²⁷³⁾.

على إثر ذلك قدمت جمعية العلماء برقية احتجاج إلى المسؤولين الفرنسيين سواء في فرنسا أو الجزائر ضد القرارات التعسفية، منها منع العلماء من التعليم، وقرار ميشال وغيرها... وقد نشرت برقية الاحتجاج في جريدة الشريعة المحمدية⁽²⁷⁴⁾ واستمرت مضايقات سلطات الاحتلال لجمعية العلماء بإغلاق أغلب صحفها في العام 1933م، ومنها جريدة السنة، وتلتها الشريعة وبعدها الصراط⁽²⁷⁵⁾.

وتوالت المراسيم الفرنسية ضد العلماء مع ازدياد نفوذها السياسي على الساحة الجزائرية، فقد أُصدر مرسوم ريني (Regnier)، وزير الداخلية الفرنسي في 5 نيسان من العام 1935م، الذي تضمن السجن ما بين شهرين وستين لكل من يقاوم السيادة الفرنسية في المستعمرات، ويقف ضد تطبيق المراسيم والقرارات والقوانين الفرنسية، وبعد

⁽²⁷¹⁾ بو الصفصاف. (1996م). ص: 156.

⁽²⁷²⁾ عامره. (2004م). ص: 8180.

⁽²⁷³⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 374.

⁽²⁷⁴⁾ الزهراوي، محمد. (1933، الاثنين، 17 تموز). الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. الشريعة النبوية المحمدية. العدد:

الأول. ص: 4. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي.

⁽²⁷⁵⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 375.

مشاركة جمعية العلماء السياسية في المؤتمر الإسلامي الجزائري ازداد سخط السلطات عليها فأصدرت مرسومي 13 كانون الثاني، و 8 آذار من عام 1938م، بخصوص منع افتتاح نوادي للجمعية إلا برخصة، والحد من نشاطات نواديها السابقة ومحاربة التعليم الحر⁽²⁷⁶⁾.

ثم جاء قرار شوطان (Chautemps)، رئيس الوزراء الفرنسي في العام نفسه الذي عدّ اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، وقرّر بأن كل جريدة تصدرها جمعية العلماء في المستقبل هي معطلة سلفاً، وجدد منع افتتاح المدارس العربية بلا رخصة⁽²⁷⁷⁾.

وكان آخر مرسوم ضد العلماء في حقبة الثلاثينيات هو مرسوم 27 آب من العام 1939م، الذي أجاز منع كل المطبوعات التي تضر بالأمن الوطني الفرنسي، ومن خلال هذا القرار منعت جريدة الدفاع الناطق بسياسة الجمعية والصادرة باللغة الفرنسية من الصدور⁽²⁷⁸⁾.

لم تقف جمعية العلماء مكتوفة الأيدي أمام هذه القرارات الجائرة، بل قامت بالتنديد والاحتجاج من خلال صحفها وتقديم العرائض وإرسال الوفود إلى فرنسا بشأنها، فضلاً عن عقد الاجتماعات للبحث في هذه القوانين، فتوالت المقالات التي تندد بالحرب ضد التعليم العربي، ونشر ابن باديس مقالاً في جريدة الصراط السوي بعنوان: "من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟"⁽²⁷⁹⁾، شرح فيه أهمية التعليم بالنسبة إلى الأطفال الجزائريين وندد بمنع السلطات له.

فضلاً عن ذلك وجه ابن باديس احتجاجاً باسم جمعية العلماء المسلمين إلى الوالي العام بشأن منع التعليم الحر جاء فيه: "سيدي الوالي العام أتشرف بتقديمي لكم اللائحة الآتية المصادق عليها بالإجماع من المجلس الإداري

⁽²⁷⁶⁾ بلاح. (2006م) ج: 1، ص: 375.

⁽²⁷⁷⁾ الأبراهيمي. (1997م) الأثر... ج: 5، ص: 262.

⁽²⁷⁸⁾ بلاح. (2006م) ج: 1، ص: 375.

⁽²⁷⁹⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1933م، 25 أيلول). من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا؟. الصراط السوي. العدد: 3، ص: 1. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي.

لجمعية العلماء وأنا متألم ومتأسف أشد الأسف للمظالم والاعتداءات المتكررة على رؤساء جمعيات التهذيب والتعليم العربي وأعضائها.⁽²⁸⁰⁾ وشرح في الاحتجاج ضرورة إلغاء الرخص لفتح المكاتب وعمليات المحاكمة للقائمين على فتحها مع العلم أنهم يعملون ضمن القوانين الفرنسية، وطلب من الوالي باسم المجلس الإداري لجمعية العلماء أن يرسل الحكام المحليين ليسهلوا فتح المدارس، ويكفوا عن محاكمة الذين فتحوا المكاتب.

كانت الأمثلة كثيرة على اعتراضات جمعية العلماء على القوانين الفرنسية ضدها سواء منع التدريس أو إغلاق الصحف، أما بالنسبة إلى التضييق على النوادي بإصدار قانون يمنع بيع المشروبات فيها، فقد عدّه الإبراهيمي وجمعية العلماء حلقة من حلقات السلسلة الموضوعة لتطبيق التعليم العربي من جميع نواحيه، فمنع بيع المشروبات المباحة في النوادي يؤدي إلى خلو النوادي من روادها، لعدم ما يجذبهم إليها، وما يحببهم فيها.⁽²⁸¹⁾

أما بالنسبة إلى الاتهامات التي وجهتها سلطات الاحتلال وأعوانها لجمعية العلماء بأنها تتدخل في الأمور السياسية، وأنها أداة لمنظمات خارجية وغيرها، فقد رد الإبراهيمي على هذه الاتهامات بأن جمعية العلماء أشرف من أن تعمل لغير مبدئها، وأنها تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهم حقائقه، وتطالب الاستعمار بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها، واستقلال قضائه، وتطالب بحرية التعليم العربي وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي العروبة والإسلام مجتمعين في وطن واحد، وتعمل على إحياء اللغة العربية، وتوحيد كلمة المسلمين وتقوية روابط العروبة، فإذا كانت هذه الاعمال تُعد سياسة، فالعلماء سياسيون في العلانية لا في السر.⁽²⁸²⁾

وهكذا وقفت جمعية العلماء ضد القوانين التعسفية طوال حقبة الثلاثينيات موقف المدافع عن حقوقه المشروعة، وحاولت أن تضم الفئات الجزائرية لتوحيد صفهم وكلمتهم ضد الممارسات الاستعمارية، التي تعدّت إلى التدخل السافر في شؤون الدين الإسلامي، ونجحت بقيادة ابن باديس في لم شمل غالبية الأحزاب الجزائرية لعقد

⁽²⁸⁰⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1937م، 23 تموز). في الاجتماع الإداري الأخير. البصائر. العدد: 76. ص: 206. الجزائر.

⁽²⁸¹⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1947م، 25 تموز). استهلال. البصائر. العدد: الأول من السلسلة الثانية. ص: 3. قسنطينة: الجزائر.

⁽²⁸²⁾ الإبراهيمي. (1997م). الآثار... ج: 3. ص: 62.

مؤتمر يبحث في الوضع العام للجزائر، وتقديم مطالب الجزائريين إلى الحكومة الفرنسية، فكان المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي عقد في العام 1936م.

رابعاً: المؤتمر الإسلامي الجزائري ودور جمعية العلماء فيه.

أصبح لجمعية العلماء قاعدة شعبية كبيرة على الساحة الجزائرية، وكان لابن باديس تأثير واضح في نفوس الجزائريين من خلال مقالاته وخطبه، وبعد كسب هذه القاعدة الشعبية الكبيرة سواء من الطلبة أو الفئات الشعبية الأخرى من علماء وغيرهم، حتى بين الأحزاب السياسية الأخرى التي كانت تكن لابن باديس وأعضاء الجمعية الاحترام، قرر ابن باديس أن يخطو خطوة جريئة ويشارك في المسائل السياسية التي تخص الحقوق السياسية للجزائريين، وذلك من خلال حث الأحزاب السياسية الأخرى ودعوتها إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري للنظر في المطالبة بإصلاحات شاملة للشعب الجزائري، وتقديمها للحكومة الفرنسية، لعل وعسى تحقق آمال الجزائريين.

1. فكرة المؤتمر والدعوة إلى عقده.

يذكر سعد الله أن فكرة عقد مؤتمر إسلامي جزائري كان نتيجة انعقاد المؤتمرات الإسلامية في بعض البلاد العربية، وبعض البلاد الأوروبية في العشرينيات والثلاثينيات، التي اهتمت بأمور المسلمين، من هذه المؤتمرات المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس 1931م، لحماية حائط البراق الشريف من اليهود، ومؤتمر قصر هلال بتونس عام 1934م الذي انبثق عن الحزب الدستوري التونسي وضم المناضلين في البلاد التونسية، ومؤتمر الخلافة الإسلامية الذي انعقد في القاهرة، ومؤتمر مسلمي أوروبا الذي انعقد في جنيف في عام 1935م تحت رئاسة الأمير

شكيب أرسلان⁽²⁸³⁾، وقد نشرت الشهاب أخبار بعض هذه المؤتمرات في مقالاتها، لذلك فإن فكرة المؤتمر قد اختمرت في أذهان بعض القادة الجزائريين²⁸⁴ وبالرجوع إلى جريدة الشهاب في المدة الممتدة بين العامين 1930 و1936م، نجد مجموعة من الآراء التي تحث على التجمع، وتكوين الأحزاب وتنظيم الشعب، وعقد الاجتماعات على نطاق جديد لمواجهة التطورات الجديدة في الجزائر⁽²⁸⁵⁾.

لذلك دعا ابن باديس أعضاء المكتب الدائم لجمعية العلماء لعقد اجتماع طارئ في أواخر العام 1935م، ولبى الدعوة الإبراهيمي، والأمين العمودي، ومحمد خير الدين، واعتذر كل من الشيخين مبارك الميلي لمرضه والعربي التبسي^(1895-1957م)²⁸⁶، لقيامه بمهمة تخص الجمعية، وعقد الاجتماع بعد أن أرسل الشيخان الغائبان موافقتهم على ما يقرره الأعضاء في الاجتماع⁽²⁸⁷⁾.

قال ابن باديس في الاجتماع: "نظراً إلى تدهور الحالة العامة في الجزائر، والبلبلية السياسية السائدة، واختلاف الأحزاب والهيئات الوطنية وتشتتها، رأيت أن أدعو إلى مؤتمر جزائري عام، يجمع الشمل ويوحد الصف، ويحدد الهدف، لأن المرجع في أمور الأمة يعود على الأمة، والوساطة لذلك هي المؤتمرات والندوات التي تفحص

⁽²⁸³⁾ سعد الله. (1992م). ج.3: ص.151. أيضاً راجع: بو الصفصاف. (1996م). ص:329.

²⁸⁴ إن الدليل على صحة هذا الكلام أنه عندما وجه ابن باديس الدعوة إلى عقد المؤتمر تلقى استجابة سريعة من أغلبية الأحزاب السياسية وهذا اثبات واضح بأن فكرة المؤتمر كانت تستهوي نفوس أغلب قادة الأحزاب الجزائرية.

⁽²⁸⁵⁾ سعد الله. (1992م). ج.3: ص.152.

²⁸⁶ كان الشيخ العربي بن قاسم التبسي أحد رجال الفكر الإصلاحي، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء، ولد بناحية المقطع جنوب ولاية تبسة في العام 1895م، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم والمعارف بمسقط رأسه على يد والده، درس في جامع الزيتونة بتونس وأيضاً بالأزهر واختير في العام 1935م، كاتباً عاماً للجمعية، ثم نائباً لرئيسها الشيخ الإبراهيمي في العام 1940م، وكان مديراً لمعهد ابن باديس بقسنطينة في العام 1947م، وكان يشرف على مدارس جمعية العلماء وجريدة البصائر، خطفه الفرنسيون في 17 نيسان من العام 1957م، وأصبح في عداد المفقودين الشهداء من وقتها. للمزيد راجع: الفرحي، بشير كاشة. (2004م). إمام المجاهدين الشهيد العربي التبسي. الجزائر. دار الافاق. ص:11. 12. أيضاً راجع: حميدانو. (1997م). ص:105.

⁽²⁸⁷⁾ خير الدين. (1985م). ج.1: ص.327.

فيها الأمور وتحصص النتائج، والإجماع أصل من أصول تشريعنا الإسلامي، فلماذا لا نعمل به في السياسة؟⁽²⁸⁸⁾.

بعد ذلك طلب ابن باديس من الحاضرين التعبير عن رأيهم في هذا الموضوع، والموافقة على توجيه الدعوة باسم رئيس جمعية العلماء إلى مثقفي العربية والفرنسية والأحزاب والنواب وإلى الطوائف والمنظمات الوطنية، لعقد هذا المؤتمر لدراسة الحالة الراهنة وأبعادها ونتائجها، فوافقه الحاضرون على ما طلب، ونشر الدعوة في جريدة الدفاع العائدة للأستاذ العمودي، وذكر فيها العمل على عقد مؤتمر لم يسبق له مثيل في تاريخ الجزائر، فكان لهذه الدعوة صدى عظيم وواسع في المجتمع الجزائري⁽²⁸⁹⁾.

2. عقد المؤتمر وأهم مطالبه.

تقبلت معظم الأحزاب السياسية دعوة ابن باديس ومن بينها الحزب الشيوعي الجزائري، وأنصار الاندماج ومن بينهم ابن جلول وفرحات عباس، ولكن قبل الدكتور ابن جلول فكرة المؤتمر بشرط أن يكون هو رئيساً له، ورئيس اللجنة التنفيذية، لأنه كان يخشى أن تطغى سمعة ابن باديس على شخصيته، وتسارعت الأحزاب السياسية للتحضير للمؤتمر الذي لم يدم تحضيره سوى ثلاثة أسابيع لأن مختلف الأحزاب السياسية كانت مستعدة وراضية عن الفكرة⁽²⁹⁰⁾.

كان الحدث الأكبر بالنسبة إلى جمعية العلماء عندما دعا ابن باديس في 15 أيار من العام 1936م، زعيم فدرالية المنتخبين الجزائريين (أنصار الاندماج)، ابن جلول إلى عقد المؤتمر الإسلامي ومناقشة الإصلاحات السياسية في الجزائر، وقد حضر الاجتماع بعض الشخصيات الجزائرية ومن بينهم فرحات عباس، وتوصلوا إلى عقد اجتماع

⁽²⁸⁸⁾ خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 327.

⁽²⁸⁹⁾ خير الدين. (1985م). ج: 1. ص: 327-328.

⁽²⁹⁰⁾ بو الصفا. (1996م). ص: 339.

تحضيره في 6 حزيران العام 1936م، بنادي الترقى مقر جمعية العلماء، وقد سبق انعقاد المؤتمر بيوم واحد فقط، وبهذا العمل الفريد من نوعه بالنسبة إلى جمعية العلماء تحولت الجمعية إلى حزب سياسي هدفه خلق جبهة إسلامية مثلما أسس الفرنسيون الجبهة الشعبية²⁹¹ في فرنسا، وظهرت جهود العلماء بعقد أول مؤتمر إسلامي يوم الأحد 7 حزيران من العام 1936م، حيث ضم أغلبية الأحزاب الجزائرية⁽²⁹²⁾.

جاء اليوم المنشود واجتمع المؤتمر في 7 حزيران في قاعة للسينما الكبيرة الماجستيك (Majestic) (الأطلس اليوم)، وضم المؤتمر السياسيين البارزين والممثلين للعلماء، وفدرالية المنتخبين، والحزب الشيوعي الجزائري، ولم يكن حزب نجم شمال إفريقيا ممثلاً رسمياً في المؤتمر، لأن سياسته تعد متطرفة من شأنها أن تعرض حوار الجزائريين مع حكومة فرنسا للخطر⁽²⁹³⁾، على الرغم من الخطاب الذي ألقاه زعيم الحزب مصالي الحاج، وأقر فيه أنه جاء شخصياً من فرنسا ليربط النجم بهذه المظاهرة الكبيرة (المؤتمر)⁽²⁹⁴⁾.

أما العلماء فقد مثلهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي والشيخ محمد خير الدين، والطبيب العقبي والأمين العمودي، وذلك لتقديم آرائهم فيما يتعلق بالمطالب الدينية واللغة العربية، وبدأ المؤتمر بإلقاء كلمة من أبرز الشخصيات المهمة، مثل الدكتور ابن جلول وشرح الغرض من المؤتمر، وتلاه فرحات عباس وغيرهم⁽²⁹⁵⁾.

²⁹¹ أسس الفرنسيون الجبهة الشعبية بقيادة الاشتراكي ليون بلوم (Leon Blum)، لمجابهة الخطر الفاشي ومدعومة من أحزاب اليسار، نجحت في الوصول إلى الحكم في انتخابات 3 أيار من العام 1936م، وفرح الجزائريون بفوزها ومن بينهم العلماء، لأن قائدها أعلن عن إرادته في تحسين الأوضاع المتدهورة في فرنسا وفي مستعمراتها، وأطلقت حكومته سراح المعتقلين الجزائريين والمنفيين جنوب البلاد، وأمرت بتطبيق النظم الاجتماعية الجاري العمل بها في فرنسا على الجزائريين، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية للأهالي المسلمين مثل مساعدة الفلاحين الصغار وغيرها من الإصلاحات. للمزيد راجع: بو الصفصاف. (1996م). ص: 330.

⁽²⁹²⁾ بوحوش. (1997م). ص: 259.

⁽²⁹³⁾ صاري، أ، قداش، م. (1987م). المقاومة السياسية (1900-1954م) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري. ترجمة: عبد القادر بن حراث. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 31.

⁽²⁹⁴⁾ سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 165.

⁽²⁹⁵⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1936م، تموز). يوم الجزائر. الشهاب. مج: 12. ج: 5. ص: 202. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

وجاء دور العلماء بعد ذلك، فخطب الشيخ عبد الحميد بن باديس باللغة العربية الفصحى، وشرح المطالب الدينية والمطالب المتعلقة باللسان العربي، وبين أنها جزء جوهري من المطالب الجزائرية العامة، تلاه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكلمة الختام كانت للشيخ الطيب العقبي، وكان كلامه مؤثراً في نفوس الجزائريين بعبارات رصينه ندد من خلالها بالقرار الجائر المتخذ ضد جمعية العلماء ، وهو قرار ميشال الذي ينص على إغلاق المساجد في وجوه علماء الأمة، وحل الجمعية الدينية⁽²⁹⁶⁾.

اتفق المؤتمر على قائمة من المطالب التي تمثل آمال الأغلبية من الجزائريين، ولخصت هذه المطالب في وثيقة أُعطي لها عنوان: "الميثاق المطالب للشعب الجزائري المسلم"⁽²⁹⁷⁾، التي تضمنت جملة من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أبرزها: إلغاء جميع القوانين الاستثنائية، والحاق الجزائر بفرنسا مع المحافظة على الشخصية الإسلامية، وإلغاء الولايات العامة ونظام البلديات المختلطة، وحق التمثيل النيابي بالنسبة إلى الجزائريين في البرلمان الفرنسي ، وفصل الدين عن الدولة، وإلغاء المحاكم العسكرية، والعفو عن المحكومين، ومنع استخدام كلمة انديجان وهجر استخدامها... الخ⁽²⁹⁸⁾.

أما العلماء في المؤتمر فقد قدموا مطالبهم كبقية الأحزاب السياسية الأخرى، التي تتركز على مطالب سياسية، ومطالب تتعلق باللغة العربية والشؤون الدينية، أما المطالب السياسية فقد جاءت باسم ابن باديس، وتتمثل في رفع جميع الأوضاع الخاصة مثل المتصرفيات، ومجالس المندوبين الماليين، وإلغاء نظام البلديات المختلطة والمعاملات الخاصة مثل الإندجينا وأعطيات الجندية، ومساواة عدد النواب الجزائريين مع النواب الفرنسيين في جميع المجالس، وتوحيد النيابة البرلمانية بحيث يشارك في انتخاب النواب البرلمانيين جميع سكان الجزائر⁽²⁹⁹⁾.

⁽²⁹⁶⁾ الإبراهيمي. (1936م، تموز). يوم الجزائر ... ص: 203.202.

⁽²⁹⁷⁾ صاري، محفوظ. (1987م). ص: 31.

⁽²⁹⁸⁾ الإبراهيمي. (1936م، تموز). يوم الجزائر ... ص: 204.203. أيضاً راجع: جوليان. (1976م). ص: 153.

⁽²⁹⁹⁾ الإبراهيمي. (1936م، تموز). يوم الجزائر ... ص: 211.210.

أما فيما يتعلق باللغة العربية طلب العلماء مساواتها باللغة الفرنسية، وجعلها لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية، وكتابة جميع المناشير الرسمية كما بالفرنسية، وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية، وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة، وتسلم المساجد إلى المسلمين وتعيين ميزانية من خزانة الجزائر لها بما يتناسب مع أوقافها، وتأسيس كلية لتعليم الدين، لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وغيرهم، وإصلاح القضاء الإسلامي، وذلك بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية، وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج فيها رجال القضاء⁽³⁰⁰⁾.

هذه مجمل مطالب العلماء في المؤتمر، لكن قد يتساءل البعض لماذا وافقت جمعية العلماء على الحاق الجزائر بفرنسا على الرغم من أنها حاربت التجنيس والاندماج ؟ ولكي يوضح العلماء موقفهم هذا فقد فرقوا بين معنيي الإلحاق والادماج، وقد شرح ابن باديس معنى الإلحاق بالتفريق بين الجنسية القومية والجنسية السياسية، فالجنسية القومية في نظر العلماء هي مجموعة المقومات التي يتميز بها شعب ما من لغة وعقيدة وذاكرات تاريخية وشعور مشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات، أما الجنسية السياسية فهي في نظرهم: "أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقوق مدنية واجتماعية وسياسية، مثلما كان على الآخر من واجبات اشتراكا في القيام بها لظروف ومصالح ربطت بينها"⁽³⁰¹⁾، والأهم من ذلك أن ابن باديس كان يعلم أن نيل الاستقلال في هذه المرحلة هو ضرب من الخيال لذلك لا يريد اغصاب فرنسا لعدم قدرته على الوقوف في وجهها.

بهذا الموقف سوّخ ابن باديس موافقة العلماء على إلحاق الجزائر بفرنسا ، لكن دون التخلي عن المبادئ الإسلامية والهوية الجزائرية من لغة ودين وتاريخ، فقط من أجل الحصول على الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المواطنون الفرنسيون.

⁽³⁰⁰⁾ الإبراهيمي. (1936م، تموز). يوم الجزائر... ص: 212-211.

⁽³⁰¹⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1937م، شباط). الجنسية القومية والجنسية السياسية. الشهاب. مج: 12. ج: 12. ص: 504. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

تم تشكيل لجنة تنفيذية بشكل وفد مكون من عدد من الأعضاء كان ابن جلول رئيساً لها، وضم معه ابن باديس والإبراهيمي والعقبي وفرحات عباس وغيرهم، سافر الوفد إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر إلى حكومة فرنسا المتمثلة بالجبهة الشعبية، والتقى الوفد برئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم في 23 تموز من العام 1936م، مع عدد من المسؤولين والبرلمانيين الفرنسيين، وقدم أعضاء الوفد المطالب التي خرج بها المؤتمر، التي وافقت عليها الأحزاب السياسية التي حضرت المؤتمر، وشرح الوفد لرئيس الحكومة بأن الجزائريين يعدّون أنفسهم فرنسيين، ويطالبون بنفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون، وحصلوا على وعود ببعض الإصلاحات⁽³⁰²⁾.

بعد عودة أعضاء المؤتمر إلى الجزائر انعقد مؤتمر عام في الملعب البلدي بتاريخ 2 آب، لشرح نتائج رحلة المؤتمر، وحضره نحو 20 ألف شخص، خطب فيهم الدكتور ابن جلول وابن باديس والإبراهيمي والعقبي ومصالي الحاج العائد من فرنسا، بالمقابل شكلت مشاركة العلماء في المؤتمر الجزائري تحفظ بعض الفرنسيين والمستوطنين وأصحاب الطرق ومن بينهم مفتي العاصمة محمود كحول القريب من الإدارة الاستعمارية والمعارض للحركة الإصلاحية ولحركة المؤتمر الإسلامي، وكان قد أرسل برقية إلى حكومة فرنسا يعبر فيها أن: "جمعية العلماء لا تمثل سوى حفنة من المهيجين"⁽³⁰³⁾.

وفي رواية أخرى قام الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بالضغط على مفتي الجزائر كحول طالباً منه أن يصدر فتوى يعد فيها أعضاء المؤتمر الإسلامي لا يمثلون المسلمين في الجزائر، وأنهم اقلية يريدون إثارة الفوضى، وأنهم أرسلوا مندوبين عنهم إلى باريس للحصول على مطالب سياسيه ودينية، وأن العلماء لا يحملون شهادات علمية، وإن المفتي يحتج على تدخل أعضاء المؤتمر بالشؤون الدينية في الجزائر⁽³⁰⁴⁾.

⁽³⁰²⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 384. أيضاً راجع: صاري، محفوظ. (1987م). ص: 33.

⁽³⁰³⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 384.

⁽³⁰⁴⁾ خير بك، نمير. (2015/2016م). ص: 431.

على إثر ذلك وبإيعاز من السلطات الفرنسية قام شخص يدعى (عكاشة)، بقتل المفتي كحول، في أثناء الاجتماع في الملعب البلدي، وسارعت الدوائر الاستعمارية بناءً على ادعاءات القاتل إلى اتهام الشيخ الطيب العقبي بالتحريض على الجريمة والقبض عليه في نادي الترقى مقر الجمعية، ووضعه بالسجن إلى جانب عباس التركي الداعم المالي للجمعية، وأُغلق النادي من قبل السلطات، وأُغلقت الجمعية الخيرية التي يرأسها العقبي، وإدارة البصائر التي يرأس تحريرها، وتسارعت الصحف الفرنسية بنقل الحدث بعناوين ضخمة تصف الاغتيال بأنه مؤامرة واسعة النطاق يديرها الوهابيون، وتصف العلماء بالأجرام والقتل، وكان الهدف من ذلك إعاقة نشاط العقبي الإصلاحية وإرباك حركة المؤتمر، فضلاً عن تشويه صورة جمعية العلماء⁽³⁰⁵⁾.

أما مطالب المؤتمر فقد ردت عليها فرنسا باقتراح³⁰⁶ مشروع معدل لمشروع فيوليت السابق وهو مشروع " بلوم - فيوليت" الذي ينص على الموافقة أن تمنح بعض الفئات من الجزائريين نفس الحقوق السياسية الممنوحة للمواطنين الفرنسيين دون أن يترتب على ذلك أي تغيير في أحوالهم الشخصية أو حقوقهم المدنية، ولكن المشروع لم يكتب له النجاح بسبب معارضة المستوطنين وحزب نجم شمال إفريقيا له⁽³⁰⁷⁾، وكانت الغاية منه احتواء بعض المطالب التي لا يمكن تصور قبولها في ذلك الوقت من قبل المهيمنين على السياسة الاستعمارية، وإرضاء جماعة المؤتمر في الوقت نفسه، ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح فقد رفضه مجلس النواب الفرنسي، بسبب معارضة المستوطنين وأعاونهم له في فرنسا⁽³⁰⁸⁾.

⁽³⁰⁵⁾ خير الدين. (1985م). ج.1:ص:339.

³⁰⁶ في الحقيقة أثارت مطالب المؤتمر صدمة قوية بالنسبة للفرنسيين والمستوطنين، وبرزت مخاوفهم من اقدام حكومة الجبهة الشعبية على اصدار مراسيم للإصلاحات في الجزائر، وبدأوا بممارسة الضغوطات عليها عن طريق الاحتجاجات واضطرت الحكومة إلى اصدار بيان أنكرت فيه وجود أي نية لإصدار مراسيم خاصة بالإصلاحات السياسية، واعنت انها ستقدم بمشاريع سياسية تتعلق بإعطاء بعض الحقوق السياسية لأبناء الجزائر في البرلمان الفرنسي. للمزيد راجع: Fqyqrd. Pqris.p:72.74. Aron, R.(1962). Les origines de la Guerre d'Algérie.

⁽³⁰⁷⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء...ص: 244.243.

⁽³⁰⁸⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء...ص:249.

قبل ذلك أعلن أعضاء المؤتمر الإسلامي تمسكهم بمطالب المؤتمر الأول، وذلك بعقد مؤتمر ثانٍ بين التاسع والحادي عشر من شهر تموز من العام 1937م، وأعلنوا تمسكهم بمشروع بلوم - فيوليت، في الوقت الذي خرجت فيه الجبهة الشعبية من السلطة، وطلب المؤتمر من الشعب الجزائري أن يظل يقظاً، ومن النواب أن يقدموا استقالتهم إذا لم يوافق البرلمان الفرنسي على مشروع بلوم . فيوليت، وناشدوا الشعب الفرنسي الحذر من الانقسام الخطير بين الجزائريين والفرنسيين⁽³⁰⁹⁾.

أرسل أعضاء المؤتمر وفداً إلى فرنسا لمقابلة رئيس الوزراء الجديد دلاديه (Daladier)، من أجل عرض المطالب، وأجابهم بأن البرلمان معارض لمشروع فيوليت، ولا يظهر عليه أنه يعدّ المواطنة الفرنسية تتناسب مع الحالة الشخصية الإسلامية، وأمام هذا الوضع طلب من أعضاء المؤتمر إعانتته على حفظ النظام لكي لا يضطر إلى استعمال القوة التي تمتلكها فرنسا لأنها أمة قوية، ورد عليه عباس بأن الحكومة الفرنسية تتحمل مسؤولياتها أمام التاريخ، وأن احترام الفرد أكثر أهمية من أفضل الأسلحة، أما ابن باديس فقد رد عليه بقوله: "ليس هناك سلطة ولا قوة سوى سلطة الله. فقضيتنا عادلة، وسنواصل الدفاع عنها ضد كل من يقف في طريقها"⁽³¹⁰⁾.

لكن دلاديه حاول إرهاب ابن باديس عندما قال له أن لدى فرنسا مدافع طويلة، فرد عليه الإمام بأنه يوجد لدينا مدافع أطول، عندها تساعل دلاديه عن نوع تلك المدافع التي يمتلكها الجزائريون، فأجابه الإمام بكل حزم وقوة إرادة: إنها مدافع الله⁽³¹¹⁾.

عاد الوفد إلى الجزائر حاملاً خيبات الأمل من فرنسا، وكَوْن فرحات عباس حزباً سماه (حزب الاتحاد الشعبي)، بينما انفصل ابن جلول وكون حزب التجمع الفرنسي الإسلامي، وخاب أمل ابن باديس من ديمقراطية

⁽³⁰⁹⁾ سعد الله. (1992م). ج.3: ص.169.

⁽³¹⁰⁾ سعد الله. (1992م). ج.3: ص.170.

⁽³¹¹⁾ العسلي. (1982م). ص.121.

فرنسا، وهكذا أخفق المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول والثاني، وكان إخفاقه تعبيراً أيضاً عن إخفاق سياسة فرنسا في الجزائر بحسب رأي سعد الله⁽³¹²⁾.

ويعود سبب إخفاق المؤتمر الإسلامي إلى معارضة المستوطنين له، وتحكمها في الحكومات الفرنسية المتوالية فضلاً عن ذلك المؤامرات التي حيكت ضد المؤتمر وانقسام الصفوف بين بعض الأحزاب، وعلى الرغم من إخفاق المؤتمر إلا أنه كان البادرة الأولى والفريدة من نوعها في تاريخ الجزائر، وذلك بفضل دعوة ابن باديس إليه، فقد أدخل العلماء في العمل السياسي المباشرة، وأصبحوا يطالبون بالحقوق السياسية بدلاً من الحقوق العامة، فضلاً عن ذلك كانت شخصية ابن باديس هي الأبرز في المؤتمر على الرغم من أنه لم يكن رئيس اللجنة التنفيذية، وكانت مطالب العلماء هي التي تطغى على مطالب المؤتمر.

وكتب ابن باديس عن نتائج رحلة الوفد إلى فرنسا بأنه بلغ مطالب الأمة الجزائرية المسلمة بصدق وشرف وأمانه، وعرف فرنسا بحكوماتها وأحزابها وصحافتها، أن وراء البحر أمة جزائرية إسلامية تطالب فرنسا بحقوقها وتحافظ تمام المحافظة على شخصيتها ومقوماتها⁽³¹³⁾.

أسهم المؤتمر الإسلامي الجزائري في توحيد الأحزاب الوطنية ولأول مرة، وعلى الرغم من إخفاق المؤتمرين إلا أنه فتح الباب أمام مسار الحركة الوطنية للتكتل، كما أسهم في تكاتف الأحزاب السياسية في حقبة الأربعينيات والخمسينيات على الرغم من اختلاف آرائها، والسبب هو فهم هذه الأحزاب لسياسة فرنسا، فأنصار الاندماج والتجنيس أدركوا أن مسألة الاندماج، ليست إلا حبراً على ورق حتى وإن طالب بها الجزائريون، وبذلك تقطنوا إلى حقيقة الوضع.

كان أعضاء جمعية العلماء يدركون من البداية هذه الأفكار، لذلك جاؤوا بفكرة المؤتمر، وتجلّى إسهامهم فيه بما ذكره الإمام ابن باديس بأن العلماء شاركوا في المؤتمر من أجل المحافظة على الشخصية الجزائرية التي لم يكن

⁽³¹²⁾ سعد الله. (1992م). ص: 170.

⁽³¹³⁾ ابن باديس، عبد الحميد. (1936م، تشرين الأول). مع الوفد الإسلامي مشاهدات وملاحظات. الشهاب مج: 12. ج: 7. ص: 310. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

أغلب الأعضاء المشاركين بالمؤتمر يؤمنون بها، ولكن خرج المؤتمر بفضل العلماء بالإجماع على المحافظة على الشخصية الجزائرية⁽³¹⁴⁾، وأنهم أول من بادر إلى عقده، وأول مؤتمر من نوعه في تاريخ الجزائر، وكان لمطالبهم الدور البارز، كما أنهم وحدوا الصف، وقرّبوا وجهات النظر، واستطاعوا توجيه مطالب المؤتمر بالنحو الذي يخدم أهداف العلماء سواء في المحافظة على الشخصية الجزائرية، أو العمل على تحقيق المساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين، وذلك برفع كل مظاهر التمييز في المعاملة الإدارية والتعليمية والسياسية وغيرها. وشاركوا في المؤتمر سواء في اللجان أو مع الوفد، وآمنوا بفكرة الوحدة الوطنية من خلاله في المطالبة بحقوقهم المشروعة.

خامساً: خيبة الأمل من وعود فرنسا وانتفاضة ابن باديس.

أيقن ابن باديس بعد رجوع الوفد الجزائري من فرنسا في المؤتمر الإسلامي الأول، وحصوله على وعود بالإصلاحات، أن فرنسا بدأت سياسة المماطلة بحق الشعب الجزائري، وقد كتب بهذا الصدد في أثناء عودة الوفد من فرنسا: "رجعنا وأكثر الرفاق يظن أن المطالب المستعجلة إذا لم تكن صاحبتنا فإنها لا تتأخر عنا...أما أنا فلم أكن - مع الأسف - على هذا القدر من الرجاء. فالجبهة الشعبية تعتمد في بقائها على الراديكاليين، وهؤلاء ما يزال فيهم من عرفنا سياستهم الاستعمارية في العهد القديم، وهم ما يزالون عليها في العهد الجديد، وقد سمعت منهم حديث لجنة البحث فحق لدي ما ظننته فيهم وتوقعته منهم" ⁽³¹⁵⁾.

ازداد إصرار ابن باديس على متابعة مشروعه النضالي مع جمعية العلماء وبقية الأحزاب الجزائرية الأخرى، ولكن بعد عودته من فرنسا أدرك أن القضية الجزائرية بالنسبة إلى فرنسا هي قضية ثانوية، وأن أسلوب التمجيد لفرنسا الذي استخدمه طوال المدة السابقة . أي مدة ما قبل انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري . لم تعد تجدي نفعاً، وعليه بدأ الإمام بتغيير سياسته تجاه فرنسا رويداً رويداً.

⁽³¹⁴⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1938م، شباط). الجزائر المسلمة تبرهن في اخرج مواقفها على تمسكها بشخصيتها: بإسلامها وعربيتها. **الشهاب**.

مم: 13. ج: 12. ص: 509. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

⁽³¹⁵⁾ بن باديس. (1936م، تشرين الأول). مع الوفد الإسلامي... ص: 311.

كان السبب في ذلك أن الإمام بدأ بمرحلة اليأس من فرنسا ومن وعودها، وعبر عن ذلك اليأس في مقال نشره في جريدة الشهاب تحت عنوان: "هل آن أوان اليأس من فرنسا؟"⁽³¹⁶⁾، تحدث فيه عن رحلة الوفد إلى فرنسا، وعن وعودها وإخلافها وسياسة المماطلة التي تتبعها، واليأس الذي بدأ يشعر به الجزائريون: "أخذ اليأس بتلابيب كثير منا وهو يكاد أن يعمّ، ولا نتردد في أنه قد آن أوانه ودقت ساعته...."⁽³¹⁷⁾. وشرح أن مماطلة فرنسا في وعودها تدفع بالجزائريين إلى اليأس الذي يشدهم إلى التضحية والمغامرة، ووجه نداء إلى الشعب الجزائري المسلم فيه تحذير من الذين يخدعونهم ويخونونهم وحثهم على الاعتماد على الله ثم على أنفسهم.

وعندما عاد الوفد إلى الجزائر، وتيقن ابن باديس بمماطلة فرنسا وتجاهلها لمطالب المؤتمر، نبّه النواب والسياسيين إلى هذا التجاهل، ووجه نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها، ورأى أنه لا يجوز للأمة الجزائرية أن تتبع السياسة العتيقة - أي سياسة المطالبة والانتظار - تجاه دولة تخلف وعودها، وفي ندائه إلى الأمة الجزائرية ونوابها، يشير إلى اليأس من الاتفاق مع الاستعمار، وضرورة الثقة بالنفس، ودعاهم في النداء إلى مقاطعة الانتخابات البرلمانية ما لم تحقق فرنسا مطالب الجزائريين وينالوا حق المساواة في المجالس النيابية، ودعا جميع الأحزاب إلى أن تتناسى الخلافات والنزاعات الشخصية، وإلى أن يقفوا صفاً واحداً ضد المستوطنين الذي وصفهم ابن باديس بأنهم الأعداء لفرنسا نفسها⁽³¹⁸⁾.

وقد حدد يوم المقاطعة في 29 آب من عام 1937م، وجاء في ندائه: "حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامي أن نبقي نترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيراً عليها!! ويسمعنا كثير منها في شخصيتها الإسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا، لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها ولنتمسك -

⁽³¹⁶⁾ ابن باديس. عبد الحميد. (1937م، آب). هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟ الشهاب مج:13. ج:6. ص:303. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

⁽³¹⁷⁾ ابن باديس. (1937م، آب). هل آن أوان... الشهاب ص:304.

⁽³¹⁸⁾ قاسم. (1979م). ص:7271.

عن إيمان وأمل - بشخصيتنا ولنطالب بالمساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا وأولها المساواة في المجالس
النيابية⁽³¹⁹⁾.

كان الإمام يرى أن على الشعب الجزائري ألا يستمر على سياسة المطالبة والانتظار، لأنه أدرك أن وعود حكومة الجبهة الشعبية كعود الحكومات السابقة كلها خادعة وكاذبة، لم يكتف رئيس جمعية العلماء بهذا الحد، بل أصبح يعلن جهراً معاداته لفرنسا بعد أن كان لا يرجو أي إصلاح إلا تحت لواء فرنسا الديمقراطية، واتجه في شهر تشرين الأول من العام 1937م، إلى تغيير شعار جريدة الشهاب المكتوب في أسفل غلافها الخارجي، الذي كان مضمونه (الحق، والعدل، والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات)، واستبدله بشعار: لنعمل على أنفسنا ولننتكل على الله.⁽³²⁰⁾

وهذا دليل واضح على المرحلة التي وصل إليها رئيس جمعية العلماء من تطور في فكره السياسي، وكشف حقيقة وعود فرنسا وزيفها، ومن خلال هذا الشعار وجه رسالة واضحة إلى الشعب الجزائري بلزوم الاعتماد على النفس من أجل أخذ الحقوق، لأن فرنسا أصبحت تعلن جهاراً أن الوضع في الجزائر سيبقى على حاله، وفي كلام دلاليته للوفد الإسلامي دليل واضح على صحة ما توقعه ابن باديس.

كان المؤتمر الإسلامي الجزائري نقطة التحول الأساسية في نظر أعضاء جمعية العلماء ومختلف الأحزاب السياسية تجاه فرنسا، فعلى الرغم من التطور السياسي الذي شهدته الحركة الوطنية الجزائرية، وتبدل الحال في سياسات الدول تجاه مستعمراتها، فإن المؤتمر كشف الوجه الحقيقي لسياسة فرنسا تجاه الجزائر، فضلاً عن أنه كشف مدى سيطرة المستوطنين ورجال السياسة في الجزائر على الحكومة الفرنسية نفسها، وهذا الأمر أدركه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإمام عبد الحميد بن باديس بعد زيارته مع الوفد إلى فرنسا.

⁽³¹⁹⁾ بن باديس، عبد الحميد. (1937م أيلول). نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها. الشهاب. مج:13. ج:7. ص: 363.362. قسنطينة: الجزائر.

المطبعة الجزائرية الإسلامية.

⁽³²⁰⁾ رابع. (1977م). ص:193.

ولم يتوقف الإمام عن نشر مقالاته التي يحث فيها الجزائريين وبقية الأحزاب على السير إلى الامام، والتخلي عن سياسة الانتظار الذي أيقن أنه لا أمل منها، في الوقت الذي كان يهاجم فيه المستوطنين وسياستهم العنصرية، وأنهم الخطر الأكبر على الجزائر وفرنسا نفسها، أخذ هؤلاء المستوطنون مع بعض الفرنسيين يحاولون إذلال المسلمين الجزائريين بتذكيرهم على الدوام أنهم خسروا وطنهم إلى الأبد بإقامة احتفال منوي لأحياء ذكرى احتلال مدينة قسنطينة في العام 1937م، وأن يوجهوا رسالة للمسلمين بأن المسألة بينهم وبين المستوطنين ليست مسألة حق وإنما هي مسألة قوة، وأن يدوم هذا الاحتفال شهراً كاملاً⁽³²¹⁾.

عندها انتفض رئيس جمعية العلماء ووجه نداء إلى سكان قسنطينة المسلمين وحثهم على مقاطعة الاحتفالات، وكان لهذا النداء تأثيره الواضح في النفوس، وكان ابن باديس يدرك بعمق الجرح الذي تركته الاحتفالات الفرنسية السابقة التي أقيمت في العام 1930م في نفسه⁽³²²⁾ وكانت البداية لنمو النهضة الجزائرية، وجرت مقاطعة الاحتفال مقاطعة كاملة ببيان حرره ابن باديس وطُبع ونُشر في نطاق واسع من أرجاء قسنطينة، ولم يحضر الاحتفال سوى بعض الشخصيات الرسمية ولم يستمر طويلاً⁽³²³⁾.

كان هذا التحول في فكر رئيس جمعية العلماء المسلمين نتيجة تطور الوعي الوطني للشعب الجزائري والتفاف علماء الأمة حول قضية وهدف واحد، حددته جمعية العلماء منذ تأسيسها وهو نشر الوعي وحب الوطن الجزائري بواسطة العلم والثقافة، وقد نجحت جمعية العلماء في تحقيق هدفها وكسب قاعدة جماهيرية، يستطيع العلماء توجيهها ونصحها والتأثير فيها ، فضلاً عن كسب احترام الأحزاب الجزائرية الاخرى، لهذا بدأ ابن باديس يقتنع تدريجياً بضرورة البدء بالمرحلة الثانية من عمله، وهي مرحلة النضال من أجل الوصول إلى الاستقلال بعد أن خاب أمله من إصلاحات فرنسا ووعودها، وسيثبت موقف جمعية العلماء من الحرب العالمية الثانية هذا التوجه.

⁽³²¹⁾ قاسم. (1979م). ص: 76.

⁽³²²⁾ فضيل، رمضان. (2007م). ص: 130. 129.

⁽³²³⁾ قاسم. (1979م). ص: 76. ايضاً راجع: فضيل، رمضان. (2007م). ص: 130.

سادساً: موقف جمعية العلماء من نشوب الحرب العالمية الثانية.

أثار اشتراك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المؤتمر الإسلامي، وهيمنتها على مطالبه، حفيظة فرنسا وأعوانها في الجزائر، فسعت إلى تشويه سمعة العلماء، وذلك باغتيال مفتي العاصمة كحول كما ذكر سابقاً، واتهام العقبي بقتله، والقيام باعتقاله، مما جعل كلاً من النواب وانصار الاندماج يبتعدون شيئاً فشيئاً عن جمعية العلماء ويتخلّون عن تأييدها والدفاع عنها لدى الإدارة الفرنسية بصفتهم النيابية، ولكن بالمقابل، وباتباع فرنسا سياسة تعسفية ضد العلماء وما رافقها من إجراءات قمعية واعتقالات، جعلت العلماء يقترحون أكثر فأكثر من الأحزاب الأكثر وطنية ولاسيما حزب الشعب الجزائري الذي أسسه مصالي الحاج في العام 1937م، بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا من قبل فرنسا، ولاسيما وأن برنامجه كان قريباً جداً من برنامج النجم⁽³²⁴⁾.

استمر ابن باديس بعد خيبة الأمل من فرنسا وحكوماتها بتوعية الشعب الجزائري بواسطة مقالاته اللاذعة والجريئة، وحثهم على الاعتماد على أنفسهم، والتخلي عن الأمل بإصلاحات فرنسا، بالمقابل أصدرت السلطات الفرنسية قرار 8 شباط من عام 1938م، القاضي بوضع قيود ثقيلة على حرية ممارسة التعليم الحر، وبعدها ألقت القبض على بعض رجال جمعية العلماء ومضايقة المدارس ومراكز التثقيف والتعليم، وملاحقة بعض القائمين بالتعليم والإرشاد والوعظ، عندها انتفض رئيس جمعية العلماء إزاء هذا الوضع، وقام بإرسال مناشير ورسائل إلى عدة هيئات ومنظمات، واتصل بالجمعيات للقيام بتحركات احتجاج على الإجراءات التعسفية ضد العلماء⁽³²⁵⁾.

عندها أعلن ابن باديس أن الفرنسيين قد اضطهدوا العلم، وقاوموا الدين، وأهانوا المساجد، وأغلقوا المدارس، وخنقوا التعليم⁽³²⁶⁾، قبل ذلك وبالتحديد في صيف العام 1937م، كانت نذر الحرب تبدو على الأبواب بين ألمانيا وحليفتها إيطاليا ضد فرنسا، وبما أن الجزائر بوابة إفريقيا والشرق ونقطة الانطلاق منها إلى شعوب المغرب العربي

⁽³²⁴⁾ العلوي. (1985م). ص: 163.162.

⁽³²⁵⁾ العلوي. (1895م). ص: 163.162.

⁽³²⁶⁾ بو الصفصاف. (1996م). ص: 167.

وأفريقيا والمشرق، جندت خبراء لها في مستعمراتها لتكسب تأييد المستعمرات لها في حال حدوث الحرب، وكان دورهم تعبئة وسائل الإعلام لإظهار الجرائم التي سترتكب في حق الحرية والديمقراطية من قبل تهديد ألمانيا وحليفاتها إيطاليا⁽³²⁷⁾.

كانت فرنسا تدرك خطر انتشار الأفكار الألمانية في الجزائر لذلك أرادت الحصول على تأييد الشعب الجزائري في الحرب، بتسخير رجال الدين كي يتولوا الإفتاء بالجهاد ضد الألمان، وكان الاستعمار يدرك أن رجال الدين المتعاونين معه لن يكن لكلمتهم التأثير المطلوب بسبب ماضيهم، لذلك توجهت إلى العناصر القيادية في جمعية العلماء، يطلب منهم أن يدعوا الشعب إلى التجنيد وكسب تأييدهم ضد الألمان⁽³²⁸⁾، وذلك للمكانة المهمة للجمعية، والشعبية الواسعة التي تمتلكها في أوساط الشعب الجزائري، لكن لم تحصل على ما كانت ترغب فيه إذ لجأت إلى طريقة أخرى وهي الاتصالات الفردية بأعضاء الجمعية⁽³²⁹⁾.

بأن أوعزت إلى من يتصل بجمعية العلماء بمقابلة ابن باديس والطبيب العقبي من أجل حثهما على إرسال برقية ولاء وتضامن باسم جمعية العلماء تدين فيها الدكتاتورية النازية، فأجاب ابن باديس بأن مثل هذا الموضوع لا يمكن البت فيه من رئيس الجمعية أو أحد أعضائها، ووعد أن يعرضها على المجلس الإداري للجمعية⁽³³⁰⁾، لكن الشيخ العقبي كان مقتنعاً بالفكرة لأنه رأى من وراء ذلك تخفيف حدة الفرنسيين ضد الجمعية ومدارسها⁽³³¹⁾.

قام ابن باديس بعرض البرقية في الاجتماع العام للجمعية الذي انعقد في 23 أيلول من العام 1938م، على أعضاء المجلس الإداري للجمعية، وسوّغ العقبي سبب موافقته للبرقية وتأييد فرنسا، والتزم ابن باديس بالصمت، لكن

⁽³²⁷⁾ رمضان، فضيل. (2007م). ص: 136.

⁽³²⁸⁾ الملي، محمد. (2007م). ابن باديس وعروبة الجزائر. الجزائر. وزارة الثقافة. ص: 64.

⁽³²⁹⁾ طه، غيلان سمير. (2013م، كانون الثاني). عبد الحميد بن باديس ودوره الديني والسياسي في الجزائر 1889-1940. مجلة سامراء. مج: 9.

العدد: 32. ص: 400. جامعة تكريت. كلية التربية.

⁽³³⁰⁾ رمضان، فضيل. (2007م). ص: 136.

⁽³³¹⁾ أبو لحية، نور الدين. (2015م). جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما. بسكرة: الجزائر. دار علي بن زيد. ص: 58.

بقية الأعضاء عارضوا العقبي، ولما طال النقاش، طلب ابن باديس التصويت برفع الأيدي، فكانت النتيجة أربعة أصوات منهم العقبي بالموافقة على إرسالها، واثنى عشر لا يوافقون، واحتفظ عبد الحميد بصوته، ولما انتهت المناقشة حمد الله وقال: "لو كانت غاليبتكم تؤيد إرسال البرقية ما كنتم تروني في مجلسكم هذا بعد اليوم"⁽³³²⁾.

وهكذا رفضت جمعية العلماء إرسال برقية التأييد لفرنسا، وكان رفضهم تعبيراً عن تغيير مسار سياسة الجمعية تجاه فرنسا، فالإصلاحات التي كان يناشد بها أعضاء الجمعية فرنسا وتحت لواء فرنسا وإلحاق الجزائر بفرنسا، لم تعد الهدف الذي يسعى إليه رئيس الجمعية وبقيّة أعضائها، بل تعدى الأمر إلى التطلع نحو الاستقلال الذي قال عنه ابن باديس إنه حق لكل شعوب الأرض.

أثر رفض جمعية العلماء إرسال برقية تأييد لفرنسا في الحرب سلباً في أعضائها، وكان ابن باديس يتوقع هذا الأمر، فانسحب الطيب العقبي من عضوية الجمعية وأسس جريدة لنفسه، وبدأت السلطات الفرنسية باتّباع أساليب القمع والنفي تجاه الأعضاء، ولم تتردد في نفي الإمام البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء ورفيق دربه إلى آفلو³³³ بالقرب من تيارت في عمالة وهران³³⁴، ومعاملته معاملة سيئة، وفرضت الإقامة الجبرية على عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، واعتقلت عدداً من رجال الجمعية⁽³³⁵⁾. بالمقابل اتخذت الجمعية بعض الإجراءات الاحترازية

⁽³³²⁾ أبو لحية. (2015م). ص: 5958.

³³³ هي بلدية تابعة لولاية الاغواط حالياً تبلغ مساحتها أكثر من 30 ألف هكتار وتعد من أقدم المناطق الجزائرية حيث عُينت كدائرة في العام 1954م، تضم ثلاث بلديات وتعد من الهضاب العليا الغربية وتضم سلسلة من الجبال، وكانت سابقاً تابعة لولاية وهران ثم ولاية تيارت، وحالياً ولاية الاغواط، حولتها السلطات الفرنسية اثناء الاحتلال إلى سجن ومنفى للجزائريين المعارضين لها. للمزيد راجع: تاريخ الاسترجاع

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16>

³³⁴ يذكر أنصار الإبراهيمي أن سبب اعتقاله أن فرنسا عرضت عليه في بداية الحرب العالمية الثانية أن تمنحه لقب شيخ الإسلام في الجزائر مقابل أن يقول أو يكتب ما يؤيدها في حريها ضد ألمانيا، فرفض بكل شموخ، لذلك قامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى آفلو في الصحراء. للمزيد راجع، أبو لحية. (2015م). ص: 60.

⁽³³⁵⁾ العلوي. (1985م). ص: 174.

جراء هذا الموقف متمثلةً بتقليل نشاطها السياسي والديني ووافقت جميع صحفها حتى لا تتعرض للرقابة أو تفرض عليها فرنسا أن تكتب لصالحها في الحرب⁽³³⁶⁾.

بدأ ابن باديس بالتفكير الجدي نتيجة هذه المعاملة في الإعلان عن الثورة ضد الفرنسيين، فقد ذكر أصحابه بعض الأقاويل التي نُسبت إليه يُبدي فيها عزمه على إعلان الجهاد، ومنها ما ذكره الشيخ حمزه بوكوشة قائلاً: "كنا جلوساً مع الشيخ . أي ابن باديس . وكان مريضاً جداً، فقال لنا: تعاهدوني، فرددت عليه : نعاهد على أمر تكون فيه، فقال وهل يمكن أن أطلب أمراً لا أكون معكم، فقلت: إذاً على ماذا نعاهدك ؟ فقال: الوقت الذي تعلن فيه إيطاليا الحرب على فرنسا، فإننا نعلن الحرب عليها"⁽³³⁷⁾.

فضلاً عن ذلك روى الشيخ أحمد حماني عضو جمعية العلماء، أنه في إحدى أمسيات خريف العام 1939م، كان هناك اجتماع لبعض العلماء بقسنطينة، وكان الحديث عن الأوضاع السياسية في العالم وإعلان الحرب العالمية الثانية، وقبل بعض كبار رجال الأحزاب السياسية التأييد لفرنسا والتجنيد في جيشها طوعاً أو كرهاً، فقال ابن باديس: "لو أنهم استشاروني واستمعوا إلي وعملوا بقولي، لأشرت عليهم بصعودنا جميعاً إلى جبال أوراس وإعلان الثورة"⁽³³⁸⁾.

يتضح من أقوال رئيس جمعية العلماء أن الوقت قد حان والنفوس قد هُيئت والمشروع الذي سعى إليه ابن باديس منذ بداية مسيرته الجهادية في التربية والتعليم قد اكتمل، ومن الممكن أن يكون الشيخ كان ينتظر فرصة نشوب الحرب العالمية لإعلان الثورة على الفرنسيين، إلا أن جسده النحيل والضعيف خانه بسبب المرض الذي أصيب به، وقد تعددت الروايات حول المرض الذي أصيب به، وتدهورت صحته على إثره كثيراً، وذكر بعضهم أنه

⁽³³⁶⁾ طه. (2013م، كانون الثاني). ص: 400.

⁽³³⁷⁾ مطبقاني. (1999م). عبد الحميد بن باديس... ص: 93.

⁽³³⁸⁾ مطبقاني. (1999م). عبد الحميد بن باديس... ص: 94.

أصيب بسرطان في الأمعاء لم يتفرغ لعلاج⁽³³⁹⁾، إلا أن منهم من قال إنه مرض بسل العظام، وقيل إنه تسمم من قبل السلطات الفرنسية، ورغم تعدد الأسباب إلا أن الموت واحد، فقد فُجعت الجزائر بنبأ انتقال الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى جوار ربه في ليلة الثلاثاء في 16 نيسان من العام 1940م، وهو تحت الإقامة الجبرية في مدينته قسنطينة، قبل أن يكمل المشروع الذي سعى إليه وهو تحقيق الاستقلال للجزائر بدينها ولغتها وتراثها الإسلامي، إلا أنه توفي وهو يهتف " فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب"⁽³⁴⁰⁾.

ويوم تشييع جنازته إلى مقرها الأخير خرجت قسنطينة تودعه الوداع الأخير، وحضرت وفود عديدة من مختلف الجهات الجزائرية لتوديع الشيخ الإمام للمشاركة في تشييع الجنازة التي لم تعرف الجزائر لها مثيلاً، ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة بالرغم من وصيته بدفنه في مقبرة شعبية عامة، وبكاه المواطنون بكاءً حاراً وبكاه عارفوه ومقدرو علمه وجهاده في سبيل الجزائر والإسلام والعروبة في كل من ليبيا وتونس والمغرب والمشرق العربي والعالم الإسلامي⁽³⁴¹⁾.

انتقل الإمام إلى جوار ربه، ولكن مات وجوده المادي فقط، ولكنه بقي حياً بحضوره الروحي في نفوس الجزائريين، ورثاه الشعراء والكتاب والفنانون والعلماء، وخلدته الجزائر بوصفه واحداً من أعظم أبنائها الذين خدموها بإخلاص، وعاهدته عهد الشرف على مواصلة السير في الطريق الذي سلكه في حياته، وهو طريق الحرية والاستقلال⁽³⁴²⁾. لأنه أمضى حياته من أجل هذا الوطن، ومن أجل بناء قاعدة شعبية مؤمنة إيماناً كاملاً بالوطن الجزائري العربي والإسلامي، وقد لخص مسار حياته في كلمتين ألفاهما في محاضرة على أعضاء جمعية التربية

⁽³³⁹⁾ رابع. (1979م). ص: 195.

⁽³⁴⁰⁾ رابع. (1979م). ص: 195. أيضاً: العسلي. (1982م). ص: 142.

⁽³⁴¹⁾ رابع. (1979م). ص: 195، 196. أيضاً: بوكوشة، حمزة. (1948م، الاثنان 13 أيلول). العلم والملك أو عبد الحميد بن باديس والمنصف باي

رحمهما الله. البصائر. العدد: 49. ص: 36. الجزائر.

⁽³⁴²⁾ العسلي. (1982م). ص: 142. أيضاً: رابع. (1979م). ص: 196.

والتعليم الإسلامية التي أنشأها في العام 1929م، جاء فيها: "س - لمن أعيش انا ؟ ج - أعيش للإسلام والجزائر"⁽³⁴³⁾. وبهذه الكلمات التي شرح معناها للحضور أثبت ابن باديس انه جاهد بنفسه من أجل الإسلام والوطن.

كان لوفاة الإمام تأثير كبير في نفوس الجزائريين عامة وجمعية العلماء المسلمين خاصة، واصبح قاداتها ما بين حزين عليه ومنفي ومعتقل، مما الزم الباقي من الأعضاء بالهدوء في ضل سياسة قمعية فرنسية، وبوفاة الإمام ابن باديس انتهت المرحلة الأولى من نضال الجمعية السياسي والتي كانت تحت قيادته بعد مسيرة حافلة من الجهاد طوال تسع أو عشر سنوات منذ تأسيس الجمعية، وكان العامل الأبرز فيها قيادة حكيمة لابن باديس للجمعية، لتدخل الجمعية حقبة جديدة من تاريخها هي حقبة الاربعينيات والخمسينيات تحت قيادة زعيمها الجديد وهو الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

خلاصة القول: إن النضال السياسي لجمعية العلماء في حقبة الثلاثينيات انقسم إلى مرحلتين، المرحلة الأولى وهي المرحلة التي كانت جمعية العلماء تكنّ العداء لإدارة فرنسا في الجزائر، ولكن كان لديها ثقة كبيرة في إدارة فرنسا الديمقراطية في فرنسا نفسها، وكان نضالها السياسي ضد الإجراءات القمعية للسلطات الفرنسية في الجزائر، وضد أصحاب الطرق الصوفية وأنصار الاندماج، وكانت تأمل بأن تصل مطالبها إلى فرنسا نفسها، وتحقيق الاستقلال للجزائر لكن بواسطة فرنسا، أما المرحلة الثانية فقد كانت على العكس تماماً، فبعد خيبة الأمل التي أصابت أعضاء الجمعية من فرنسا الديمقراطية نفسها بعد المؤتمر الإسلامي الجزائري، أدرك أنصار الجمعية أن المستوطنين والإدارة الاستعمارية في الجزائر تسيطر على حكومة فرنسا نفسها، لذلك تغيرت نظرتها تجاه فرنسا، وأصبحت تقترب في أهدافها من أهداف حزب الشعب الجزائري المطالب بالاستقلال، وأخذت تحت الشعب الجزائري على الاعتماد على نفسه لتحقيق استقلاله، لأنه لن يتحقق بواسطة فرنسا.

⁽³⁴³⁾ (بن باديس، عبد الحميد). (1937م، كانون الثاني). لمن أعيش ؟. الشهاب. مج: 12. ج: 10. ص: 325. قسنطينة : الجزائر . المطبعة الجزائرية الإسلامية.

كانت شخصية ابن باديس في كلتا المرحلتين هي التي لها الأثر الأكبر في نشاط جمعية العلماء، ولعل السبب في الظروف التي كانت تمر بها الجمعية، وتوزيع المهام على أعضائها الذين كانوا مشغولين في المناطق الجزائرية بتوطيد دعائم الحركة الإصلاحية، وتركيز المؤسسات التربوية، جعلت من ابن باديس مركزاً للصدارة، فهو رئيس الجمعية والناطق باسمها، ومخطط سياستها⁽³⁴⁴⁾.

ولم يكن هناك شخص في وقته ولا بعد وفاته تمتع بنفس التقدير والاحترام اللذين تمتع بهما، فقد كان رجال الدين يحترمونه لتدينه وعمق معارفه وسلفيته، وكان رجال السياسة يثقون في صراحته وذكائه وإخلاصه لوطنيته، ورجال الإدارة يحترمونه لمرونته وحكمته، والنخبة كانت تنثق بإيمانه بالتقدم والعلمية ونظرته المتفائلة إلى المستقبل، لذلك كان لا يكاد يوجد لديه أعداء، حتى رجال الطرق كانوا يخشون حركته وأفكاره، ولكنهم كانوا يقدرون شخصه وعمله وإخلاصه، وهي المزايا هي التي أكسبت حركته صلابة يوم كان حياً، وخلوداً، يوم أن رحل عنها، ولذلك صبغ النشاط السياسي لجمعية العلماء في الثلاثينيات بهيمنة سياسة ابن باديس المبنية على الحكمة والمرونة والصدق⁽³⁴⁵⁾.

⁽³⁴⁴⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 250.

⁽³⁴⁵⁾ سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 186. أيضاً راجع: الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 251.

الفصل الثالث.

النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي (1940-1954م).

أولاً: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي.

1- لمحة عن حياة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

2- ظروف تعيين محمد البشير الإبراهيمي رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء تحت قيادة محمد البشير الإبراهيمي.

1- سياسة التحالفات مع الأحزاب الوطنية الجزائرية.

2- موقف جمعية العلماء من الإصلاحات الفرنسية وميلاد تحالف أحباب البيان والحرية.

ثالثاً: أحداث أيار في العام 1945م وانعكاساتها على النضال السياسي لجمعية العلماء.

رابعاً: النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامي (1947-1954م).

1- النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامي (1947-1950م).

2- النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ العام 1950م حتى اندلاع الثورة

الجزائرية الكبرى في العام 1954م.

انطلقت الحرب العالمية الثانية في العام 1939م، ومع انطلاقها عانى أعضاء جمعية العلماء من النفي والاعتقال، وإغلاق المدارس والنوادي والصحف بسبب موقفهم من رفض تأييد فرنسا في الحرب، وزاد على ذلك فقدانهم لرئيس جمعيّتهم الإمام ابن باديس، ونفي نائب رئيسهم الإبراهيمي إلى الصحراء، ورغم ذلك حاولوا لم شتات أنفسهم، وتقدم الشيخ العربي التبسي لتسيير أمور الجمعية ريثما يخرج الإبراهيمي من منفاه، وجاءت تطورات الحرب في صالح الجزائريين لما أثمرته من نتائج خصوصاً، وأن فرنسا الأمة التي لا تهزم في نظر الجزائريين لم تستطع الصمود بعد أقل من عام أمام ضربات الألمان، فاهتزت مكانتها الدولية، وتشجع الجزائريون لاستغلال الموقف من أجل البحث عن حلول لبلادهم والمطالبة بحقوقهم.

أولاً: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت قيادة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

1. لمحة عن حياة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

يُعد الإمام محمد البشير الإبراهيمي الشخصية الثانية بعد الإمام ابن باديس، سواء في قيادة جمعية العلماء أو في الحركة الإصلاحية في الجزائر، وقد كان النائب لابن باديس في رئاسة الجمعية، ورئيسها من بعده.

يعود مولد الإمام محمد البشير الإبراهيمي إلى مطلع شمس يوم الخميس الثالث عشر من شهر حزيران من العام 1889م، في قرية سيدي عبدالله، ويعود بنسبة إلى عمر بن محمد السعدي بن عبدالله بن عمر الإبراهيمي، نسبة إلى القبيلة العربية التي تعرف بـ (أولاد إبراهيم)، التي تقطن في نواحي مدينة سطيف في مقاطعة قسنطينة⁽³⁴⁶⁾، تربى وتعلم في كنف عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، ودرس على يده، وكان يمتلك ذاكرة حافظة، وحفظ القرآن الكريم وهو في سن الثامنة من عمره⁽³⁴⁷⁾.

⁽³⁴⁶⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (2018م). من أنا؟ تحقيق: رابح بن خوية. سطيف: الجزائر. منشورات الوطن اليوم. ص: 14-13.

⁽³⁴⁷⁾ عمارة، محمد. (د. ت). الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة. القاهرة: مصر. دار السلام للطباعة والنشر. ص: 5.

غادر الجزائر في العام 1911م، مثل أغلب الشبان الجزائريين الذين كانوا يفرون من الخدمة العسكرية الإجبارية، ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز في العام 1908م، حيث استقر هناك، وفي طريقه مر بالقاهرة وتعرف على بعض علمائها، وفي المدينة تابع تعليمه الديني والأدبي، والتقى فيها بالشيخ عبد الحميد بن باديس وتناقشا بأمور القيام بحركة إصلاحية في الجزائر⁽³⁴⁸⁾، وانتقل في أثناء الحرب العالمية الأولى إلى دمشق برفقه والده، وبدأ بالتعليم الحر، ثم عين استاذاً للأدب العربي في المدرسة السلطانية التي كانت الثانوية الوحيدة في دمشق في ذلك الوقت، ومن ثم شارك في النهضة العلمية والأدبية في بلاد الشام⁽³⁴⁹⁾.

كان وجوده في المشرق العربي سبباً في تأثره بحركة الجامعة الإسلامية، التي كانت في ذلك الوقت قوة سياسية وثقافية مؤثرة، سواء في الحجاز أو بلاد الشام، وتأثر بالحركة السلفية التي كانت تدعو إلى العودة إلى منابع الإسلام الصافية⁽³⁵⁰⁾، وهناك برع بمختلف العلوم كالتاريخ واللغة العربية وعلوم الدين وغير ذلك⁽³⁵¹⁾، وعندما بلغته أخبار عن الجزائر، استبشر بتحسن الجو فيها للقيام بالعمل الإصلاحي، وعاد إليها في بداية العام 1920م⁽³⁵²⁾، بعد أن مر بتونس واحتك فيها بالأوساط الدينية والسياسية، وبعد عودته لوطنه تولى التدريس الحر في سطيف حيث باشر دعوته الإصلاحية⁽³⁵³⁾، التي تحمل أفكاراً ونظريات جديدة، وأخذ في نشر العلم والأدب، وكتابة المقالات في الصحف وفي مختلف الموضوعات الأدبية والعلمية والتربوية⁽³⁵⁴⁾.

عين نائباً لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها في العام 1931م، وأعيد انتخابه للمنصب نفسه في كل مرة يجري فيها انتخاب أعضاء المجلس الإداري حتى وفاة ابن باديس، وأختير إبراهيمي

⁽³⁴⁸⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء...ص:148.

⁽³⁴⁹⁾ بوالصفا، عبد الكريم. (2007م). رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1965-1889م. الجزائر. دار الهدى. ص:49.

⁽³⁵⁰⁾ سعد الله. (1992م). ج:2. ص:393.

⁽³⁵¹⁾ حميداتو. (1997م). ص:104.

⁽³⁵²⁾ عمارة. (د.ت). ص:10.

⁽³⁵³⁾ سعد. (1983م). ص:56.

⁽³⁵⁴⁾ بو الصفا. (2007م). رواد النهضة...ص:49.

لأصعب عمالة وهي عمالة وهران أو منطقة الغرب الجزائري من أجل نشر الأفكار الإصلاحية، وتعود صعوبتها لانتشار التخلف الفكري الذي كرسه انتشار الزوايا الطرقية هناك انتشاراً كبيراً، فهي تُعد المعقل الحصين للمرابطين والطرفيين المتعاونين مع الاستعمار، لذلك كان لابد من إنجاح الدعوة الإصلاحية في هذه المنطقة بوجود شخصية لها قيمتها العلمية والفكرية وتتسم بالشجاعة والنشاط التي تمثلت في شخصية الإبراهيمي⁽³⁵⁵⁾.

كان من أهم الأعمال التي شارك بها الإبراهيمي، وهو نائب رئيس الجمعية مؤتمر المعلمين الأحرار في العام 1935م، الذي عقدته جمعية العلماء، وأسهم فيه الإبراهيمي إسهاماً تربوياً وعلمياً في كل جلساته التي كانت تهدف إلى تطوير التعليم العربي في الجزائر وترقية مناهجه وأساليبه، وقد قام بجمع تقارير المؤتمر في كتاب عنوانه "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، بعد أن كتب فيه مقدمة علمية شرح فيها مفهوم الإصلاح، ونشأته وتطوره في المشرق والمغرب العربيين، فضلاً عن ذلك شارك في المؤتمر الإسلامي الجزائري مع زملائه العلماء، وكتب عنه في جريدة الشهاب، وحضر التجمع الكبير في الملعب البلدي في العام 1936م، وكان إلى جانب ابن باديس عندما ألقى خطابه الشهير أمام الجماهير⁽³⁵⁶⁾.

بقي البشير الإبراهيمي وفياً للجمعية ورئيسها، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية، كان موقفه لا يقل أهمية عن موقف ابن باديس، فقد رفض أن يؤيد فرنسا في الحرب، فقامت بنفيه إلى آفلو في الصحراء، مما سمح للشيخ العربي التبسي بتولي أمور الجمعية بعد وفاة ابن باديس، وظل مكلفاً بمهمة تسيير مدارس الجمعية، حتى تحرر الشيخ الإبراهيمي من منفاه في 8 كانون الأول من العام 1942م⁽³⁵⁷⁾.

وإذا كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يمثل ذروة الفكر الإسلامي المعاصر ومجدد العلوم الدينية وباعث السلفية في الجزائر، فإن الشيخ الإبراهيمي يمثل ذروة الثقافة العربية فيها وباعث اللغة العربية، وانتُخب رئيساً للجمعية

⁽³⁵⁵⁾ الخطيب.(1985م). جمعية العلماء...ص:151.

⁽³⁵⁶⁾ بو الصمصاف.(2007م). رواد النهضة...ص:51.

⁽³⁵⁷⁾ بو الصمصاف.(2007م). رواد النهضة...ص:51-52.

وهو في منفاه، وذلك بعد وفاة الإمام ابن باديس، وجاء انتخاب الأعضاء له تقديراً للجهود التي بذلها في سبيل الدفاع عن مبادئ الجمعية وأهدافها، ونظراً لمواقفه الشجاعة ضد المستعمر الفرنسي⁽³⁵⁸⁾.

2. ظروف تعيين محمد البشير الإبراهيمي رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قامت السلطات الفرنسية عند إعلان الحرب العالمية الثانية باعتقال الزعماء الجزائريين، مما أدى لتوقف الحركة السياسية لبعض الأحزاب مدة من الزمن، ثم عمل الفرنسيون على تجنيد الجزائريين لصالح المجهود الحربي الفرنسي⁽³⁵⁹⁾، وكان موقف الجزائريين متبايناً، بين التأييد والمعارضة لفرنسا، بعد أن حاولت كسب مختلف الحركات الجزائرية إلى صفها، فمن المؤيدين لها كان النواب والنخبة بحكم وظائفهم الرسمية، والتحقوا على الفور بالجيش الفرنسي في الحرب، وأعلن رجال الدين الرسميين ولائهم لفرنسا بالبرقيات وبوحي من فرنسا، أعلنت فتوى رجال الدين من مفتين وقضاة ومرابطين وغيرهم، بوجوب شرعية الحرب مع فرنسا، وكان ذلك عربون الولاء الذي حصلت عليه فرنسا من الجزائر⁽³⁶⁰⁾.

أما بالنسبة للمعارضين فقد كان من بينهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري، وكانت نتيجة هذه المعارضة القيام بحملة اعتقالات، وفرض الأحكام العرفية، وفرض الإقامة الجبرية على الإمام ابن باديس ونفي نائبه محمد البشير الإبراهيمي إلى الصحراء⁽³⁶¹⁾.

وبعد وفاة الإمام ابن باديس في العام 1940م، حاولت السلطات الاستعمارية التدخل لتعيين رئيس جديد للجمعية واقتُرحت تعيين الطيب العقبي رئيساً للجمعية مقابل تقديم العون، بالرغم من انه استقال من عضوية الجمعية من العام 1938م، بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين ابن باديس نتيجة رسالة الولاء والتأييد التي كان سببها

⁽³⁵⁸⁾ سعد. (1983م). ص: 56. أيضاً راجع: بو الصفصاف. (2007م). رواد النهضة. ص: 52.

⁽³⁵⁹⁾ السيد، محمود. (2000م). تاريخ دول المغرب العربي. الإسكندرية: مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص: 181.

⁽³⁶⁰⁾ سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 173.

⁽³⁶¹⁾ أبو لحية. (2015م). ص: 60. 61.

العقبي للحكومة الفرنسية في حريها ضد ألمانيا⁽³⁶²⁾، وجاء الاقتراح أثناء تقديمها العزاء لأنصار الجمعية في مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة عند طريق الحاكم العام شال (Chàle)، الذي طلب تعيين خلفاً للشيخ ابن باديس، لكن الشيخ مبارك الملي، رد عليه بكل حزم قائلاً: " بأن الذي يمتلك تعيين الرئيس هو الاجتماع العام للجمعية، وقد اخترنا من قبل الشيخ البشير الإبراهيمي نائباً للرئيس في حياته، وهو ما يزال منفياً في مدينة (آفلو) فعندما تطلقون سراح الشيخ البشير الإبراهيمي ستجتمع الجمعية وتختار من ينتخبه الأعضاء."⁽³⁶³⁾.

على هذا الأساس يتبين موقف أعضاء الجمعية من سلطات الاحتلال من خلال رفضهم القاطع لتدخل السلطات بأمور الجمعية، ولم ينتظر الأعضاء إطلاق سراح الإبراهيمي لينتخبوا الرئيس، بل اجتمع المجلس الإداري للجمعية في اليوم نفسه الذي توفي فيه ابن باديس بحسب رواية الإبراهيمي وانتخبوه رئيساً لها بالإجماع وأبلغوه الخبر وهو في المنفى، فأصبح يدير الجمعية وهو في منفاه عن طريق الرسائل المتبادلة بينه وبين الأعضاء⁽³⁶⁴⁾.

لكن لم يطلق سراح الإبراهيمي إلا في 28 كانون الأول من العام 1942م، وفي حقبة غيابه تتفق أغلب المصادر والمراجع على أن نشاط الجمعية قد خف كثيراً، بسبب وفاة زعيمها وبسبب الإجراءات التعسفية من قبل سلطات الاحتلال ضد الأحزاب المعارضة لها، ومع ذلك واصل رجال الجمعية نضالهم من أجل الإسلام واللغة العربية والنهضة العلمية بالبلاد، بالرغم من أن التجمعات والنوادي ودروس الوعظ قد خفت⁽³⁶⁵⁾.

أما ما يخص النشاط السياسي للجمعية في اثناء غياب الإبراهيمي، فقد ظهر ما يخالف بعض ما روته المصادر حول الغياب التام للجمعية في هذا المجال³⁶⁶، فقد اجتمع أعضاء الجمعية في العام 1940م، لانتخاب

⁽³⁶²⁾ أبو لحية. (2015م). ص: 60.

⁽³⁶³⁾ خير الدين. (1985م). ح: 1. ص: 345.

⁽³⁶⁴⁾ الإبراهيمي. (1997م). آلائه... ج: 5. ص: 284.

⁽³⁶⁵⁾ سعد الله. (1992م). ج: 3. ص: 187.

³⁶⁶ عاد الدكتور عبد الكريم بو الصفصاف في كتابه جمعية العلماء إلى تقارير الشرطة الفرنسية في مدينة قسنطينة للاعوام 1940 و 1941 ووجد فيها نشاطاً سياسياً وكتابة معروض للسلطات الفرنسية فيها مطالب لأعضاء جمعية العلماء.

رئيس لها، وفي شهر آب من العام 1941م، قدم أعضاء المجلس الإداري للجمعية عريضة إلى الحاكم العام ويفاند(Weygande)، أبرزوا فيها مطالبهم التي كان من ضمنها:

إطلاق سراح الإبراهيمي، وأعضاء الجمعية المعتقلين، وعدّ جمعية العلماء كسائر الجمعيات الدينية المسيحية، وإعطاء أعضائها حرية التنقل والوعظ والإرشاد، وعدّ القرآن واللغة العربية كباقي الكتب واللغات الأخرى، وضمان حرية التعليم فضلاً عن إلغاء مرسوم 8 شباط من العام 1938م⁽³⁶⁷⁾.

بهذه العريضة حطم أعضاء الجمعية صمتهم، وقدموا مطالبهم، بل وكرروا المطالب في 19 أيلول من عام 1941م، وهي لا تختلف كثيراً عن المطالب السابقة، ووجهوها من المجلس الإداري في قسنطينة إلى الحاكم العام وعامل عمالة قسنطينة وبموافقة الإبراهيمي عليها، ووعدهم الحاكم العام بأن مطالبهم ستوضع في محل الدراسة⁽³⁶⁸⁾.

إذاً كان لجمعية العلماء نشاط على المستوى السياسي، كذلك فيما يتعلق بالإسلام واللغة العربية وغيرها، من خلال مطالبها في العريضة التي أرسلت إلى الحاكم العام، وهذا يخالف ما قيل عن الجمعية أنها دخلت في مدّة جمود بسبب وفاة زعيمها ونفي نائبه، وتوقف صحفها، ومضايقة السلطات لها.

ثانياً: بداية النضال السياسي لجمعية العلماء تحت قيادة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

1. سياسة التحالفات مع الأحزاب الوطنية الجزائرية.

نتيجة للفراغ السياسي الذي رافق الحرب العالمية الثانية بسبب الإجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات الفرنسية بحق قادة الحركة الوطنية ومن بينهم البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء، ومصالي الحاج زعيم حزب

⁽³⁶⁷⁾ بو الصفصاف.(1996م). جمعية العلماء...ص: 171. 172. نقلاً عن:

Rapport Police, Août 1941, Archives Historique, W. de Constantine.

⁽³⁶⁸⁾ بو الصفصاف.(1996م). جمعية العلماء....ص: 173. 174. نقلاً عن:

Rapport Police, Septembre 1941, Archives Historique, W. de Constantine.

الشعب، لجأ أعضاء جمعية العلماء إلى اتباع سياسة تقوم على التحالف مع الأحزاب الباقية لضمان السير في تحقيق أهدافهم وإيمانهم بأن تكاتف الجزائريين مع بعضهم هو الحل الأنسب لتحقيق مطامحهم.

تطوع كثير من الجزائريين للحرب مع فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية، وكانوا من النخبة والنواب وغيرهم، وكان من بينهم الصيدلاني فرحات عباس الذي تطوع في الجيش الفرنسي دفاعاً حسب - وجهة نظره - عن الحرية والديمقراطية، معتقداً أن فرنسا هي رمز لها، لكنه وجد في الجيش الفرنسي التفرقة العنصرية، ولم يحصل على الترقيات التي حصل عليها زملاؤه الفرنسيون، وكان لا يعطى الخبز نفسه الذي كان يُعطى للصيادلة الفرنسيين في هذا الجيش، كان يُعامل كأهلي لا كمواطن³⁶⁹، كل هذه الأسباب جعلته يعود إلى العمل السياسي بعد التفرقة العنصرية التي ذاقها في الجيش الفرنسي⁽³⁷⁰⁾.

وعند دخول الحلفاء إلى الجزائر في العام 1942م، وتحريرها من حكومة فيشي الموالية للألمان، اتصل الجنرال دارلان Darlan (1881-1951م)، في شهر كانون الأول من العام نفسه بفرحات عباس، وطلب منه أن يقوم قادة الحركة الوطنية الجزائرية بمساعدة فرنسا الحرة (وهي حركة المقاومة الفرنسية التي يرأسها ديغول)، في تجنيد الجزائريين من أجل المشاركة في تحريرها، واغتتم عباس هذه الفرصة واتصل بأعضاء جمعية العلماء لاستشارتهم في تقديم مطالب الجزائريين إلى فرنسا مقابل تقديم العون⁽³⁷¹⁾.

إذ شعر فرحات عباس بضرورة التعاون مع الأحزاب الوطنية الأخرى، وبدأ عمله السياسي باستشارة هذه الأحزاب ومن بينهم، جمعية العلماء المسلمين بواسطة عضوبها محمد خير الدين، والشيخ العربي التبسي، قبل تقديم

³⁶⁹ في الحقيقة إن قسوة ما عاشه وما شاهده فرحات عباس في الجيش الفرنسي من تفرقة عنصرية، قد غيرت كثيراً من نظريته تجاه فرنسا التي كان يدافع عنها، ويعترف بها، تلك النظرة التي ستمهد الطريق أمام عمله السياسي الذي سيقوم على الالتفاف أكثر نحو الأحزاب الوطنية الجزائرية ولاسيما جمعية العلماء المسلمين وحزب الشعب الجزائري، لكن تلك النظرة أدركها قبله ابن باديس بعد المؤتمر الإسلامي الجزائري حيث فقد الأمل من فرنسا ومن سياستها.

⁽³⁷⁰⁾ جوليان (1976م). ص:308. أيضاً راجع: سعد الله (1992م). ج:3. ص:184.

⁽³⁷¹⁾ بوحوش (1997م). ص:256.

مذكرة 22 كانون الأول من العام 1942م، إذ نصت على الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي جزائري يتولى وضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين وذلك قبل دعوة الجزائريين للمشاركة في الحرب⁽³⁷²⁾.

وقد وافق أعضاء جمعية العلماء على تقديم العون لفرنسا في الحرب مقابل أن تظهر فرنسا رغبتها في القيام بإصلاح حقيقي في الجزائر، و يبدو أن بعض أعضاء الجمعية أرادوا تغيير موقفهم الذي تجلى في عدم تقديم العون إلى فرنسا في الحرب، والسبب لأنهم شعروا أن الجزائر بحاجة إلى الإصلاح الشامل، وأرادوا اغتنام هذه الفرصة من أجل الضغط على فرنسا للقيام بهذه الإصلاحات، لذلك وافقوا على تقديم العون مع فرحات عباس لكن بشرط قيامها بالإصلاح وتحقيق مطالب الجزائريين، وبذلك يشعرون بأن مطالبهم قد تحققت، وبعد ذلك يقومون بواجبهم تجاه فرنسا، لكن الفرنسيين رفضوا هذه المطالب التي كانت مثل الضربة في الماء، ولم يستمع إليها أحد⁽³⁷³⁾.

وعند دخول الحلفاء إلى الجزائر يوم 8 تشرين الثاني من العام 1942م، صدر عفو عام عن الزعماء الوطنيين، عدا مصالي الحاج الذي بقي تحت الإقامة الجبرية⁽³⁷⁴⁾، وكان من بين الذين تحرروا زعيم جمعية العلماء محمد البشير الإبراهيمي⁽³⁷⁵⁾، لكن في هذه الأثناء وصلت إلى مسامع قادة الحركة الوطنية الجزائرية إشاعات كثيرة عن اعتزام فرنسا تقسيم الجزائر وتوزيعها بين الدول الاستعمارية، ضمناً لوقوفها معها ضد ألمانيا النازية، أو وقفها على الحياد على الأقل، عندئذ شعر الجزائريون بالخطر وضرورة تكاتف قادة الحركة الوطنية، وتوجيه نداء إلى السلطات الاستعمارية لتراعي الظروف وتعمل على تحسينها⁽³⁷⁶⁾.

⁽³⁷²⁾ Claude, C. Henry, J. (1985). Le mouvement national Algérien. Textes (1912.1954). Paris. Editions l'Harmattan..p:155.

⁽³⁷³⁾ المدني. (1982م). حياة كفاف. ج:2. ص:367.

⁽³⁷⁴⁾ بوعزيز، يحيى. (2007م). سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1954.1830م. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ص:103.

⁽³⁷⁵⁾ بو الصفا. (1996م). جمعية العلماء... ص:174.

⁽³⁷⁶⁾ بوعزيز. (2007م). ص:103.

على إثر ذلك اتصل فرحات عباس بعدد من الشخصيات الوطنية الجزائرية، واتفقوا على الاجتماع لتحديد مطالب الشعب الجزائري في مكتب المحامي بومنجل في العاصمة الجزائر، وحضر الاجتماع فرحات عباس وابن جلول والأمين دباغين، وأعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهم محمد خير الدين والعربي التبسي فضلاً عن توفيق المدني وعدد كبير من الشخصيات الوطنية من مختلف الأحزاب⁽³⁷⁷⁾، واتفق المؤتمرون على إصدار وثيقة تتضمن عدد من المطالب³⁷⁸، وكلفوا فرحات عباس بتحرير ميثاق بواسطة هذه الوثيقة، وقام بجولة في مختلف مناطق الجزائر لعرض المطالب على مختلف الشخصيات والتصديق عليها، وعلى إثرها صاغ بيان الشعب الجزائري الذي وصف حالة الشعب طيلة عهد الاستعمار، وعبر عن مطامح الجزائريين في التحرر والاستقلال⁽³⁷⁹⁾.

حرر عباس البيان في 10 شباط من العام 1943م، بعد دراسة طويلة حاول أن يجمع فيها مطالب مختلف الأحزاب الوطنية، ومنها مطالب النخبة والمؤتمر الإسلامي، ومبادئ حزب الشعب، فضلاً عن ميثاق الأصلسي³⁸⁰، وأفكار الثورة الفرنسية، واستطاع أن يمزج في كتابته للبيان بين أفكار مصالي الحاج الثورية زعيم حزب الشعب، ونظرة جمعية العلماء الإصلاحية التي يلتقي معهم فيها، لذلك عُدّ البيان وثيقة خيالية أكثر منها واقعية، وسُلم البيان

⁽³⁷⁷⁾ بوعزيز. (2007م). ص: 103. 104.

³⁷⁸ كان أهم المطالب: إنشاء مجلس لتحرير دستور لدولة الجزائر، وإلغاء تبعية الجزائر لفرنسا، وإلغاء نظام الاستعمار، وتوزيع الأراضي على الفلاحين، وإلغاء الملكية الإقطاعية وإجراء إصلاح زراعي كبير، وصكّ عملة خاصة بدولة الجزائر، والبقاء على الجنسية الجزائرية، وإنشاء مجلس يظم نخبة الجزائريين لتنفيذ هذه المطالب، ودخول الجزائريين في الوظائف العامة، وتكوين حكومة جزائرية مستقلة تشارك مع فرنسا وحلفائها في المجهود الحربي بصفة جزائرية معترف بها، فضلاً عن ذلك تدعى الدولة الجزائرية دولة مشاركة مع المتحالفين، تقاثل معهم وتحضر مؤتمرات السلام وتكون عضواً في هيئة الأمم المتحدة بعد السلام، أيضاً يشمل حقوقاً للجزائريين وهي: الحرية والمساواة لجميع السكان، والاعتراف باللغة العربية بأنها لغة رسمية في البلاد، وحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات، والتعليم المجاني والإجباري بالنسبة إلى الأطفال ومن الجنسين، وحرية الشعائر الدينية لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة إلى جميع الديانات. للمزيد عن المطالب راجع: المدني. (1982م). **حياة كفاح**... ج: 2. ص: 368. أيضاً راجع: جوليان. (1976م). ص: 315. 316.

⁽³⁷⁹⁾ بوعزيز. (2007م). ص: 104.

³⁸⁰ هو ميثاق مشترك أصدره رئيس وزراء المملكة المتحدة ونستون تشرشر ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت في العام 1941م وضع الميثاق أهداف الحلفاء في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأعربت الحكومتين فيه عن الرغبة في إيجاد منظمة عالمية لحفظ السلام وتحقيق التعاون الدولي

في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. للمزيد راجع: **تاريخ الاسترجاع** 2023/6/16 <https://ar.m.wikipedia.org>.

إلى القادة الفرنسيين، وإلى ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا والاتحاد السوفيتي وحمل توقيع 56 شخصاً⁽³⁸¹⁾.

وحدد البيان مطالب الشعب الجزائري ، فضلاً عن المطالب السابقة ، المتمثلة بإدانة الاستعمار وإلغاءه، وتطبيق مبادئ ويلسون بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وإعطاء الجزائريين الحريات، ومنحهم دستوراً لبلادهم، وبهذا البيان أصبح عباس قريباً من العلماء وحزب الشعب، فقد وصل إلى تمييز أمة جزائرية كان قد أنكرها سابقاً، وقدم عباس مطالب الشعب الجزائري إلى السلطات الفرنسية المتمثلة بالجنرال ديغول وجماعته في شهر أيار من عام 1943م، لكنها رُفضت، وأعلنت عن تشكيل لجنة اقتصادية اجتماعية وليس سياسية لدراسة الإصلاحات في الجزائر، واستدعي فرحات عباس نيابة عن الحركات الوطنية الجزائرية أمام اللجنة، وكانت النتيجة سلبية، ولم يحدث أي تغيير على الأوضاع السياسية في الجزائر، ولم تنفذ مطالب الشعب الجزائري⁽³⁸²⁾.

لكن لم يستسلم قادة الحركة الوطنية الجزائرية ففي شهر نيسان من العام 1943م، أي بعد خروج مصالي الحاج من السجن ووضعه تحت الإقامة الجبرية في قصر البخاري، اجتمع رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البشير الإبراهيمي في مدينة سطيف مع فرحات عباس ومصالي الحاج والسيد موريس لابور (Maurice Labour)، من الحزب الشيوعي الجزائري، وصدروا ملحقاً للبيان كانت مطالبه لا تختلف كثيراً عن مطالب البيان فقد تضمنت وحدة التراب الجزائري وإقامة دستور للبلاد والاعتراف باستقلال الجزائر السياسي مع حق فرنسا في المراقبة والمساعدة العسكرية للحلفاء في حالة الحرب، وفي الوقت الحالي تشكل حكومة جزائرية، ويرأسها الوالي العام الذي يصبح في المستقبل سفيراً لفرنسا في الجزائر، وتلغى جميع القوانين الاستثنائية⁽³⁸³⁾، وتضمن إقامة دولة جزائرية بعد أن تنتهي الحرب، وإنشاء برلمان انتقالي يكلف بوضع الدستور الجزائري الجديد فضلاً عن مطالب التي تشمل بعض

⁽³⁸¹⁾ تابليت، علي. (2009م). فرحات عباس رجل دولة. ط: 2. الجزائر. منشورات ثالة. ص: 30. 31. أيضاً راجع: خيريك،

نمير. (2015، 2016م). ص: 437.

⁽³⁸²⁾ خيريك، نمير. (2015، 2016م). ص: 438.

⁽³⁸³⁾ جوليان. (1976م). ص: 317-318.

الإصلاحات، وقدم ملحق البيان إلى ديغول الذي استقر في الجزائر، وإلى الحاكم العام كاترو (Catro)، في 10 حزيران من العام نفسه، لكنه رُفض لأنه يتضمن مبدأ دولة جزائرية، لها برلمانها الخاص بها⁽³⁸⁴⁾.

2. موقف جمعية العلماء من الإصلاحات الفرنسية، وميلاد تحالف أحباب البيان والحرية.

على إثر إصرار قادة الحركة الوطنية الجزائرية ومن بينهم جمعية العلماء على التمسك بمطالب البيان وملحقه، أعلن ديغول أن الهيئة الفرنسية للتحرك الوطني عقدت العزم على القيام بإصلاحات تخص الجزائريين، وذلك على إثر خطاب له في قسنطينة يوم 22 كانون الأول من العام 1943م، أوضح من خلاله العزم على القيام بإصلاحات مهمة، معتقداً أنه من الممكن إسكات الجزائريين ببعض الإصلاحات الشكلية⁽³⁸⁵⁾.

وشملت تلك الإصلاحات إعطاء حقوق المواطنة الكاملة إلى عشرات الآلاف من المسلمين الجزائريين دون النظر في تغيير أحوالهم الشخصية، ورفع نسبة الجزائريين في المجالس المحلية، وفتح عدد كبير من الوظائف الإدارية أمام الذين لديهم قدرة على القيام بها، وكلفت الهيئة الفرنسية للتحرك الوطني مندوباً من أجل تشكيل لجنة مختلطة تتألف من ستة فرنسيين وستة مسلمين، ويساعدهم أربعة موظفين للبحث في أمر هذه الإصلاحات، عقدت جلستها من 21 كانون الأول من العام 1943م، حتى 8 تموز من عام 1944م⁽³⁸⁶⁾.

استقبلت الأحزاب الوطنية الإصلاحات بالرفض، وكان موقف رئيس جمعية العلماء البشير الإبراهيمي واضحاً بالرفض القاطع؛ إذ ندد بهذا المشروع وعدّه خطوة نحو إدماج لا يرضى به الشعب المسلم بأي ثمن⁽³⁸⁷⁾، وذلك عن طريق مقابلته للجنة التي صرح أمامها أنه لا يريد أن يتجرد من أحواله، وكذلك الجزائريون يرفضون تصنيفهم إلى فئات عديدة، ويريدون البقاء عرباً مسلمين، وأن ليس لديهم الشرف في رفعهم إلى مرتبة المواطنة

⁽³⁸⁴⁾ بوحوش. (1997م). ص: 267.

⁽³⁸⁵⁾ عبدالله، مقالاتي. (2014). المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954م. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ص: 233.

⁽³⁸⁶⁾ جوليان. (1976م). ص: 326.

⁽³⁸⁷⁾ جوليان. (1976م). ص: 326.

الفرنسية لأنهم يرون أن صفتهم الإسلامية قد رفعتهم كثيراً، وقدم الإبراهيمي بعض المطالب للجنة وأهمها استبدال النظام الاستعماري بالنظام الحكومي، وتكوين الحكومة الجزائرية وبرلمانها الخاص، فضلاً عن منح الجنسية الجزائرية لمن يريدونها من العناصر الشعبية المختلفة دون تمييز في العرق والدين، وتسهيل مشاركة الجزائريين في الوظائف العامة⁽³⁸⁸⁾.

كما رفض مصالي الحاج وفرحات عباس هذه الإصلاحات⁽³⁸⁹⁾، لكن السلطات الفرنسية لم تصغي إلى مطالب الوطنيين، وأصدرت مرسوم 7 آذار لعام 1944م، القاضي بمنح الجنسية الفرنسية نحو 50 ألف جزائري مع حفاظهم على أحوالهم الشخصية، والتأكيد على المساواة بين المسلمين والمستوطنين، وتسمح للمسلمين بدخول الوظائف وتوسيع تمثيلهم في المجالس المحلية، لكن هذه الإصلاحات لم ترضِ الجزائريين⁽³⁹⁰⁾، إذ رأت النخبة السياسية أنها جاءت متأخرة، وأن الجزائريين لم يعودوا يرغبون بالجنسية الفرنسية⁽³⁹¹⁾.

كما أن مرسوم 7 آذار عدّه الجزائريون مناهضاً للديمقراطية لأنه يميز بين الجزائريين، ويعاملهم معاملة استبدادية، ويرمي إلى إدخال الجزائريين في البوتقة الفرنسية بدل أن يعطيهم الاستقلال⁽³⁹²⁾، وأمام تَعَنّت السلطات الفرنسية في تنفيذ مطالب البيان وملحقه، قام رجال البيان بتغيير سياستهم، ومحاولة الظهور بمظهر قوي يفهم الفرنسيون منه، أن البيان وملحقه ليس مجرد مطالب تقدمت بها جماعة محدودة، بل هو رغبة جماهيرية، ومطالب

⁽³⁸⁸⁾Claude, Henry.(1985).p:177,182.

⁽³⁸⁹⁾ جوليان.(1976م). ص:326-327.

⁽³⁹⁰⁾ يُلاحظ هنا مدا تطور الوعي الوطني لدى جمعية العلماء والأحزاب السياسية الجزائرية، لأنه عند المقارنة بين مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري ومرسوم 7 آذار يُستنتج أن فيه . أي مرسوم 7 آذار. تحقيق كثير من مطالب المؤتمر الإسلامي وتنفيذاً لمشروع بلوم . فيوليت الذي استقبله القادة الوطنيون بحماس، واليوم هم أنفسهم القادة يرفضون مرسوم 7 آذار ويبدو أن التطور والوعي الوطني الذي أصاب الحركة الوطنية الجزائرية كان له دور كبير في هذا الأمر. وخصوصاً في أثناء الحرب العالمية الثانية، ففرنسا التي كانت لا تُقهر في نظر الجزائريين ها هي تهزّم أمام ضربات الألمان في بداية الحرب ولا بُد أن هذا الأمر شجع الجزائريين، وكسر تلك القاعدة لديهم بأنها أمة عظيمة لا تهزم، وشجعتهم على المطالبة بالاستقلال وتشكيل حكومة جزائرية.

⁽³⁹¹⁾ عبدالله.(2014م). ص:176.

⁽³⁹²⁾ جوليان.(1976م). ص:326.

شعبية عامة⁽³⁹³⁾، لذلك اتصل عباس بجمعية العلماء ومصالي الحاج في مقر إقامته الجبرية وكانت النتيجة اتفاقهم على إنشاء جبهة أطلق عليها اسم "أحباب البيان والحرية"، في 14 آذار من العام 1944م، تضم بعض النواب، وحزب الشعب، وجمعية العلماء، وتم إصدار جريدة (المساواة) باسمها وذلك للدفاع عن الجبهة التي طالبت عن طريقها بإنشاء جمهورية جزائرية وذلك بقصد تكوين اتحاد فدرالي مع الجمهورية الفرنسية⁽³⁹⁴⁾.

كان هدف الجبهة، الدفاع أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي عن بيان الشعب الجزائري الصادر في 10 شباط من العام 1943م، وملحقه، والتمسك بمطالبه، والمطالبة بحرية التعبير والقول لكافة الجزائريين⁽³⁹⁵⁾، وفي الاجتماع وافق فرحات عباس على اقتراح مصالي الحاج بأن يلغى منصب الحاكم العام في الجزائر ويتحول الحاكم العام إلى سفير، وقال عباس لمصالي الحاج في الاجتماع: "لقد كنت ضدك، أدافع بحرارة عن الاندماج ووقفت ضدك. لقد أثبتت الاحداث أنك كنت على صواب، وكنت أنا على خطأ. اليوم اعترف لك بأنني سأُتبع خطاك"⁽³⁹⁶⁾.

ويقول عباس بخصوص البيان: "اتصلت بمختلف المنظمات. إن جمعية العلماء لم تتأخر عن الانخراط فيها (أي أحباب الحرية والبيان) ، وجرت بيني وبين زعيم حزب الشعب الجزائري، مصالي الحاج، اتصالات مشجعة ومثمرة أيضا"⁽³⁹⁷⁾.

فضلاً عن ذلك كان من أهم المواد التي وردت في القانون الأساسي لجبهة أحباب البيان والحرية في مادته الرابعة التي جاء فيها: "ترويج فكرة إنشاء دولة جزائرية، وتأسيس جمهورية مستقلة مترابطة بروابط فدرالية مع جمهورية فرنسة جديدة مناوئة للاستعمار"⁽³⁹⁸⁾.

⁽³⁹³⁾ العلوي.(1985م). ص:210-211.

⁽³⁹⁴⁾ Jeanson, F. Jeanson, C.(1955). L' Algérie hors la loi. éditons du seuit. Pqris.p:70.

⁽³⁹⁵⁾ Claude, Henry.(1985).p:186.

⁽³⁹⁶⁾ Stosa, B.(1982). Messali Hadj 1898-1974. Paris .Editions L'Harmattan.P:189.

⁽³⁹⁷⁾ عباس.(2005م). ص:112.

⁽³⁹⁸⁾ عباس.(2005م). ص:111-112.

واتفق الجميع على أن البيان سيكون حركة لا حزباً ، وأكد مصالي الحاج لعباس حقيقة فرنسا بقوله: "إنني أثق فيك، في العمل من أجل إقامة جمهورية جزائرية في نظام فدرالي مع فرنسا، لكنني، بالمقابل، لا أثق في فرنسا. إن فرنسا لن تعطيك شيئاً ولن تتنازل عن أي شيء إلا بالقوة لأن ما أخذته بالقوة لا يمكن انتزاعه إلا بالقوة"⁽³⁹⁹⁾.

حققت جبهة أحباب البيان والحرية نجاحاً كبيراً⁴⁰⁰ على الصعيد الشعبي، إذ انضم إليها ما يزيد عن 500 ألف مواطن⁽⁴⁰¹⁾، وأما بالنسبة إلى دور جمعية العلماء في حركة أحباب البيان والحرية، فقد أكد فرحات عباس أن سياسة الجمعية أصبحت متقاربة مع سياسة أحباب البيان في القضايا السياسية، والسبب في هذا التقارب والتحالف، هو أن قيادة الجمعية ضد تطرف بعض العناصر في حزب انتصار الحريات الديمقراطية وتحبذ قيام تحالف إسلامي بين الجمعيات السياسية في الجزائر، لذلك أيدت مشروع أحباب البيان والحرية الذي ينص على إقامة جمهورية جزائرية في العام 1946م وساندته⁽⁴⁰²⁾.

عُقد مؤتمر في آذار من العام 1945م، وكانت الغالبية فيه من أعضاء حزب الشعب، وحضره أعضاء جمعية العلماء، وبحسب رأي جوليان أن هاتين الفئتين أخذتا تفرضان نفسيهما على جبهة أحباب البيان والحرية، وقد تجاوزت مطالب المؤتمر أفكار البيان، ولم يعد الحديث عن جمهورية مستقلة يجمعها نظام فدرالي بجمهورية فرنسية، بل عن برلمان جزائري وحكومة جزائرية، وأعلن المؤتمر بأغلبية ساحقة أنهم يريدون الاحتفاظ للدولة الجزائرية المقبلة بإمكانية الاندماج في النظام الذي ترضيه، أمام هذا الوضع وأمام حماس المؤتمرين سعى عباس وبعض أنصاره إلى تهدئة الوضع، والوقوف ضد العناصر المتطرفة في المؤتمر، وكان هذا الانعطاف في سير الحركة الوطنية، في ظل

⁽³⁹⁹⁾ Stora.(1982).p:189.

⁴⁰⁰ يُلاحظ هنا مدى تطور تفهم قادة الحركة الوطنية للوضع الراهن للبلاد إلى درجة أن بعض الأحزاب تخلت عن مطالبها الأساسية من أجل أن تتكاتف مع إخوانها فالنخبة تخلوا عن فكرة الاندماج، وأعضاء حزب الشعب تخلوا عن فكرة الاستقلال التام والقبول بالجمهورية الفدرالية التابعة لفرنسا الجديدة، إلا أن جمعية العلماء كان الفائز الأكبر في هذه الجبهة لأن مطالبها وأهدافها لم يحدث فيها تغيير، وبقيت متمسكة بما سعت إلى تحقيقه، وهذا دليل واضح على أن أهدافها كانت سامية ومتفقة مع أغلب أهداف الأحزاب السياسية الباقية.

⁽⁴⁰¹⁾ جوليان.(1976م). ص:329.

⁽⁴⁰²⁾ Abbas, F.(1980). Autopsie d'une guerre. Paris: Edltlons Gamler Frères.P:17.

التساهل الإداري الفرنسي، دفع أحد المستوطنين إلى القول: "ستحدث اضطرابات، وستجبر الحكومة على التراجع في أمر 7 مارس"⁽⁴⁰³⁾، وقد أصبحت الظروف سانحة للتصادم بالقوة⁽⁴⁰⁴⁾.

ثالثاً: أحداث أيار في العام 1945م، وانعكاساتها على النضال السياسي لجمعية العلماء.

شهدت الجزائر في شهر أيار من العام 1945م، مجزرة وهي واحدة من المجازر التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الفرنسي بحق الشعب الجزائري، وكان لتأثيرها دوي واسع وكبير ليس فقط على نطاق نشاط جمعية العلماء فحسب، بل تجاوز ذلك نطاق أحزاب الحركة الوطنية نفسها، وكان الانعطاف الذي حدث في صفوف الحركة الوطنية سبباً من الأسباب التي جعلت السلطات الفرنسية تحقد على الجزائريين، وتبحث عن الفرصة المناسبة لفرض قوتها عليهم من جديد.

جاء العام 1945م وهو العام الذي انتصر فيه الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وأمام توتر الوضع على الساحة الجزائرية نقلت السلطات الفرنسية مصالي الحاج من داره التي كان معتقلاً فيها في جنوب الجزائر إلى مدينة برازفيل في الكونغو وسط إفريقيا، بوصفه عملاً وقائياً لتجنب الاضطرابات، وشعرت الإدارة بضرورة تعديل الانتخابات البلدية خوفاً من نجاح بعض العناصر المتطرفة فيها، بينما كتب الحاكم العام في الجزائر تعميم إلى جميع موظفي الإدارة في أنحاء البلاد، أشار فيه إلى توقع اضطرابات بمناسبة احتفال الحلفاء بالنصر، بالمقابل كتب فرحات عباس في جريدة المساواة - التي تصدرها جبهة أحباب البيان والحرية - مطلع شهر أيار مقالاً حث فيه الشعب الجزائري على الهدوء⁽⁴⁰⁵⁾.

⁽⁴⁰³⁾ جوليان. (1976م). ص: 330.329.

⁽⁴⁰⁴⁾ جوليان. (1976م). ص: 330.

⁽⁴⁰⁵⁾ غيلسي، ج. (1961م). الجزائر الثائرة. ترجمة: خيري حمّاد. بيروت. دار الطليعة. ص: 76. 77.

لم يعد فرحات عباس يسيطر على جبهة أحباب البيان والحرية بسبب كثرة من دخلها من الشباب المنتمين لحزب الشعب وبعض المنتمين لجمعية العلماء وتطرفهم، الذين شعروا مع غيرهم، أن إصلاحات فرنسا في مرسوم 8 آذار، ما هي إلا استهتار بتضحياتهم في الحرب ومطالبهم السياسية، ومما زاد الوضع توتراً انتقال لجنة فرنسا الحرة إلى باريس بعد أن تحررت، وبقي الجزائريون وجهاً لوجه مع المستوطنين والإدارة القديمة التي لا تطيق سماع الجزائريين ينادون بالحرية والاستقلال⁽⁴⁰⁶⁾.

كانت هذه الإدارة إلى جانب المستوطنين تنتظر الفرصة المناسبة لإظهار قوة أسلحتهم أمام الجزائريين ولاسيما بعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء وبعد أن اخفقوا في إظهارها أمام الألمان، فوجدوا هذه الفرصة في مظاهرات 8 أيار من عام 1945م، وحاولوا إعطاء درس للجزائريين لمنعهم من المطالبة بالحرية والاستقلال والاعتزاز بشخصية بلادهم، بعد خوفهم من تنفيذ هذه السياسة طول مدة الحرب بسبب خسائهم أمام الألمان وخوفهم من ردود فعل الوطنيين الجزائريين⁽⁴⁰⁷⁾.

في اليوم الذي أعلن عن الاحتفال باليوم العالمي لانتصار الحلفاء⁴⁰⁸، طلب الجزائريون الترخيص لهم بمسيرة إلى قبر الجندي المجهول في مدينة سطيف، إذ تجمع عدة آلاف في المكان والزمان المتفق عليهما⁽⁴⁰⁹⁾، وخرج الجزائريون إلى الشوارع يوم الثلاثاء الثامن من أيار من عام 1945م⁽⁴¹⁰⁾، للاحتفال بانتصار الحلفاء والقوى

⁽⁴⁰⁶⁾ سعد الله، أبو القاسم. (2007م). خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962م. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص: 134-135.

⁽⁴⁰⁷⁾ يحيى، جلال. (1959م). السياسة الفرنسية في الجزائر (من 1830 إلى 1960م). القاهرة: مصر. دار المعرفة. ص: 297-296.

⁴⁰⁸ في الحقيقة قبل ذلك حدث اجتماع بين الزعماء الثلاث الإبراهيمي ومصالي الحاج وعباس في قصر الشلالة في العاصمة، وانفقوا على القيام بمظاهرة يوم احتفال الحلفاء بالنصر، وكان هدفها الضغط على الفرنسيين بإظهار قوة الحركة الوطنية، ووعي الشعب الجزائري بمطالبه. مريوش، أحمد. (1997م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث الثامن ماي 1945. مجلة الدراسات التاريخية. عدد: 10. ص: 129. معهد التاريخ. جامعة الجزائر.

⁽⁴⁰⁹⁾ سعد الله. (2007م). خلاصة تاريخ الجزائر...ص: 135.

⁽⁴¹⁰⁾ بلغيث، محمد الأمين. (2014م). تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة. ط: 4. الجزائر. دار البصائر الجديدة. ص: 196.

الديمقراطية على النازية وهتف المتظاهرون شعارات: " من أجل تحرير الشعوب، أطلقوا سراح مصالي الحاج، لتسقط الإمبريالية، تحيا الجزائر حرة مستقلة"⁽⁴¹¹⁾.

رفع أحد الشباب المتظاهرين العلم الوطني الجزائري وتقدم المتظاهرين، وكانت إشارة بدء المجزرة في سطيف قد بدأت بعد أن أطلق المحافظ أوليفيري (Olivieri)، النار في الهواء، وكانت تلك الطلقة بمنزلة الإشارة التي جعلت رجال الشرطة يستعدون للقيام بعملياتهم القمعية ضد موكب المتظاهرين، فقتلوا الشاب (بوزيد سعال)، حامل الراية الجزائرية⁽⁴¹²⁾.

كانت حجة المستعمرين بأن أخباراً وصلتهم من مصادر مختلفة بأن حزب الشعب ينوي القيام بثورة شاملة ضد الفرنسيين في سطيف⁽⁴¹³⁾، وتسارعت الأحداث، وحدث اضطراب بين المتظاهرين والبعض تفرقوا بصيحات مختلفة، وحدثت صدامات بينهم وبين الشرطة والمستوطنين الأوروبيين، وانتشرت الأخبار كالنار في القرى المجاورة، وامتدت المظاهرات في قالة وخرطة وغيرهما، وتحركت الميليشيات الأوروبية والشرطة والجيش الفرنسي بجميع أسلحته البرية والبحرية والجوية⁴¹⁴ لسحق المتظاهرين، وحدثت مجزرة مروعة، وساد التعقيم الإعلامي عليها فلم ينشر خبر المجزرة إلا بعد نحو شهر⁽⁴¹⁵⁾.

⁽⁴¹¹⁾ خيريك، نمير. (2015.2014م). ص:444.

⁽⁴¹²⁾ بلغيث. (2014م). ص:196.

⁽⁴¹³⁾ المدني. (1982م). حياة كفاح... ج:2، ص:382.

⁴¹⁴ قام وزير الطيران الفرنسي شارل تيون وهو من الحزب الشيوعي، وقد ضرب الجزائريين بطائرات فرنسية وأمريكية وبريطانية، وقصف كثيراً من القرى وأزالها من الوجود، وضربت السفن الفرنسية سواحل بجاية ومناطق أخرى بمدفعتها، وأطلقت العيارات النارية على الجماهير التي هاجمت رجال الشرطة بالحجارة، وردوا عليهم بالرصاص، وانتشرت الاضطرابات بسرعة في أنحاء الجزائر ولا سيما المناطق المأهولة بالسكان في مقاطعة قسنطينة. للمزيد راجع: غيلسي. (1961م). ص:76.

⁽⁴¹⁵⁾ سعدالله. (2007م). خلاصة تاريخ الجزائر... ص:136.

أسفرت هذا المجزرة عن مجموعة من النتائج كان أهمها: مقتل نحو خمسة وأربعين ألف مواطن جزائري⁽⁴¹⁶⁾، فضلاً عن ذلك اعتقال عدد كبير من أعضاء الأحزاب السياسية من بينهم فرحات عباس ورئيس جمعية العلماء البشير الإبراهيمي، وعدد كبير من رجال الجمعية أمثال محمد خير الدين والعربي التبسي وأعضاء حزب الشعب، وبلغ عدد المعتقلين حوالي 4500 وطني جزائري، وصدرت الأحكام على 99 شخصاً بالإعدام، وبعضهم بالأشغال الشاقة، والبعض الآخر بالسجن المؤقت، وحلت فرنسا جبهة أحباب البيان والحرية، وحزب الشعب الجزائري، واحتفظت ببعض المعتقلين حتى شهر آذار من عام 1946م⁽⁴¹⁷⁾، بينما قتل نحو 104 من المستوطنين الأوروبيين، وعدت سلطات الاحتلال ما حدث حالة شغب حتى لا يتبين للأمريكان وحلفائهم وجود تمرد قادة حركة وطنية تطالب بحق تقرير المصير، واتهم المستوطنون والحزب الشيوعي الجزائري قيادات حزب الشعب بتدبير أحداث 8 أيار⁽⁴¹⁸⁾.

بالمقابل على الصعيد الجزائري فبالرغم من حالة القمع للحركة الوطنية الجزائرية وحل الأحزاب، واعتقال القادة إلا أن أحداث أيار أثبتت للجزائريين حقيقة الاستعمار، وتأكدت من خرافة تحقيق الاستقلال بالوسائل السلمية، وعمقت الهوة بين الشعب الجزائري وفرنسا، وأصبحت فكرة الدعوة إلى الكفاح المسلح مرشحة لأن تجد لها صدى واسعاً، بعد أن تأكد الجزائريون من عقم النضال السياسي⁽⁴¹⁹⁾، وعندما عُفي عن بعض زعماء الحركة الوطنية، أسس فرحات عباس حزباً جديداً سماه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، بينما أسس مصالي الحاج ورجال حزب الشعب حزباً باسم (انتصار الحريات الديمقراطية) بعد أن حلت السلطات جبهة أحباب البيان وحزب الشعب⁽⁴²⁰⁾.

⁽⁴¹⁶⁾ قنان، جمال. (1994م). قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. الجزائر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. ص: 205.

⁽⁴¹⁷⁾ يحيى. (1959م). ص: 299. أيضاً راجع: مريوش. (1997م). جمعية العلماء... ص: 131.

⁽⁴¹⁸⁾ خيريك، نمير. (2014.2015م). ص: 445.

⁽⁴¹⁹⁾ رواحي، العايشي. (2021م). مجازر 8 ماي في الجزائر وانعكاساتها على علاقة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالحركة الوطنية (1947.1954).

مجلة اكليل. مج: 1. ص: 625. 626. الجزائر. جامعة باجي مختار عنابة.

⁽⁴²⁰⁾ يحيى. (1959م). ص: 299.

أما موقف جمعية العلماء، فبالرغم من اعتقال البشير الإبراهيمي⁽⁴²¹⁾، فإن مجزرة أيار فرضت على رجال الجمعية اصدار بيانات ومقالات ينددون فيها بهذه المجازر، وكتب المدني عضو جمعية العلماء، مقالاً في جريدة الإصلاح عن هذه الحوادث وندد فيها بسياسة المستعمر، وكان له صدى كبير، بسبب نشره على نطاق واسع في القاهرة سُحب منه 1000 نسخة، ووُزعت في أقطار المشرق العربي، وعلم الناس أسرار وبشاعة المذبحة الرهيبة، وسادت موجة من السخط والاحتجاج على السياسة الفرنسية⁽⁴²²⁾.

أما الإبراهيمي، فبعد أن خرج من السجن تأثر كثيراً بالأحداث التي جرت، فابتعد هو وبعض رجال الجمعية عن حزب الشعب وفضلوا عدم الاتصال معهم ومساندتهم، بل مالوا إلى مساندة حزب فرحات عباس الجديد⁽⁴²³⁾. من الطبيعي أن تبتعد الجمعية عن حزب الشعب وأن تحد من نشاطها السياسي، لأن الصدمة التي عاشوها والمذابح التي جرت كان لها تأثير واضح في نفوس الجزائريين بشكل عام، ليس فقط في جمعية العلماء، ففرنسا في هذه المذابح عادت إلى وحشيتها القديمة واتبعت سياسة الأرض المحروقة وهي نفس السياسة التي اتبعتها في القرن التاسع عشر بحق الجزائريين، والتي لم يعهد عليها الجيل الذي نشأ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن المعروف عن جمعية العلماء أنها تفضل سياسة الاعتدال والحوار للوصول إلى تحقيق الأهداف السياسية بدل من سياسة العنف والقتل، لذلك من المرجح أن أغلبية اعضائها فضلوا التزام سياسة الاعتدال بعد هذه المجازر، والاهتمام بأمور التعليم والقضايا الاجتماعية.

⁴²¹ يروي البشير الإبراهيمي ما حدث عندما قام سلطات الاحتلال باعتقاله ونقله إلى السجن العسكري بالعاصمة، ووضعه في زنزانة ضيقة تحت الأرض لا يرى فيها الضوء وبقي فيها نحو 70 يوماً، وكانوا لا يخرجونه منها طوال 24 ساعة إلا ربع ساعة فقط مع حراسة مشددة، فلما انهارت صحته نقلوه إلى حجرة منفردة على وجه الأرض، وبقي نحو 100 يوم، ونُقل بعدها بالطائرة ليلاً إلى السجن العسكري في قسنطينة، إذ كانت مسرح الحوادث الدامية، وكان هذا النقل تمهيداً لمحاكمته في محكمة عسكرية على الحوادث أيار، ولما كان في السجن كان يشتد عليه المرض، ويتم نقله إلى المشفى العسكري مع الحراسة المشددة، وبقي في السجن العسكري ومشفاه نحو أحد عشر شهراً، وكان معه في المعتقل عشرات الآلاف من رجال الجمعية وانصارها وأتباع الحركة الوطنية، إلى أن صدر العفو العام من العام 1946م. للمزيد راجع: الإبراهيمي (1997م). آثار...ج:5. ص:168.

⁽⁴²²⁾ المدني (1982م). حياة كفاح...ج:2. ص:385.

⁽⁴²³⁾ بو الصمصاف (1996م). جمعية العلماء... ص:175.

في الحقيقة كان يوجد في الجمعية تيارين، التيار الأول وهو تيار المعلمين الشباب، وكان عددهم قليلاً، وكانوا يفضلون التعاون مع حزب الشعب، بينما كان التيار الغالب هو تيار الكبار المهيمنين على الجمعية، كانوا يفضلون التعاون مع حزب فرحات عباس⁽⁴²⁴⁾، ومن بينهم رئيسها الإبراهيمي الذي انصرف فور خروجه من السجن، وقبل أن يستعيد صحته، يجوب المناطق الجزائرية بكل عزيمة وإصرار ليؤسس المدارس، ويشيد المساجد، ويفتح النوادي، ويصلح بين الناس، ويشد النفوس، وبفضل هذا النشاط صارت جمعية العلماء تمثل ضمير الأمة، وحافظة شخصيتها، ومُحيية لمقوماتها، وأصبح الإبراهيمي بمنزلة زعيم لهذه الأمة تصغي الأذان لقوله، وتأخذ برأيه، وتهتدي بأفكاره⁽⁴²⁵⁾.

لكن بالرغم من التجاء الجمعية إلى سياسة الاعتدال ، إلا أن أعضاءها قد نددوا بهذه المجازر، من خلال المقالات والخطب وغيرها، وكان موقف الإبراهيمي من هذه المجازر واضحاً وصريحاً واتصف بالجرأة⁴²⁶، فعندما افتتح سلسلة البصائر الثانية، تحدث - الإبراهيمي - عن هذه المجازر في مقالات عديدة، ومن بينها ما وصفه عن ذلك اليوم بقوله "يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء... لك الويل أيها المستعمر، أهدأ جزء من استتجته في ساعة العسرة فأنجذك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأنجذك؟ أهدأ جزء من كان يسهر وأبناؤك نيام... الله دماء بريئة أريقك فيك، والله أعراض طاهرة انتهكت فيك، والله أموال محترمة استبيحت فيك، والله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك"⁽⁴²⁷⁾.

⁽⁴²⁴⁾ الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 258.

⁽⁴²⁵⁾ الإبراهيمي. (1997م). الآثار... ج: 2. ص: 18.

⁴²⁶ عُرِف عن البشير الإبراهيمي أن أسلوبه في التعبير والكتابة كان يختلف عن أسلوب ابن باديس، الذي كان يلجأ إلى التورية في كثير من مقالاته، وينتقي كلماته بحرص خوفاً على مصير الجمعية التي لا تزال في مرحلة النهوض، أما الإبراهيمي فقد استعمل العبارات الصريحة، وكان قاسياً في مهاجمة الاستعمار، وعملاته، للمزيد راجع: الخطيب. (1985م). جمعية العلماء... ص: 154-155.

⁽⁴²⁷⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1948، 10 أيار، الاثنين). ذكرى 8 ماي. البصائر. العدد: 35 من السلسلة الثانية. ص: 269. الجزائر.

ووصف ما فعلته فرنسا في هذه الأحداث بأنها قد شوهت تاريخ فرنسا وحضارتها، بقوله: "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف، قالمة، خراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"⁽⁴²⁸⁾، وأقسم بأن هذه المجازر ستبقى تلطخ جبين حضارة فرنسا إلى الأبد، وسيبقى هذا اليوم محفوظاً في ذاكرة الجزائريين مهما طال عليه الزمن⁽⁴²⁹⁾.

وعدّ هذه الأحداث الثورة الفاصلة بين عهدين، إذ يقول في هذا الصدد: "إن معركة الثامن من ماي ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع هذه الحقوق المهضومة طال الزمن أم قصر"⁽⁴³⁰⁾، وأرجع الإبراهيمي أسباب هذه الأحداث الدامية إلى حقد المستوطنين الذين خشوا على مستقبل مصالحهم في الجزائر⁽⁴³¹⁾.

أما محمد خير الدين فقد وصف هذه المجزرة بأنها بداية جديدة في تحول المواقف الجزائرية، ووصف حالة الجزائريين بعد هذه الأحداث بأنها: "كانت بحق نقطة تحول في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ونقلها من طور إلى طور آخر"⁽⁴³²⁾، ولقد أثرت هذه الأحداث كثيراً في نفوس بقية أعضاء جمعية العلماء، ومنهم شاعر الجمعية محمد العيد (1904-1979م)⁴³³، فقد أحيا هذه الذكرى المؤلمة في أشعاره.

⁽⁴²⁸⁾ وهبية، بشرير، لخضر، حليس. (2022م). أحداث الثامن ماي " دراسة تاريخية وقانونية". المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية. مج:6.

العدد: الأول. ص:128. الجزائر. جامعة الاغواط.

⁽⁴²⁹⁾ وهبية، لخضر. (2022م). ص:129.

⁽⁴³⁰⁾ خير الدين، محمد. (1989م). مذكرات محمد خير الدين. ج:2. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص:21.

⁽⁴³¹⁾ مريوش. (1997م). جمعية العلماء... ص:132.

⁽⁴³²⁾ مريوش. (1997م). جمعية العلماء... ص:135.

⁴³³ هو شاعر الحركة الإصلاحية، وقد عدّ امير شعراء الجزائر، تعلم في جامع الزيتونة وعمل بالصحافة في بسكرة (الجزائر) في صحيفة صدى الصحراء وعمل مع الشيخ الطيب العقبي استاذة في جريدة الاصلاح، ودرّس في مدرسة الشبيبة في مدينة الجزائر، وتتميز شعره بالبساطة ، إذ عالج فيه المشكلات الاجتماعية الجزائرية، لذلك كان شعره بمثابة المتم الشعري الضروري لحركة الإصلاح في الجزائر، الذي يتميز بالتأكيد على القيم الأخلاقية، كتب اشعاره في الصحافة الإصلاحية، ومن أعضاء جمعية العلماء، توفي في العام 1979م. للمزيد راجع: سعد. (1983م). ص:57.

والشيخ الربيع بوشامة (1916-1959م)⁴³⁴، أحد الأعضاء البارزين في حركة التعليم العربي لدى جمعية العلماء، فقد أفجعت هذه الحوادث ووصفها في شعره، وكتب بأن تاريخ الجزائر قد تسطر من دم⁽⁴³⁵⁾.

أما الشاعر أحمد سنحون (1907.2003م)⁴³⁶، وهو من أعضاء جمعية العلماء في حقبة الإبراهيمي، فهو أيضاً تأثر بالفاجعة، وأوصى الشباب في بعض أبياته الشعرية التي وصف فيها الفاجعة، بضرورة الوحدة والحذر، والتخلي بروح المسؤولية، وأن الدين الإسلامي دين قوة وتضامن، لا دين تفرقة وضعف⁽⁴³⁷⁾.

⁴³⁴ ولد الشيخ بوشامة في ولاية سطيف، تعلم القرآن وعمره اثني عشر عاماً، وتابع تعليمه في المدرسة الفرنسية واكمل فيها مرحلة الابتدائية، وتابع تعليمه الديني على يد عدد من الشيوخ أذ انغمس في وسط إصلاحي فشهد تحصيل العلوم وكون لنفسه مكتبة ثرية منذ شبابه ودأب على قراءة مجلة الشهاب، إذ أصبح في العام 1937م عضواً عاملاً في جمعية العلماء واسس مع بعض الشباب نادي، وبسبب نشاطه الإصلاحي اعتقلته سلطات الاحتلال في العام 1945م، واطلق سراحه بعدها بعام لكنه كان شديد المرض بسبب معاناته في السجن، الا انه تابع مهمته كمعلم في صفوف جمعية العلماء، وفي العام 1952م انتدبته جمعية العلماء ليكون ممثلاً لها في فرنسا ورئيس شعبتها المركزية في باريس، لكنه عاد إلى الجزائر بعد شهر، والتحق بصفوف الثورة الجزائرية في العام الأول من انطلاقها تم اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية وعلن عن استشهاده في العام 1959م على يدها، ترك خلفه العديد من القصائد منها: يا ساحل المجد، مرحباً يا ربيع، وغيرها. للمزيد راجع: تاريخ الاسترجاع

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16>

⁽⁴³⁵⁾ مريوش. (1997م). جمعية العلماء...ص: 135. 136.

⁴³⁶ ولد في العام 1907م ببلدة ليشانة قرب مدينة بسكرة، تولى والده الذي كان معلماً للقرآن الكريم تربيته، فحفظ كتاب الله وعمره اثني عشر عاماً، وتعلم مبادئ اللغة العربية والشرعية الإسلامية على يد مجموعة من المشايخ والعلماء، وفي العام 1936م، التقى بالشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان لقاءه به نقطة تحول في حياة الشاعر إذ انضم إلى صفوف جمعية العلماء، وكتب بالصحافة الإصلاحية، وكان يتناول في شعره القضايا الاجتماعية والأخلاقية، وفي العام 1947م اشترك في المجلس الإداري للجمعية وعين مدرساً في مدارسها، وعندما قامت الثورة، كون تنظيمياً فدانياً سرياً في العام 1953م، لكن تم اعتقاله في العام 1956م، لكن أفرج عنه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحية، توفي في العام 2003م. للمزيد راجع: تاريخ الاسترجاع

<https://ar.m.wikipedia.org/2023/6/16>

⁽⁴³⁷⁾ مريوش. (1997م). جمعية العلماء...ص: 136.

هذه بعض الأمثلة على ما أصاب أعضاء جمعية العلماء من هذه الأحداث الدامية، وبالرغم من التجاء الجمعية إلى الحد من نشاطها السياسي بعد هذه الأحداث، إلا أنها ساندت حزب فرحات عباس الجديد⁴³⁸ كما ذكر سابقاً وابتعدت عن حزب الشعب الذي حملته بعض المسؤولية عن هذه الأحداث، لكن وبالرغم مما عاشته الجمعية من اضطهاد من قبل السلطات إلا أنها، استمرت في برنامجها التعليمي والتثقيبي وبعد مرور سنتين على أحداث أيار عادت مجدداً لاستئناف نشاطها السياسي ولو بشكل متقطع.

رابعاً: النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامين (1947-1954م).

1. النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين العامين (1947-1950م).

عادت جمعية العلماء إلى استئناف نشاطها السياسي علناً بعد العام 1947م، وكانت عودتها إلى الساحة السياسية نتيجة للظروف الداخلية التي أحاطت بها، واجبرتها على التدخل، لأن القرارات الفرنسية، أو ما سُمي بالإصلاحات الفرنسية، كانت تمس الشخصية الوطنية الجزائرية، لذلك وجب على العلماء التدخل وإبداء رأيهم فيها، ومحاولة الحصول على كامل الحقوق الوطنية الجزائرية.

وكانت عودة الجمعية إلى ممارسة النشاط السياسي، مثلها مثل بقية الأحزاب الوطنية الباقية نتيجة تأثر الحركة الوطنية الجزائرية بآراء جديدة، وأحداث قد انتشرت في العالم العربي في ذلك الوقت، ومنها تكاتف القوى التحررية العربية من أجل الحصول على الاستقلال، ومن بينها استقلال لبنان وسورية من الاستعمار الفرنسي بعد

⁴³⁸ بعد أن خرج عباس من السجن في 16 أذار من العام 1946م، أسس حزب جديد وهو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وكان برنامجُه ينص على تأسيس جمهورية جزائرية لها علمها، وبرلمانها، ورئيسها، وانضمامها إلى الاتحاد الفرنسي، ويمثل فرنسا في الجزائر مندوب عام، وقدم برنامجُه إلى النواب الفرنسيين في 27 آب من العام 1947م، لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال بالنسبة إليه، فقد رفضت مطالبه، الذي خيب أمله أكثر تزوير الانتخابات البرلمانية لتأسيس المجلس الجزائري الجديد. بحسب الإصلاحات الفرنسية الجديدة. المؤلف من 60 نائباً يمثلون الجزائريين و 60 يمثلون المستوطنين يوم 15 كانون الثاني من عام 1948م، وصدم عباس من هذا التزوير الذي لم ينجح أحد من قائمته فيها، وأدرك عباس وقتها أن فرنسا أغلقت الباب أمام النضال السلمي لتحقيق الإصلاحات السياسية، وبقيت العلاقة بينه وبين السلطات الاستعمارية متوترة حتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في أول تشرين الثاني من العام 1954م، حين قرر أن ينضم إلى جبهة التحرير الوطني في 25 أيار من العام 1955م، لتحقيق الاستقلال. للمزيد راجع: خيربك، نمير. (2015/2016م). ص: 447, 446.

الحرب العالمية الثانية، وتأسيس الجامعة العربية⁴³⁹ التي كانت تنتظر إلى أقاليم شمال إفريقيا، وتطالب باستقلالها⁽⁴⁴⁰⁾، كل هذه الأحداث شجعت قادة الحركة الوطنية إلى التكاتف ومواصلة الكفاح.

فضلاً عن ذلك، إن مجازر أيار جعلت من رجال الجمعية يحقدون أكثر على الاستعمار، وخصوصاً البشير الإبراهيمي الذي أعاد فتح جريدة البصائر في عام 1947م، وبدأ بكتابة مقالاته الجريئة ضد الاستعمار الفرنسي، وفي مقال له يخاطب قادة الأحزاب الوطنية وينصحهم بعدم اللجوء إلى أبواب فرنسا، والابتعاد عنها، وضرورة الاعتماد على أنفسهم والتكاتف فيما بينهم، فيقول: "أيها المترددون على قصر البريون ! إنه لا طارد كاليأس، وقد أيأسوكم فكأنهم طردوكم، فارجعوا ارجعوا وتداعوا إلى الاتحاد على الحق الواضح بالمنطق المعقول، فإن القوم قد اتحدوا على هضمكم بالمنطق المسلح، ارجعوا واجتمعوا واجمعوا الأمة في مؤتمر واشرحوا لها الحقيقة، ودعوا لها الكلمة الأخيرة في تجديد الموقف وتقرير المستقبل. لا اندماج إلا لبعضكم في بعض، ولا اتحاد إلا لأجرائكم الطبيعية بعضها مع بعضها".⁽⁴⁴¹⁾

ووصف لهم الاستعمار بالشيطان، وإن الشيطان عدو لهم، وإنه شر بحد ذاته، ومستحيل أن يأتي الشر بالخير، لذلك يجب الابتعاد عنه، وعدم التعامل معه⁽⁴⁴²⁾، وبهذا الأسلوب بدأ الإبراهيمي حملته ضد الاستعمار ونصح الأمة، وإبداء رأي جمعية العلماء في الأحداث التي تشهدها الساحة الجزائرية، سواء من الانتخابات، أو من الإصلاحات الفرنسية بعد العام 1947م.

⁴³⁹ وهي منظمة إقليمية تم تأسيسها في العام 1945م، في القاهرة من خلال بروتوكول، وضمت بعض الدول العربية عند تأسيسها، ووصل عدد دولها إلى 21 دولة وتعمل على تعاونها في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية لعلاج مشكلاتها وتقوية مواقفها إزاء العالم الخارجي والاستعمار، وهذه المنظمة تعمل في إطار السلام مع منظمة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية. للمزيد راجع: العمري (1985م). ص: 78.

⁽⁴⁴⁰⁾ يحيى. (1959م). ص: 300.299.

⁽⁴⁴¹⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1947م، الجمعة 29 آب). الكلمة الأخيرة للأمة. البصائر. العدد: 4 من السلسلة الثانية. ص: 31. الجزائر.

⁽⁴⁴²⁾ الإبراهيمي. (1947م، الجمعة 29 آب). الكلمة الأخيرة... ص: 31.

أما بالنسبة إلى فرنسا فبعد اهتزاز مكانتها لدى الرأي العام الوطني والدولي نتيجة لمجازر أيار، جعلها تسعى إلى القيام ببعض الأعمال والإصلاحات من أجل امتصاص غضب الشعب الجزائري، وتهدئة جماعة الحركة الوطنية، ومن هنا كان الحديث عن سياسة التهدئة التي باشرتها الإدارة الاستعمارية، وبدأت تسعى لبناء جسور جديدة مع الحركة الوطنية، وتكللت هذه الجسور في إصدار قرار العفو عن المعتقلين السياسيين في 9 آذار من عام 1946م، وإصدار مرسوم 20 أيلول لعام 1947م، الذي صدر تحت مسمى القانون الأساسي للجزائر، وأطلقت عليه الصحافة الفرنسية اسم دستور الجزائر⁽⁴⁴³⁾.

شمل القانون الأساسي ثمانية أبواب وستين مادة، كان أهمها: الجزائر جزء لا يتجزء من الأراضي الفرنسية، ويمثل الحاكم العام الجمهورية الفرنسية في الجزائر، وتأسيس مجلس حكومة من ستة أعضاء مهمته السهر على تنفيذ قرارات المجلس الجزائري الذي يتكون من 120 عضواً مناصفةً بين المسلمين والفرنسيين تحت إشراف الحاكم العام، فضلاً عن المساواة التامة بين كافة سكان الجزائر، ويحق للجزائريين البقاء على أحوالهم الشخصية ويخضعون لأحكام الشريعة الإسلامية، وإزالة الحكم العسكري عن الجنوب، وفصل الدين الإسلامي عن الدولة، ومساواة اللغة العربية باللغة الفرنسية، بالنسبة إلى الصحافة الرسمية أو المطبوعة، وتنظيم التعليم العربي في جميع المستويات⁽⁴⁴⁴⁾.

على الرغم من هذه الإصلاحات، إلا أن فرنسا اتبعت سياسة المماثلة في تنفيذها فيما يخص فصل الدين الإسلامي عن الدولة فقد جعلت بعض العقوبات أمامه بقصد تعطيله، ولم ينفذ هذا الأمر، وأيضاً فيما يخص التعليم العربي والاعتراف برسمية اللغة العربية أُحيطت بالغموض حيث نصت على مساواتها باللغة الفرنسية في الصحف فقط، ووضعت أمامها العقوبات، فضلاً عن أن هذه الإصلاحات أبقت على تبعية الجزائر لفرنسا، وأضعفت دور الجزائريين في تسيير شؤون بلادهم، من خلال تسليط حاكم فرنسي ذات صلاحيات واسعة، فضلاً عن ذلك انتُخب المجلس الجزائري مناصفة بين الجزائريين والفرنسيين على الرغم من أن سكان الجزائر يمثلون وقتها نحو 8 ملايين

⁽⁴⁴³⁾ رواحي. (2021م). ص: 623.

⁽⁴⁴⁴⁾ بلاح. (2006م). ج: 1. ص: 468.467.

نسمة أما المستوطنون فهم لا يشكلون وقتها سوى نحو 900 ألف نسمة، ولم يُستشر الجزائريون في هذه الإصلاحات⁽⁴⁴⁵⁾.

كان موقف جمعية العلماء واضحاً من هذا القانون، إذ أصدرت الجمعية بلاغاً إلى الأمة الجزائرية أقرت فيه أن هذا الدستور، هو دستور ناقص من جميع جهاته، ولم يحقق رغبة واحدة من الرغبات الوطنية للجزائريين، لأنه فرض عليها فرضاً، ولم يأخذ رأيها فيه، والمجلس الجزائري الذي ينفذ هذا الدستور، هو مجلس ناقص أيضاً، لأنه لم يأخذ بالنسبة العددية للسكان، وتتحكم الحكومة الاستعمارية فيه كيفما تشاء⁽⁴⁴⁶⁾.

وقال الإبراهيمي عن المجلس الجزائري: "كنا نرجو أن يكون المجلس أكمل من الدستور، ينتخب أعضاؤه انتخاباً حراً، وتظهر فيه النيابة عن الأمة بمظهرها الحقيقي، ويكون النواب نواباً حقيقيين يؤثرون مصلحة الأمة على مصلحة الحكومة. ولو وقع ذلك لكانت جمعية العلماء أول المطمئنين إلى أعمال النواب في مطالبها الدينية، كيفما كانت أعمالهم الأخرى"⁽⁴⁴⁷⁾، ووصف الدستور بأنه: "دستورٌ أعرج، أبتَر، لا يسمع ولا يُبصر! لم يُؤخذ رأي الأمة الجزائرية في وضعه، ولم يُسمع صوتها في دفعه"⁽⁴⁴⁸⁾.

ويُلاحظ أن موقف الجمعية من هذه الإصلاحات، وتصريحاتها الجريئة عكست كمية الرفض لسياسة الاستعمار الفرنسي بعد أحداث أيار الدامية، بالرغم من ابتعادها بعض الشيء عن الخوض بالأمور السياسية في هذه الحقبة، ويبدو أن الجمعية انصرفت إلى الاهتمام بأمور التعليم، وتأسيس المدارس والمعاهد، ومطالبة الحكومة الفرنسية بفصل الدين الإسلامي عن الدولة، ولم يسجل لها موقف سياسي بعد هذا الموقف حتى عام 1949م، حين وجهت كتاباً إلى رئيس الجمهورية الفرنسي عندما قام بزيارة الجزائر، كان أهم ما تضمنه إظهار الحقيقة للرئيس

⁽⁴⁴⁵⁾ بلاح. (2006م). ج:1. ص:469.468.

⁽⁴⁴⁶⁾ الصلابي، علي محمد. (2017م). كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي من الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال 1 نوفمبر 1962م وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي. موسوعة كفاح الشعوب. ج:3. ط:1. د.م. دار ابن كثير. ص:141.

⁽⁴⁴⁷⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1949م، الاثنين 18 تموز). فصل الدين عن الحكومة. البصائر. العدد: 87 من السلسلة الثانية. ص:329. الجزائر.

⁽⁴⁴⁸⁾ بلاح. (2006م). ج:1. ص:469.

الفرنسي بأنه في هذه الزيارة رأى فيها كل شيء إلا الجزائر، وذلك بسبب مقابله بالمظاهر المصطنعة، والخطب المزيفة، والإحاطة به بالموكب الرسمية التي تحجب عنه الحقائق، وهي أن الجزائر محاطة بالظلم والجهل والفقر، والشعب فيها يتألم، وطائفة قليلة تتحكم بالبلاد والعباد، وأن الوطن الجزائري يتألف من تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كل حق، وعشره العاشر سادة مفروض لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني، وهو الذي تروونه⁽⁴⁴⁹⁾.

لقد كان كل ما يتعلق بالدين الإسلامي مملوك للإدارة، تتحكم في مساجده ورجاله وأوقافه وقضائه، وقضية فصل الدين عن الدولة معلقة بين السماء والأرض، لأن الإدارة تماطل في الفصل ولا تريده، والتعليم الديني معطل بتعطيل المساجد، والتعليم العربي جريمة يُعاقب عليها بالتغريم والسجن، والمدارس تعاني التضييق والتعطيل، لذلك فقد أصاب الشعب الجزائري اليأس من الوعود والعهود المزيفة، فضلاً عن ذلك فإن الدستور الجزائري لم يكن رأي فيه للجزائريين⁽⁴⁵⁰⁾.

وختم رئيس جمعية العلماء كتابه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، بأن الشعب الجزائري مريض متطلع للشفاء، ويملكه الجهل ويتطلع إلى العلم، ويأس متشوق إلى النعيم، ومنهوك من الظلم يريد العدالة، ومستعد ينشد الحرية، وأن الحكومات المتعاقبة على حكم هذا البلد لم ينل منها الخير، وتتخذ من الدين الإسلامي آلة لخدمة السياسة، لذلك هي متمسكة بمساجده، وتجعل من السياسة آلة لهدم الدين الإسلامي، وتحارب اللغة العربية والتعليم لمحو الجنسية العربية، وتوسع السجون، وتضييق المدارس، وإنها حكومات سيئة الظن بنفسها قبل أن تكون سيئة الظن بالشعب، وانتقد الإبراهيمي مفهوم الوحدة الفرنسية بمعنى طمس الجزائر في فرنسا، لأنه لا يمكن أن تقوم الوحدة بين بلد كنيسته

⁽⁴⁴⁹⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1949م، الاثنين 30 أيار). كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية. البصائر. العدد: 81. ص: 281. الجزائر.

⁽⁴⁵⁰⁾ الإبراهيمي. (1949م، الاثنين 30 أيار). كتاب مفتوح... ص: 281.

حرة ومسجده مستعبد وبين حاكم متعصب بجنسيته ودينه وبين محكوم مغلوب على أمره، وبين بلد ساكنوه صنفان وقوانينه صنفان، إن مفهوم هذه الوحدة لا تتسجم مع الماضي الجزائري ولا الحاضر ولا المستقبل⁽⁴⁵¹⁾.

ويبدو أن هذا الكتاب كان كغيره من العرائض والبرامج والقرارات التي قدمت إلى الحكومة الفرنسية ولم تعطها أذن صاغية، بالرغم من أن الحديث عن الجزائر المستقلة أصبح الشغل الشاغل للجزائريين فضلاً عن الرأي العربي والعالمي، ولاسيما أن أغلب الشعوب التي كانت مستعمرة، حصلت على استقلالها، ومن هذا المنطلق استمر أعضاء جمعية العلماء بممارسة نضالهم السياسي والتعليمي سواء وحدهم، أو تضامناً مع إخوانهم في بقية الأحزاب الوطنية الجزائرية الأخرى، من أجل تحقيق مطالبهم.

2. النضال السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ العام 1950م حتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في العام 1954م.

شكلت بداية العام 1950م، منعطفاً جديداً بالنسبة إلى نضال جمعية العلماء المسلمين، فقد اشتدت خطابات رئيسها ضد الاستعمار وممارساته ضد الدين الإسلامي والتعليم العربي، ومن ثمّ التطلع إلى الاستقلال إسوّةً بالبلاد التي كانت مُستعمَرة، وحصلت على استقلالها، ففي العدد الصادر عن جريدة البصائر في بداية عام 1950م، ذكر الإبراهيمي بخصوص هذا الموضوع مايلي:

"واضيعته!... وواذلاه!... أفي الوقت الذي تتشوق فيه الأمم المحكومة كلها إلى نيل حقوقها السياسية، وحريتها في الحكم الذاتي والتصرف المطلق، وفي الوقت الذي يتفق فيه مجلس الأمم المتحدة على تحرير سبعين مليوناً في جزر الهند الشرقية من الاستعمار الهولندي، وعلى تحرير القطر الليبي، وفي الوقت الذي تسمح فيه

⁽⁴⁵¹⁾ الإبراهيمي. (1949م، الاثني 30 أيار). كتاب مفتوح...ص: 282281.

إنكلترا(شيخة الاستعمار) بأعلى جوهرة في تاجها، وبأغنى مزرعة في مستعمراتها، وهي الهند وباكستان، وقد كانتا أمس بمنزلة القلب الذي هو سر الحياة واستمرار الوجود لبريطانيا كلها...في هذه الظروف التي أصبح فيها طعم الاستعمار المادي الحلو اللذيذ مرا كريها حتى في حلق غلاة الاستعمار- يبقى الدين الإسلامي بمعابده وأوقافه ورجاله مستعمرًا مستعبدًا في الجزائر وحدها؟⁽⁴⁵²⁾.

من هذا الأساس انطلقت جمعية العلماء إلى مواصلة النضال السياسي، وذلك بالعودة إلى سياسة التحالفات مع الأحزاب الجزائرية الأخرى، ففي يوم 17 حزيران من عام 1951م، جرت الانتخابات التشريعية التي استخدمت فيها فرنسا كعادتها كل أساليب الضغط والتزوير، والتعذيب البوليسي، فضلاً عن قمع الحريات، ونتيجة لذلك اجتمع كل من جمعية العلماء، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والحزب الشيوعي الجزائري، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وشكلوا لجنة إنشائية، قامت بنشر بلاغ في جريدة المنار الجزائرية⁴⁵³ كان مضمونه تأسيس جبهة موحدة من هذه الأحزاب، وهي جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها، من أجل توحيد العمل⁽⁴⁵⁴⁾.

شارك من أعضاء جمعية العلماء الشيخ العربي التبسي، ومحمد خير الدين ، وأحمد توفيق المدني، ومن أعضاء انتصار الحريات الديمقراطية أحمد مزعنة ومصطفى فروخي، أما حزب الاتحاد الديمقراطي فقد مثله كل من أحمد فرنسيس، وقدر ساطور المحامي ، والحزب الشيوعي مثله السيد بول كاباليرو وأحمد محمودي⁽⁴⁵⁵⁾، واجتمع الأعضاء في مكتب جمعية العلماء لمناقشة المستجدات على الساحة السياسية الجزائرية، وكان أمين الخزينة في هذه الجبهة الشيخ العربي التبسي النائب الأول لرئيس الجمعية⁽⁴⁵⁶⁾.

⁽⁴⁵²⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1950م، الاثنين 30 كانون الثاني). ونعود إلى فصل الدين عن الدولة. البصائر. العدد: 105. ص: 127. الجزائر.

⁴⁵³ جريدة سياسية، ثقافية، يديرها ويحررها محمود بوزوزو، صدرت في 23 شباط من العام 1951م. للمزيد راجع: زكرياء. (2003م). ص: 188.
⁽⁴⁵⁴⁾ اللجنة الإنشائية. (1951م، الاثنين 30 تموز). لجنة انشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها. المنار. العدد: 6. ص: 1، الجزائر. المطبعة العربية.

⁽⁴⁵⁵⁾ اللجنة الإنشائية. (1951م، الاثنين 30 تموز). لجنة انشائية.... ص: 1.

⁽⁴⁵⁶⁾ المدني. (1982م). حياة كفاح... ج: 2. ص: 402.

تأسست الجبهة رسمياً يوم الأحد 5 آب من العام 1951م، وكان ذلك في قاعة سينما " دنيا زاد" في الجزائر، بشكل اجتماع عام من قبل اللجنة الإنشائية، وقد لبي الدعوة عدد كبير من الجزائريين، وأُقيمت الخطابات من قبل الأعضاء، وكانت كلمة البداية لعضو جمعية العلماء الشيخ العربي التبسي الذي ترأس الجلسة، ورحب بالحضور مخاطباً إياهم: "فهذه جبهة لا تسأل أحداً إن كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، إنما تسأله هل هو مناضل في سبيل الحق مكافح في سبيل الحرية، فغايتنا هي أن نشيد جزائر حرة يتمتع بخيراتها سائر أبنائها سواسية لا فرق بين جنسهم ومعتقدهم ولو كانت لنا حكومة إسلامية بقطر الجزائر لما وجدت بيننا فروق في الأديان، ولا تفاوت في الاجناس"⁽⁴⁵⁷⁾.

وقد اتفق أعضاء الجبهة على مجموعة من المطالب قدموها لسلطات الاحتلال، كان من بينها إلغاء الانتخابات التشريعية المزورة التي جرت في 17 حزيران من عام 1951م، وإجراء انتخابات جديدة لا تتدخل فيها الحكومة الفرنسية، واحترام الحريات مثل حرية الصحافة وحرية الفكر والاجتماع، والتوقف عن الأعمال التعسفية ضد المناضلين السياسيين، وتحرير المعتقلين، وإبطال التدابير الاستثنائية ضد مصالي الحاج، وإطلاق سراحه من الإقامة الجبرية في منطقة بوزريعة الجزائرية، وعدم تدخل السلطات الفرنسية في الشئائر الدينية الإسلامية⁽⁴⁵⁸⁾.

وعقدت اجتماعات عدة تناولت قضايا الجزائريين المختلفة، ونددت بالظلم، وفي إطار مشاركة جمعية العلماء في هذه الجبهة، فقد نجحت إلى حد كبير في تعبئة الأحزاب الجزائرية والشعب الجزائري حول المطالبة بحقوقهم، وأسهمت إسهاماً كبيراً في مهام الجبهة واحتضانها، لكن هذه الجبهة لم يكتب لها الاستمرار بسبب رفض الحزب الشيوعي مبدأ المشاركة في الانتخابات، وقرر اعضاءه المشاركة في الانتخابات لكي يروجوا لأفكار الحزب

⁽⁴⁵⁷⁾ (1951م، الاربعاء 15آب). الجبهة الجزائرية في الدفاع عن الحرية واحترامها. المنار العدد: 7. ص: 1، 3-4. الجزائر. المطبعة العربية.

⁽⁴⁵⁸⁾ (المدني. 1982م). مذكرات... ج: 2. ص: 402.

ومواقفه امام الشعب، واستاء حزب البيان من هذا الموقف وقرر الانسحاب من الجبهة، فضلاً عن ذلك قامت السلطات بإلقاء القبض على ممثل الحزب الشيوعي في الجبهة (كاباليرو)، واتهمته بالتآمر على أمن الدولة⁽⁴⁵⁹⁾.

بعد إخفاق الجبهة استمر أعضاء الجمعية بممارسة نشاطهم، إذ سافر البشير الإبراهيمي إلى باريس من أجل حضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، واستغل هذا الاجتماع وطلب من ممثل دولة العراق ونائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة في تلك السنة السيد محمد فاضل الجمالي إثارة قضية الجزائر في الأمم المتحدة، وقد حضر الإبراهيمي وقتها حفل احتفال ليبيا باستقلالها في عام 1951م في باريس، وألقى خطاباً قال فيه: "ان الجزائر ستقوم قريباً بما يدهشكم من تضحيات وبطولات في سبيل نيل استقلالها، وإبراز شخصيتها العربية الإسلامية"⁽⁴⁶⁰⁾.

وتحدث الجمالي عن الإبراهيمي ودوره في التعريف بقضية الجزائر وأنه كان خير محفز له لكي يكرس كل طاقته في خدمة القضية الجزائرية سواء في العراق أو في المحافل الدولية، ووصفه بأنه مسلم صادق في إسلامه وعالم مجاهد في سبيل أمته، وكان له الفضل الكبير في تعريف الأوساط الشعبية العراقية بالقضية الجزائرية، وبعد جملة من الخطابات أمام الوفود الإسلامية، طلبوا من الإبراهيمي زيارة بلدانهم والتعريف أكثر بالقضية الجزائرية⁽⁴⁶¹⁾.

بعد عودة الإبراهيمي إلى الجزائر فكر بالموضوع، وعرض الفكرة على أنصار الجمعية، ورحبوا بالفكرة، ووضعوا لها الأساسات، ويتفق أغلب المؤرخين على أن زيارة الإبراهيمي إلى المشرق العربي في العام 1952م،

⁽⁴⁵⁹⁾ بوحوش. (1997م). ص: 270.

⁽⁴⁶⁰⁾ بوحوش. (1997م). ص: 271. نقلاً عن: الجمالي، محمد فاضل. (1976م، كانون الثاني). الشيخ البشير الإبراهيمي ورسائله التربوية. المجلة

التاريخية المغربية. العدد: 5. ص: 57-61.

⁽⁴⁶¹⁾ بوحوش. (1997م). ص: 271.

كانت من أجل الحصول على أموال للجمعية، ومقاعد للدراسة في الجامعات والثانويات لطلبة الجمعية⁽⁴⁶²⁾، إلا أنه أراد من هذه الرحلة فضلاً عن الأهداف السابقة ممارسة عمله السياسي من الخارج⁴⁶³.

فضلاً عن ذلك سَوَّغ الإبراهيمي دواعي هذه الرحلة، وهي تحقيق أهداف عدة منها: حب الاطلاع والبحث، فيما يتعلق بشؤون العالم الإسلامي، ولاسيما دراسة أحوال المسلمين في مواطنهم، والاتصال المباشر بعلماء الدين، ودراسة أحوال الحكومات الإسلامية التي يبنى عليها الحكم، فضلاً عن دراسة نفسية شباب الأمم المتباعدة عن الديار، وتأثرهم بالعوامل الخارجية التي تبعدهم عن روح الإسلام، أما الأهداف الخاصة بجمعية العلماء، فهي التعريف بالجمعية ودورها في إعادة الشعب الجزائري إلى أمته الإسلامية العربية، والتعريف بالقضية الجزائرية⁽⁴⁶⁴⁾.

غادر الإبراهيمي الجزائر في 7 شباط من العام 1952م، متوجهاً إلى القاهرة، وبقي فيها أسبوعاً، ثم سافر إلى باكستان، وبقي هناك نحو ثلاثة أشهر يجوب المدن الباكستانية، وألقى هناك نحو سبعين محاضرة في الدين، والاجتماع، والتاريخ، وأمراض الشرق وعلاجها، ثم عاد إلى العراق، وجاب مدنها من البصرة إلى حدود تركيا وإيران، وقام أيضاً باللقاء المحاضرات والأحاديث، ليعود بعدها إلى القاهرة في 24 من تشرين الأول في العام نفسه، وبقي فيها مدة من الزمن سافر خلالها إلى كل من سوريا والحجاز والأردن والقدس والعراق يُعَرِّف بالقضية الجزائرية، وطلب الدعم والعون من الحكومات الإسلامية والعربية لها ولاسيما في نهضتها الثقافية⁽⁴⁶⁵⁾.

⁽⁴⁶²⁾ سعد الله. (2007م). خلاصة تاريخ...ص:144.

⁴⁶³ إلى جانب العوامل التي ذكرها المؤرخون حول سفر الإبراهيمي إلى الشرق، يبدو أنه أراد أن يزور البلاد العربية من أجل تحقيق عدة أهداف منها تعريف البلاد العربية بالقضية الجزائرية، وتقديم صورة واضحة عن الداخل الجزائري، والاتصال بالجامعة العربية، والمنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة، وأيضاً حرية نشر المقالات خارج الجزائر وحرية العمل السياسي، بالإضافة إلى ذلك يستطيع من الخارج الضغط على الإدارة الاستعمارية للتجاوب مع مطالب الشعب، وذلك بعد اخفاق كل المحاولات من الداخل، ويُستنتج من هذا العمل بأن جمعية العلماء أصبحت تعمل ليس كجمعية بحد ذاتها، وإنما تعمل كدولة ترسل الوفود إلى الخارج وتعقد الاجتماعات وتمثل مطالب أمة بكاملها ليس فقط مطالب افراد، أو حزب معين.

⁽⁴⁶⁴⁾ الإبراهيمي، محمد البشير. (1952م، الاثنين 23 حزيران). رحلتي إلى الأقطار الإسلامية. البصائر. العدد: 194. ص: 109. الجزائر.

⁽⁴⁶⁵⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام...ج:5. ص: 169.

استطاع الإبراهيمي تحقيق معظم الأهداف التي سافر من أجلها، خصوصاً أن أغلب الحكومات العربية قررت قبول بعثات تلامذة جمعية العلماء لكي يدرسوا في معاهدها وعلى نفقتها، ففي العراق قُبِل خمسة عشر طالباً، ومثلهم في الكويت، وثلاثون طالباً في سورية، ونحو خمسين طالباً في مصر، واستطاع الإبراهيمي تأسيس مكتبا في القاهرة باسم الجمعية ليُشرف على هذه البعثات، وازداد عدد البعثات مع مرور الزمن، وقد قامت جامعة الدول العربية بتسديد بعض نفقات المكتب⁽⁴⁶⁶⁾.

على الصعيد الجزائري، قرر أعضاء جمعية العلماء تعيين أحمد توفيق المدني، أحد الإداريين الرسميين للجمعية أميناً عاماً للجمعية بعد الاجتماع العام لها، وبهذا أصبح المدني يعمل علنياً في الجمعية، وبدأ في العمل ، بعد سفر الإبراهيمي ، في مجال التعليم وبناء المدارس والنوادي، وعُيّن الشيخ العربي التبسي نائباً أول للإبراهيمي في رئاسة الجمعية لتيسير أمورها في الجزائر، ومحمد خير الدين نائباً ثانياً له⁽⁴⁶⁷⁾.

وتعرضت جمعية العلماء في حقبة الخمسينيات ، ولاسيما بعد سفر الإبراهيمي، ما أصاب حزب الشعب، من خصومة في الزعامة ومزاحمة الجيل الجديد للجيل القديم، ولكن انقسام حزب الشعب أصبح علنياً ومعروفاً، بينما ما أصاب جمعية العلماء بقي في الخفاء، لأنه لم يصل إلى درجة الانقسام العلني ، إلا أن ذلك قد أثر على نضالها السياسي في تلك الحقبة، وكانت أول بوادر الانقسام هي انتشار شائعات حول غياب الإبراهيمي عن الجزائر، وهل من الممكن أن يعود إليها أو لا، ولاسيما بين أعضاء جمعية العلماء⁽⁴⁶⁸⁾.

كان من بين تلك الشائعات من قال أنه ينوي إدارة الجمعية من الخارج، ومنهم من قال بأنه دخل مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وأصبح نشاطه متصلاً بالحركة الوطنية المغربية، ولذلك ستقوم فرنسا بالقبض عليه إذا رجع

⁽⁴⁶⁶⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج: 5. ص: 169.

⁽⁴⁶⁷⁾ المدني. (1982م). حياة كفاح... ج: 2. ص: 408.

⁽⁴⁶⁸⁾ سعد الله، أبو القاسم. (2007م). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج: 2. الجزائر. دار البصائر. ص: 65.

إلى الجزائر، ومن قال بأنه قد دخل بتأثير الفضيل الورتلاني⁴⁶⁹، في بعض الجمعيات الإسلامية في المشرق، التي كان بعضها . سياسياً. مشبوهة بالجزائر، ولذلك لن يستطيع العودة للديار، أما آخرون فقد ذكروا بأن الإبراهيمي عاد إلى أصله، أي العيش في الشرق وجعل من مكتب جمعية العلماء ملتقى الحياة السياسية والدينية والأدبية في العالم العربي، وابتعد عن واقع الجزائر، وعن تسيير أمور الجمعية من الداخل، مع التمسك بزعامتها من الخارج⁽⁴⁷⁰⁾.

كان لهذه الشائعات اثرها الكبير ضمن أعضاء جمعية العلماء، بحسب رواية سعد الله، كان الشيخ التبسي النائب الأول للإبراهيمي في رئاسة الجمعية، مع تدينه وإخلاصه لفكرة الجمعية، إلا أنه لم يكن محل تقدير كل أعضائها، ولم يكن يتمتع بمواصفات الإبراهيمي، ولا بدبلوماسية الشيخ محمد خير الدين، فقد كان شديد الغيرة على اختصاصاته، وكان يمثل الجيل القديم في الجمعية بسبب إخلاصه وتدينه وتفانيه، لكن الجمعية دخلها جيل جديد من الشبان المنفتحين العصريين، فكان أكثرهم لا يقتنع بأسلوب التبسي في القيادة لأنهم يرونه شيخاً فوضوياً في عمله، ويتصف بشيء من الغفلة والدروشة في تصرفه، وبسبب اتساع رقعة عمل الجمعية وتشابك القضايا التي تعالجها سياسياً واجتماعياً وتربوياً، فكانوا يرون أنه لم يعد يكفي الجمعية لقيادتها الرجل المخلص المتدين فقط⁽⁴⁷¹⁾.

⁽⁴⁶⁹⁾ على الرغم من ذكر اسمه في الفصل الثاني ضمن قائمة المجلس الإداري للجمعية، إلا أنه لا بد من التعريف بهذه الشخصية البارزة في الجمعية. ولد الشيخ الورتلاني في العام 1900م، في بلدية بني ورتيلان في ولاية سطيف الجزائرية، تلقى علومه على يد علماء أجلاء، التحق بقسنطينة في عام 1930م، لإتمام تعليمه في مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي عام 1934م، كلف بالتدريس أستاذاً مساعداً للشيخ ابن باديس، وفي العام 1936م، انتدب ممثلاً لجمعية العلماء في فرنسا لتمثيلها هناك والتعريف بها، أما في العام 1940م، فسافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر للحصول على شهادة بكلية أصول الدين، وأسس مع الإبراهيمي مكتباً لجمعية العلماء في عام 1949م، لينطلق منه صوت الجزائر إلى الدول العربية، وكتب في أغلب الصحف العربية يشرح فيها قضية الجزائر، واسس عديداً من اللجان والجمعيات في المشرق للدفاع عن الجزائر، وأسهم بقلمه ولسانه بالثورة الجزائرية، توفي في أنقرة في عام 1959م، ونقل رفاته إلى الجزائر في العام 1987م ودفن فيها. للمزيد راجع: الورتلاني: الفضيل. (2009م). الجزائر الشائرة: ط. 4. عين مليلة: الجزائر. دار الهدى. ص: 513.

⁽⁴⁷⁰⁾ سعد الله. (2007م). أبحاث وآراء... ج: 2. ص: 66.

⁽⁴⁷¹⁾ سعد الله. (2007م). أبحاث وآراء... ج: 2. ص: 66-67.

فضلاً عن ذلك ذكر المدني الأمين العام للجمعية بأن العربي التبسي⁴⁷²، قرر السفر في عام 1953م، لأداء فريضة الحج ولقاء الإبراهيمي، وكان يعتزم رفع يد الإبراهيمي عن الطلبة في القاهرة، ويغتنم فرصة استيلاء البعثة الطلابية التي تجاوز عددها المئة من جراء قلة الدعم المادي لها، لكي يأخذ بين يديه قضية الطلبة ومصيرهم، الذين أحسوا بأن فتنه ستصيب الجمعية من وراء ذلك، وقد كانت أنباء نواياه تصل إلى أعضاء جمعية العلماء في الجزائر بواسطة هؤلاء الطلبة، فما كان من أعضاء المجلس الإداري بقيادة خير الدين، إلا أن أرسلوا برقية إلى الإبراهيمي يحددون فيها ثقتهم فيه، ويكلفونه بإيجاد حل لمشكلة الطلبة، ولكن هذه البرقية سقطت بيد العربي التبسي، الذي عدّها موجهة ضده، ولهذا السبب اتسعت شقة الخلاف بينه وبين أعضاء المجلس الإداري⁽⁴⁷³⁾.

بعد سفر العربي التبسي إلى الشرق خلا الجو لنائب الرئيس الثاني وهو محمد خير الدين لقيادة الجمعية، الذي يمثل الجيل الجديد في الجمعية والمعارض لقيادة العربي التبسي، كما انه لم يكن يصرح بنواياه وخططه، إلا أنه شعر بأن الجمعية سيعيبها الانقسام والاختلاف، إذ لم يتدارك رجالها الوضع، ويقومون بإجراء تعديلات وإصلاحات في نظامها وهياكلها، لذلك استغل محمد خير الدين غياب العربي التبسي لتجنب المواجهة معه، وقام بما سماه بعضهم بانقلاب داخل الجمعية، فعلى غير عادته قام بجولات في أنحاء القطر يخطب ويعظ، ويزور المؤسسات ويفتقدها ويفتحها، ثم توج كل هذه الأعمال بدعوة المجلس الإداري للانعقاد لصياغة دستور جديد للجمعية⁽⁴⁷⁴⁾.

عقد المجلس الإداري جلسته تحت رئاسة الشيخ محمد خير الدين في شهر أيلول من العام 1954م، في ظروف خاصة، وهي غياب الرئيس الأول للجمعية ونائبه، وأيضاً عشرة من أعضاء المجلس الإداري من أصل سبعة وعشرين عضواً، مع التأكيد أن الجلسة هي جلسة سنوية عادية، ومع أن المجلس قد أعيد انتخابه، والتغيير في هياكل الجمعية لكن لم يأخذ بالحسبان رغبة شباب الجيل الجديد في الجمعية بضرورة إنهاء احتكار الجيل القديم لشؤون

⁴⁷² وصفه المدني بأنه على الرغم من علمه الواسع، وتقواه العظيم، وتأثيره الإصلاحية الكبير في العامة، إلا أنه كان معتدّاً بنفسه، متصلباً، وكان سريع الغضب. للمزيد راجع: المدني، أحمد توفيق. (1982م). حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية مذكرات. ج:3. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر. ص:20.

⁽⁴⁷³⁾ المدني. (1982م). حيات كفاح...ج:3. ص:20.

⁽⁴⁷⁴⁾ سعد الله. (2007م). أبحاث وآراء...ج:2. ص:67.

الجمعية، ولم يُضف أعضاء جدد منهم⁽⁴⁷⁵⁾، وخرج المجلس الإداري بمجموعة من القرارات التي تخص تنظيم هياكل الجمعية ومطالبة الإبراهيمي والورتلاني بالعودة إلى الجزائر لصياغة قانون أساسي جديد للجمعية، وطلب المجلس من الرئيس إعطاء بيانات عن الاشاعات الكاذبة وعن ناقلها وبيان سائر الأسماء ليتخذ المجلس موقفه من محاكمة هؤلاء الكاذبين، فضلاً عن ذلك تكليف المكتب الدائم للجمعية بإرسال لوم وتوبيخ إلى المقصرين من أعضاء الجمعية، وتكليفه أيضاً بتولي العلاقات الخارجية للجمعية بما فيها من اتصال بالجمعيات الإسلامية الكبرى، وعرض منهج إصلاحي يتضمن سير الجمعية، فضلاً عن تنظيم أموال الجمعية دخلاً وصرفاً، ووضع طبقات للمعلمين والمديرين، ويقرر لهم وللعاملين مرتبات ثابتة ضمن إطار الجمعية⁽⁴⁷⁶⁾.

ومن الجدير بالذكر بأن التركيز على عقد مجلس إداري، وصياغة قانون أساسي جديد للجمعية، وإعادة تنظيم هياكل الجمعية، هو بداية ثورة حقيقية داخلها، قام بها الجناح الشاب بزعامة محمد خير الدين⁴⁷⁷ لتدارك الوضع الراهن⁽⁴⁷⁸⁾.

كان من الممكن لهذه الثورة التي حدثت داخل الجمعية أن تتطور أحداثها، وتتوسع الانقسامات داخلها، لولا حدوث تطورات جديدة على الساحة الجزائرية في تلك الحقبة بالتحديد، وهي إعلان انطلاق الثورة الجزائرية الكبرى في الأول من تشرين الثاني من العام 1954م، وانقسم أعضاء جمعية العلماء ما بين تأييد إعلان الثورة، والوقوف على الحياد منها، والسؤال الذي يطرح نفسه؟ ما موقف جمعية العلماء من انطلاق شرارة الثورة الجزائرية الكبرى؟

⁽⁴⁷⁵⁾ سعدالله. (2007م). أبحاث وآراء...ج:2. ص:65، 67.

⁽⁴⁷⁶⁾ سعدالله. (2007م). أبحاث وآراء...ج:2. ص:68-69. أيضاً راجع: المدني. (1982م). حياة كفاح...ج:3. ص:20-21.

⁴⁷⁷ يُلاحظ هنا مدا المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها الجمعية منذ رحيل الإبراهيمي خصوصاً إشاعات عدم عودته إلى الوطن، واستياء أعضاء الجيل الجديد من قيادة التبسي للجمعية، دفعت محمد خير الدين تجنباً للانقسامات داخلها إلى القيام بثورة لوضع النقاط على الحروف، وإعادة تنظيم الهياكل الإدارية ومعاقبة المقصرين والطلب من الرئيس ارسال توضيحات، وتنظيم الأمور المالية للجمعية ومؤسساتها، لأنه أدرك مدى خطورة الوضع ولزوم التحرك على الفور.

⁽⁴⁷⁸⁾ سعدالله. (2007م). أبحاث وآراء...ج:2. ص:68.

مع إعلان شرارة الثورة الجزائرية بقيادة جبهة التحرير الوطني⁴⁷⁹، حدث تباين بين مواقف أعضاء جمعية العلماء من إعلانها، ولعل السبب وجود الأعضاء البارزين في الخارج، وهم من كان يمتلك حرية الإدلاء بالرأي بسبب بعدهم عن قبضة الاستعمار، وتفاعلاً الأعضاء في الداخل من إعلانها، ولعل الخوف الذي تملك بعض أعضاء الجمعية في الداخل من تكرار مجزرة أيار من عام 1945م، كان السبب في وقوفهم على الحياد في البداية.

ونتيجة لذلك لم يعلن أي موقف جماعي للجمعية، واستمرت هذه الحالة حتى العام 1956م، فالبشير الإبراهيمي مع الفضيل الورتلاني مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة، وتحديداً في اليوم الثاني لها، كانا من أوائل المؤيدين، فقد أصدر الإبراهيمي بياناً من مكتب جمعية العلماء بالقاهرة تحدث فيه عن فرنسا وحملها مسؤولية ما ارتكبه من مجازر في الجزائر، مع التأكيد على أن هذه المجازر ستكون سبب نهايتها، ثم ذكر حكومات المشرق العربي بواجبها تجاه إمداد الحركات الثورية في المغرب العربي وتشجيعها، ودعم موقفه ببيان آخر في اليوم الثالث حياً فيه الثائرين، وذكرهم بجرائم فرنسا بحق دينهم وديناهم، كذلك أعاد الكرة في اليوم الرابع ببيان ثالث وجهه للشعب الجزائري، وحذرهم من التراجع، وذكرهم أن فرنسا عدوة لهم، ولن تتغير نظرتها العدائية لهم، وكانت هذه البيانات الصادرة كلها في العشر الأوائل من تشرين الثاني من العام 1954م، عن رئيس جمعية العلماء ومن أهم الشخصيات الدينية في الجزائر، وقد قدمت تلك البيانات دعماً قوياً للمجاهدين، وأسهمت في إخراج الشعب الجزائري من التردد

⁴⁷⁹ بعد الانقسامات التي حدثت داخل حزب الشعب القديم، الذي تأسس بعده حزب انتصار الحريات الديمقراطية حدث خلاف داخل الحزب بين مصالي الحاج المؤيد للعمل الحزبي الشرعي، وبين الأمين دباغين المؤيد للعمل العسكري، تطور الخلاف تطوراً كبيراً انتهى بعزل الأمين دباغين نتيجة الخلافات الداخلية، لكن المؤيدين للعمل العسكري بقوا داخل الحزب بكثرة خصوصاً بعد تأسيس المنظمة الخاصة في العام 1947م، داخل الحزب وهي منظمة عسكرية سرية مهمتها التدريب وتأمين السلاح، واستطاعت تجنيد ألف شاب جزائري في صفوفها، وازدادت الخلافات بين المنظمة الخاصة وبين الحزب الذي اتجه نحو الالتفاف حول الأحزاب الجزائرية للدفاع عن الإصلاحات السياسية، لكن مصالي الحاج نُفي إلى فرنسا في عام 1952م، واستطاع أعضاء المنظمة فرض سيطرتهم على الحزب، واجتمعوا في العام 1954، وقرروا حرمان مصالي الحاج وزملائه من استخدام الوسائل المادية والمعنوية لكي لا يقوم بأي عمل سياسي، ومثل المنظمة الخاصة محمد بوضياف وقررت المنظمة تشكيل (اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، في نفس العام لتبليغ نداء الكفاح المسلح بوصفه الطريق الوحيد لحل القضية الجزائرية، واجتمع أعضاء العمل الثوري في 25 حزيران من العام 1954م، وقرروا القيام بالثورة وسُميت المنظمة السياسية بجبهة التحرير الوطني والعسكرية بجيش التحرير الوطني، وأُخذ الأول من تشرين الثاني بداية الثورة بعد توزيع العمل على عدد من القادة كل واحد في منطقته. للمزيد راجع: خيريك، نمير. (2015، 2016م). ص: 453، 480.

والحيرة، كما أن هذه البيانات أسهمت في إيصال أخبار الثورة إلى قادة الدول العربية الإسلامية والعالم، والتعريف بمسؤولي الثورة لهم⁽⁴⁸⁰⁾.

كذلك دعاهم جميعاً للكفاح المسلح⁽⁴⁸¹⁾، واقترح على شيخ الأزهر يوم 12 تشرين الثاني من العام نفسه، أن يدعو إلى الجهاد ضد فرنسا⁽⁴⁸²⁾، لكن هذه البيانات أزعجت بعض الحاقدين على جمعية العلماء ورئيسها الإبراهيمي، الذين كانوا يتمنون، ألا تؤيد الثورة، أو أن يتأخر تأييدها، كي يصبح لا قيمة له، لذلك فإن بعض من كتب عن ثورة الجزائر أهمل بيانات رئيس الجمعية وموقفها من الثورة، ومنهم من أشار إلى تلك البيانات أنها من باب الاستحياء، ومنهم من قال عنها بأنها تخص الإبراهيمي بشخصه، ولا تصدر عن جمعية العلماء، ومن ثم لا تعبر عن موقف الجمعية⁽⁴⁸³⁾.

بالمقابل أدرك الإبراهيمي منذ البداية أن الذي يحصل بالجزائر هو ثورة وليس فورة وهي التي كان ينتظرها منذ زمن كما انتظرها قبله ابن باديس، فكانت بياناته صادرة عن مكتب جمعية العلماء وليس باسمه الشخصي، وأدرك أنها بحاجة إلى دعم ومساندة هيئة ذات مصداقية لدى الشعب الجزائري، وهي جمعية العلماء، وإذا كان ما قالوه هؤلاء الحاقدين على الجمعية ورئيسها بأنها لا تمثل الجمعية وإنما تمثل الإبراهيمي فقط، فلماذا سكنت عنها بقية أعضاء الجمعية ولماذا لم يستنكروها أو يتبرؤوا منها، ولماذا أصدرها الإمام من مكتب الجمعية وليس باسمه، إن الحقيقة هي أن جمعية العلماء برئيسها كانت متقدمة على غيرها في احتضان ثورة الشعب الجزائري⁽⁴⁸⁴⁾.

⁽⁴⁸⁰⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج: 5. ص: 21.

⁽⁴⁸¹⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج: 5. ص: 20-21.

⁽⁴⁸²⁾ الصلابي. (2017م). ص: 251.

⁽⁴⁸³⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج: 5. ص: 22.

⁽⁴⁸⁴⁾ الصلابي. (2017م). ص: 251-252.

كان الإبراهيمي من أوائل المؤيدين للثورة، ولم يمض سوى ثلاثة أشهر على انطلاق الثورة، حتى أسس مع الجالية الجزائرية في القاهرة تنظيمًا سُمي (جبهة تحرير الجزائر)، لخدمة الجزائر، والكفاح في سبيل تحريرها واستقلالها، مساندين بذلك جيش التحرير⁽⁴⁸⁵⁾.

على الصعيد الجزائري اختلفت وجهات النظر بين أعضاء جمعية العلماء في موقفهم من الثورة، وذلك أن بعض الأعضاء نشروا مقالات في البصائر بأنهم لا يعلمون شيئاً عن الثورة، ففي مقال للبصائر في العام 1954م، ما يثبت هذا الكلام، إذ جاء فيه: "إننا إلى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث، وأسبابها؛ وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار، فلا نستطيع ان نعلق عليها أدنى تعليق، إلى أن نتبين لنا طريق الصواب. فليس من شأن ((البصائر)) أن تتسرع في مثل هذه المواطن"⁽⁴⁸⁶⁾.

إلا أن الأمين العام للجمعية المدني خالف هذا الكلام، وذكر أنه كان على علم بانطلاق الثورة ولكن لا يعلم متى، وبعد مدة عرف اليوم الذي تنطلق فيه الثورة بواسطة شخص من موقديها ، رفض ذكر اسمه، لأنه أقسم له على ذلك، ومع انطلاق الثورة دعا رجال الجمعية لعقد المجلس الإداري وتقرر بأن تؤيد الجمعية الثورة⁽⁴⁸⁷⁾.

ومهما يكن من تضارب الآراء حول تأييد الجمعية للثورة في الداخل أو الخارج، فقد جاء البيان الحاسم للجمعية في العام 1956م، والاجتماع العام الذي عقدته جمعية العلماء يوم السبت في 7 كانون الثاني من عام 1956م، بعد أن اتفق أعضاء المجلس الإداري على وجوب عقد اجتماع عام للجمعية، لكي تقول كلمتها الحاسمة في مسألة الكفاح، وخرج المؤتمر بالتأييد الكامل للثورة بعد موافقة نائب رئيس الجمعية العربي التبسي الذي عاد إلى الجزائر، واختمرت فكرة الثورة في رأسه، وأقر بأن من لا يوافق على هذا البيان ليس مسلماً⁽⁴⁸⁸⁾.

⁽⁴⁸⁵⁾ الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج:5. ص:24.

⁽⁴⁸⁶⁾ (1954م، الجمعة 5 تشرين الثاني). حوادث الليلة اليلاء. البصائر. العدد:292. ص:173. الجزائر.

⁽⁴⁸⁷⁾ المدني. (1982م). حياة كفاح... ج:2. ص:411-412.

⁽⁴⁸⁸⁾ المدني. (1982). حياة مفاح... ج:3. ص:34-35.

في الحقيقة إن هذا البيان الرسمي لمساندة الثورة ما هو إلا قراراً شكلياً، لتأكيد ما حصل على أرض الواقع، فمن الناحية الفعلية يوجد مئات المناضلين في صفوف الجمعية انضموا إلى جبهة التحرير وجيشها، منذ العام 1955م، ونتيجة لانضمام الجمعية إلى جبهة التحرير، قامت عصابة اليد الحمراء الفرنسية بخطط الشيخ العربي التبسي واغتياله في العام 1956م في ظروف غامضة⁽⁴⁸⁹⁾، أما المدني الأمين العام للجمعية، فقد طلب منه أحد قادة جبهة التحرير أن يمثلها في القاهرة، بسبب نقص ممثلي الجبهة في الخارج، وسافر إلى القاهرة في 12 نيسان من العام 1956م، أما محمد خير الدين فقد أرسلته قيادة الجبهة إلى المغرب الأقصى ليكون سفيراً لها، واستمر ذلك لغاية عام 1962، وعين كذلك عضواً بمجلس الثورة الجزائرية⁽⁴⁹⁰⁾.

كان تأخر الجمعية في إعلان تأييدها الرسمي للثورة أمراً طبيعياً، لأنها تصرفت كبقية القوى الوطنية الأخرى، فلم تكن الجبهة في البداية تمثل القوى الوطنية وإنما كانت تمثل أفراداً، إلى أن أعلن الشيخ العربي التبسي رئيس الجمعية البيان الرسمي لانضمام الجمعية إلى الجبهة، وصرح بأن كل مطالب جمعية العلماء أصبحت جزءاً من قضية الأمة، ولم يعد للجمعية أي حق للتفاهم مع فرنسا، معبراً أن جبهة التحرير هي ممثلة الشعب الجزائري بوصفها تهدف إلى تحقيق الاستقلال، وأكد أن الثورة هي الحل الوحيد الذي لا خيار للجزائر في غيره، كما أنه رفض طلب الحاكم العام الفرنسي في تهدئة الشعب الجزائري ورفض الثورة بحكم مكانته الدينية، وكانت مواقف الحازمة إلى جانب الثورة السبب في خطفة من قبل السلطات الفرنسية واستشهاده⁽⁴⁹¹⁾.

وهكذا رحب أغلب أعضاء جمعية العلماء بالثورة منذ بدايتها، وساندوا جبهة التحرير الوطني، ووضعوا أنفسهم تحت تصرفها، وقدموا خدماتهم للجبهة من جمع المال والتبرعات والأسلحة والاعانات وتجنيد الشباب، فضلاً

⁽⁴⁸⁹⁾ بوحوش. (1997م). ص: 278.

⁽⁴⁹⁰⁾ بوحوش. (1997م). ص: 278-279.

⁽⁴⁹¹⁾ المعاضيدي، فاتن يونس. (2012م). موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة الجزائرية الكبرى 1954-1962. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية. مج: 7. العدد: 3. ص: 4. كلية العلوم الإسلامية. جامعة الموصل.

عن الخدمات الاجتماعية من تأمين الطعام والشراب ومستلزمات الحرب⁽⁴⁹²⁾، واستمرت جمعية العلماء بالكفاح تحت راية جبهة التحرير إلى أن نالت الجزائر استقلالها في العام 1962م، وتحقق حلم ابن باديس الزعيم الروحي للثورة، وحلم كل جزائري حر كافح من أجل هذه اللحظة، سواءً في صفوف جمعية العلماء، أو صفوف الأحزاب الوطنية الأخرى، وكان موقف جمعية العلماء من الثورة آخر مرحلة تسجلها من نضالها السياسي في مدّة رئيسها الإبراهيمي.

لكن قبل انتهاء الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لا بُد من التتويه بقضية مهمة تبنّتها الجمعية منذ بداية تأسيسها، وتُعد من القضايا المهمة التي سجلها نضالها السياسي، وهو موقفها من القضايا العربية، وخصوصاً قضية فلسطين ومساندة دول المغرب العربي المستعمرة، فعلى الرغم من الاضطهاد الذي كانت تعيشه الجمعية والشعب الجزائري داخل الجزائر، إلا أنها وقفت موقفاً مشرفاً تجاه إخوانها العرب سواء في فلسطين أو دول المغرب العربي، فمنذ تأسيس الجمعية وحتى قبل تأسيسها كانت جريد الشهاب المنبر لإيصال موقف الجزائريين واحتجاجهم على ما يصيب إخوانهم في فلسطين واستمرت الشهاب مع البصائر بنشر المقالات التي تعبر عن رأي أعضاء الجمعية، ورئيسها ابن باديس طوال حقبة الثلاثينيات، وقد تناولت الشهاب الأحداث الدامية في فلسطين بكل تفاصيلها، وأسهمت في إيصالها للشعب الجزائري، الذي يعاني الوجد نفسه من مرارة الاحتلال⁽⁴⁹³⁾، وبعد استئناف البصائر لعملها في العام 1947م، من قبل البشير الإبراهيمي تصدرت القضية الفلسطينية أغلب مقالاتها، وواصلت شرح القضية وبيّنت موقف الجزائريين منها⁽⁴⁹⁴⁾.

أما عن موقفها تجاه دول المغرب العربي فقد تجلّى في المقالات المتتالية التي كتبها كل من ابن باديس أو البشير الإبراهيمي، التي تعبر عن التضامن الكامل معهم، وأبرزت دور الشخصيات الوطنية المغربية في صحفها، فضلاً عن مساندتها للحركات الوطنية والاستقلالية والطلائعية، وهاجمت في صحفها الاستعمار الإيطالي في ليبيا،

⁽⁴⁹²⁾ المعاضيدي. (2012م). ص: 3.

⁽⁴⁹³⁾ للتحديث بالتفصيل عن موقف جمعية وجريدتها الشهاب والبصائر من أحداث فلسطين في حقبة الثلاثينيات يمكن الرجوع إلى كتاب: خيريك (2015م). ص: 156، 176، أيضاً: ص: 222، 230-245، 250-260، 271.

⁽⁴⁹⁴⁾ يمكن الرجوع إلى جريدة البصائر الأعداد من عام 1947م وما بعدها أو كتاب: الإبراهيمي. (1997م). آثار الإمام... ج: 3. ص: 435، 462.

وركزت الشهاب على وحدة المغرب العربي، وطالب ابن باديس بإصلاح جامع الزيتونة في تونس الذي تخرج فيه، ولم تتوقف زيارات ابن باديس والإبراهيمي إلى دول المغرب العربي، واهتمت بالحركة الثقافية هناك⁽⁴⁹⁵⁾، إذ عملت جمعية العلماء على أن يكون لها موقف سياسي في كل قضايا المغرب العربي، من خلال اهتمامها بالقادة السياسيين والمفكرين، ومتابعتها لتيارات الحركات الوطنية في كل بلد، وتحمسها لكل ما ينفع وحدة المغرب العربي على أساس العروبة والإسلام والشخصية الحضارية⁽⁴⁹⁶⁾، وكانت مواقفها هذه سواء تجاه فلسطين أو تجاه دول المغرب تتبع من صميم التضامن ووحدته والانتمائين العربي والإسلامي.

خلاصة القول: اتسم النضال السياسي لجمعية العلماء في مدة رئاسة الإبراهيمي باتباع سياسة التحالفات مع الأحزاب الجزائرية الأخرى من أجل توحيد الصفوف والمطالبة من خلال تجمعها في حزب أو جبهة واحدة، وهذا ما كانت تسعى إليه جمعية العلماء منذ أيام رئيسها السابق ابن باديس، وبالرغم من أوقات الفتن المتقطعة التي مرت بها الجمعية في هذه الحقبة، التي كانت لها مسوغاتها، إلا أن نضالها السياسي لم يتوقف، بل إن المطالب قد تغيرت وتطورت نتيجة لتطور الأحداث والوعي الوطني الذي اتسمت به جمعية العلماء والأحزاب الجزائرية الكبرى، ومن ثم ناضل الجميع بمطالبهم السياسية التي لم تجد أذاناً مصغية لدى السلطات الاستعمارية، وأدركوا جميعاً أنه لا بديل للحل السياسي إلا الحل العسكري لتحقيق الاستقلال بقيادة جبهة التحرير الوطني وحيشها.

⁽⁴⁹⁵⁾ سعد الله، أبو القاسم. (1996م). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر: ج:4. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ص: 149، 154.

⁽⁴⁹⁶⁾ سعد الله. (1996م). أبحاث وآراء... ج:4. ص: 155.

خاتمة وأهم النتائج

لقد أدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دوراً مهماً في الحركة الوطنية الجزائرية ولاسيما فيما يتعلق بالجانب التربوي والعلمي، وذلك بواسطة نشر الوعي بالتعليم وفتح المدارس ، واستطاعت أن تملأ الفراغ الكبير والشاسع الذي أوجده الاستعمار، فضلاً عن نضالها السياسي مع الأحزاب الوطنية السياسية من أجل المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية، وعند التحدث عن النتائج التي توصل إليها البحث لا بُد من التنويه بأن هذه النتائج هي نفسها التي كان أثرها كبيراً في المجتمع الجزائري.

ومما سبق دراسته وعرضه وتحليله في هذا البحث يمكن استخلاص النتائج التالية:

• النتائج:

- 1- إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأسست بسبب التطور الفكري لدى المتقنين بالثقافة العربية الإسلامية والمتأثرين بالحركات المشرقية، الذين سعوا لتغيير الواقع الذي كانت تعيشه الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي.
- 2- على الرغم من اختلاف المؤرخين حول المؤسس لجمعية العلماء إلا أنه يمكن القول بأن الرواية حول تأسيس ابن باديس للجمعية وبمساعي عمر اسماعيل هي الأقرب إلى الصحة، ولكن هذا لا يعني أن تُنفى رواية المدني، فربما تظهر في المستقبل المزيد من الوثائق والدراسات التي قد تثبتها.
- 3- من خلال انخراط الجمعية في النضال السياسي يتبين أن البند الذي وضعته في قانونها الأساسي ما هو إلا حجة للحصول على موافقة السلطات الفرنسية في تأسيس الجمعية.
- 4- كان لجمعية العلماء تأثيراً كبيراً في المجتمع الجزائري في مجالات كثيرة سواء في المجال الديني أو الاجتماعي والثقافي أو السياسي.

5- كان لجمعية العلماء أثر مهم في تطهير الإسلام من البدع والخرافات، ومحاربة أصحاب الطرق والزوايا، ودعت الجزائريين إلى العودة إلى منابع الإسلام الصافية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

6- أما على المستوى الاجتماعي والثقافي فقد كان تأثيرها في محاربة الجهل والتخلف والأمية، بواسطة فتح المدارس والمساجد والنوادي، ونشر الوعي بواسطة الصحف والمجلات التي أسستها، ومحاربة الآفات الاجتماعية كالخمر وتعاطي المخدرات وغيرها، فضلاً عن ذلك الاهتمام بتعليم المرأة التي كانت تعاني التخلف والأمية في المجتمع الجزائري.

7- أما على المستوى السياسي فقد كان تأثيرها كبيراً إذ بدأت نضالها في محاربة التجنيس، والاندماج وأصدرت فتوى أن كل من يتجنس ويتخلى عن دينه فهو مرتد، وحافظت على الشخصية الوطنية الجزائرية من خلال الدفاع عنها.

8- كما أنها هاجمت الاستعمار وأعماله القمعية بجرائدها، وردت على القوانين الجائرة ضدها وضد صحفها، ورفضت تأييده في الحرب العالمية الثانية، ونادت بالأمة الجزائرية والوطن الجزائري، وعملت على جذب الأحزاب السياسية إليها من أجل الوحدة والتضامن بما يصب في مصلحة الأمة.

9- أثبتت الدراسة أنه كان لجمعية العلماء نشاط سياسي في بدايات الحرب العالمية الثانية من خلال المطالب التي قدمها أعضاؤها للسلطات الفرنسية.

10- اتسم نضال الجمعية السياسي في عهد الإبراهيمي بسياسة التحالفات وتأسيس الجبهات وتوحيد المطالب مع الأحزاب الأخرى ومن ضمنها الاستقلال.

11- حاولت الجمعية طول مدة نضالها السياسي اتباع سياسة الاعتدال لكي لا تعرض الشعب الجزائري الأعزل إلى القمع والقتل من قبل الاستعمار.

12- عملت الجمعية على زرع بذور الحرية والاستقلال في نفوس طلبتها، إذ كانت تؤمن أنه لا يمكن أن تقوم ثورة بين شعب يمتلكه الجهل، ما لم يسبقها بعث فكري، وهذا كان هدف الجمعية من البداية،

والدليل على ذلك أنه عندما أُعلنت الثورة أول من أيدها زعيمها الإبراهيمي الذي كان متيقناً بأن النفوس قد هُيئت جيداً للثورة، ودخلت مع بقية الشعب فيها، وناضلوا جميعاً حتى حصلوا على الاستقلال.

13- كما أنها ساندت الدول العربية في نضالها، ضد الاستعمار والصهيونية، ونادت بالوحدة والتضامن، وهذا نابع من شعور الانتماء العربي ووحدة المصير.

وإن المتتبع لمسار نضال الجمعية يجد أنها ظهرت بوصفها جمعية إصلاحية في بداياتها، وعندما تمكنت من تثبيت أركانها دخلت المجال السياسي من أوسع أبوابه، وكانت البداية الحقيقية لهذا الدخول في المؤتمر الجزائري الأول عندما فتحت المجال للأحزاب الأخرى من أجل التكاثر، وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ومواجهة المستعمر مواجهة جماعية، وكان هذا المؤتمر السبب في تغيير نظرة العلماء تجاه فرنسا الاستعمارية، وكشف نيتها، فقد أدركوا أن المطالب السلمية وتمجيد الأمة الفرنسية لا يعود عليهم بالخير، ولن تحقق فرنسا مطالبهم.

على هذا الأساس تأسست الجمعية التي كافحت وناضلت من أجل أن يحيا الجزائر وتحيا العربية تحت الإطار الإسلامي، حتى وصلت إلى مبتغاها وحققت الاستقلال مع بقية الأحزاب الأخرى.

التوصيات والمقترحات:

- 1- توجيه طلاب الدراسات العليا والجامعات والمعاهد لدراسة تاريخ الجزائر المعاصر ومن ضمنها جمعية العلماء لكونها دراسة مهمة تفيد كيفية مقاومة الاستعمار بالثورة الفكرية قبل الثورة المسلحة.
- 2- ضرورة توجيه الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية نحو عقد اتفاقيات مع الجامعات والمؤسسات العلمية الجزائرية وتطوير البحث التاريخي بين الطرفين.
- 3- توجه الباحثين في تاريخ الجمعية ونضالها السياسي البحث والاستقصاء أكثر في الأوقات التي انقطعت فيها وأصابها فتور في نضالها السياسي وخصوصاً بعد عام 1945م حتى عام 1954م.
- 4- ضرورة دراسة تاريخ الشعوب الأخرى وخصائصها، ولاسيما الجوانب المتشابهة للاستفادة منها، وتطبيقها على أرض الوطن.
- 5- ضرورة الاهتمام بدراسات التجربة المغربية في كل المجالات لأنها تُكمل تاريخنا المشرقي.

قائمة المصادر والمراجع

أ- كتب ذات صبغة وثائقية:

- 1- من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (2008م). تقديم: عبد الرحمن شعبان. الجزائر. دار المعرفة. ص: 120.

ب- المذكرات:

- 1- بن العقون، عبد الرحمان. (1984م). الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 476.
- 2- خير الدين، محمد. (1985م). مذكرات محمد خير الدين. ج. الجزائر. دار دحلب. ج: 1 ص: 447. ج: 2 ص: 452.
- 3- المدني، أحمد توفيق. (1982م). حياة كفاح مذكرات. ج. الجزائر. المؤسسة الوطنية للنشر. ج: 2 ص: 435. ج: 3 ص: 596.

ت- المصادر العربية:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- إبراهيم، الشريفي. (1955م). الجزائر في القرن العشرين. الطبعة: الأولى. تونس. مطبعة الترقى. ص: 75.
- 3- الإبراهيمي، محمد البشير. (1997م). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. ج. 5. تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. بيروت. دار الغرب الإسلامي. ج: 1 ص: 417. ج: 3 ص: 599. ج: 5 ص: 410.
- 4- الإبراهيمي، محمد البشير. (2018م). من أنا. تحقيق: رابح بن خوجة. سطيف: الجزائر. منشورات الوطن اليوم. ص: 96.
- 5- جمعية العلماء المسلمين. (1982م). سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. الجزائر. دار المعرفة. ص: 216.
- 6- الزواوي، أبو يعلى. (1947م). جماعة المسلمين. د.م. مطبعة الإرادة. ص: 76.
- 7- المدني، أحمد توفيق. (1956م). هذه هي الجزائر. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية. ص: 247.
- 8- الورتلاني، الفضيل. (2009م). الجزائر الثائرة. الطبعة: الثالثة. عين مليلة: الجزائر. دار الهدى. ص: 513.

ث- المراجع العربية:

- 1- أبو لحية، نور الدين. (2015م). جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما. بسكرة: الجزائر. دار علي بن زيد. ص: 419.
- 2- بقطاش، خديجة. (د. ت). الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871. الجزائر. دار دحلب. ص: 197.
- 3- بلاح، بشير. (2006م). تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م. الجزائر. دار المعرفة. ج: 1. ص: 559.
- 4- بلغيث، محمد الأمين. (2014م). تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جيدة وصور نادرة تنشر لأول مرة. الطبعة: الرابعة. الجزائر. دار البصائر الجديدة. ص: 514.
- 5- بو الصفصاف. عبد الكريم. (1996م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م. الجزائر. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر. ص: 584.
- 6- بو الصفصاف، عبد الكريم. (2007م). رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1889-1965م. الجزائر. دار الهدى. ص: 112.
- 7- بو عزيز، يحيى. (2007م). سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ص: 144.
- 8- بوحوش، عمار. (1997م). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: 624.
- 9- تابليت، علي. (2009م). فرحات عباس رجل دولة. الطبعة: الثانية. الجزائر. منشورات ثالة. ص: 47.
- 10- تليلاني، أحسن. (2007م). جريدة النجاح وحقيقتها ودورها. الجزائر. منشورات وزارة الثقافة. ص: 134.
- 11- الجيلالي، عبد الرحمن. (1983م). تاريخ الجزائر العام. 5 ج. الطبعة: السادسة. بيروت: لبنان. دار الثقافة. ج: 4. ص: 501.
- 12- حميداتو، مصطفى محمد. (1997م). عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية. قطر. وزارة الأوقاف الإسلامية. ص: 190.
- 13- الخطيب، أحمد. (1985م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 306.

- 14- الخطيب، أحمد. (1986م). حزب الشعب الجزائري. 2 ج. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 368.
- 15- خير بك، بشرى. (2015م). موقف الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي "تونس، الجزائر، المغرب" من قضية فلسطين بين العامين 1917-1939. دمشق: سورية. وزارة الثقافة. منشورات الهيئة العامة للكتاب. ص: 335.
- 16- خير بك، بشرى، نمير، عقيل. (2015-2016م). تاريخ الوطن العربي المعاصر "المغرب العربي". دمشق: سورية. منشورات جامعة دمشق. ص: 703.
- 17- دبوز، محمد علي. (1965م). نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. 3 ج. القاهرة: مصر. المطبعة التعاونية. ص: 404.
- 18- رابح، تركي. (1977م). الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940م. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر. ص: 379.
- 19- رمضان، محمد الصالح، فضيل، عبد القادر. (2007م). إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس. الجزائر. دار الأمة. ص: 302.
- 20- الزبيري، العربي. (1999م). تاريخ الجزائر المعاصر. 2 ج. دمشق: سورية. اتحاد الكتاب العرب. ج: 1. ص: 252.
- 21- زروقة، عبد الرشيد. (1999م). جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940م. بيروت: لبنان. دار الشهاب. ص: 272.
- 22- زكرياء، مفدي. (2003م). تاريخ الصحافة العربية في الجزائر. تحقيق: أحمد حمدي. الجزائر. دار هومة. ص: 194.
- 23- سعد الله، أبو القاسم. (1992م). الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900. 3 ج. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ج: 1 ص: 430. ج: 2 ص: 494. ج: 3 ص: 312.
- 24- سعد الله، أبو القاسم. (2007م). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. 4 ج. الجزائر. دار البصائر. ج: 2 ص: 396. ج: 4 ص: 239.
- 25- سعد الله، أبو القاسم. (2007م). خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962م. بيروت: لبنان. دار الغرب الإسلامي. ص: 215.

- 26- سعد، فهمي. (1983م). حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في بقطة الجزائر. بيروت: لبنان. دار الرحاب. ص: 128.
- 27- السيد، محمود. (2000م). تاريخ دول المغرب العربي. الاسكندرية: مصر. مؤسسة شباب الجامعة. ص: 328.
- 28- الصديق، محمد الصالح. (1999م). الجزائر بلد التحدي والصمود. الجزائر. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. ص: 235.
- 29- عبد الله، مقلاتي. (2014م). المرجع في تاريخ المعاصر 1830-1954. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ص: 233.
- 30- عثمان، محمد فتحي. (1987م). عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة. الكويت. دار القلم. ص: 185.
- 31- العقاد، صلاح. (1963-1964م). الجزائر المعاصرة. الجزائر. معهد الدراسات العربية العليا. ص: 215.
- 32- العلوي، محمد الطيب. (1985م). مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954م. الجزائر. دار البعث. ص: 263.
- 33- العلي، بسام. (1982م). حركة عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة التحريرية. بيروت: لبنان. دار النفائس. ص: 223.
- 34- عمارة، محمد. (د.ت). الشيخ البشير الابراهيمي إمام في مدرسة الأئمة. القاهرة: مصر. دار السلام للطباعة والنشر. ص: 68.
- 35- عامره، تركي رابح. (2004م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1954م) ورؤساؤها الثلاثة. الجزائر. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. ص: 437.
- 36- فارس، محمد خير. (1981-1982م). تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر. دمشق: سورية. المطبعة الجديدة. ص: 656.
- 37- الفرحي، بشير عاشة. (2004م). إمام المجاهدين الشهيد العربي التبسي. الجزائر. دار الأوقاف. ص: 130.
- 38- قاسم، محمود. (1979م). الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية. الطبعة: الثانية. القاهرة: مصر. دن. ص: 160.

- 39- قناش، محمد. (1982م). الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص: 165.
- 40- قنان، جمال. (1994م). قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. الجزائر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. ص: 325.
- 41- مالكي، محمد. (1993م). الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي. بيروت: لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية. ص: 506.
- 42- مريوش، أحمد. (2007م). الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر. دار هومه. ص: 494.
- 43- مطبقاني، مازن. (1988م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939م. تقديم: أبو القاسم سعد الله. دمشق: سورية. دار القلم. ص: 296.
- 44- مطبقاني، مازن. (1999م). عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي. الطبعة: الثانية. دمشق: سورية. دار القلم. ص: 221.
- 45- الملي، محمد. (2007). ابن باديس وعروية الجزائر. وزارة الثقافة. ص: 247.
- 46- الوناس، الحواس. (2012م). نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954م. الجزائر. مؤسسة كنوز الحكمة. ص: 412.
- 47- يحيى، جلال. (1959م). السياسة الفرنسية في الجزائر (من 1930 إلى 1960م). القاهرة: مصر. دار المعرفة. ص: 384.
- ج- الكتب المترجمة:**
- 1- أجريون، ش. (1982م). تاريخ الجزائر المعاصر. ترجمة: عيسى عصفور. بيروت. منشورات عويدات. ص: 207.
- ترجمة: عبد القادر بن حراث. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ص: 281.
- 2- جوليان، ش. (1976م). أفريقيا الشمالية تسير. ترجمة: المنجي سليم، الطيب المهدي، الصادق المقدم، فتحي زهير، الحبيب الشطي. الطبعة: الثالثة. تونس. الدار التونسية للنشر. ص: 468.
- 3- الحاج، م. (2007م). مذكرات مصالي الحاج 1889-1938. ترجمة: محمد المعراجي. الجزائر. منشورات ANEP. ص: 255.
- 4- خوجة، ح. (1972م). المرآة. ترجمة: محمد بن عبد الكريم. بيروت. دار مكتبة الحياة. ص: 399.

- 5- صاري، ج، قداش، م. (1987م). المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري.
- 6- غليسي، ج. (1961م). الجزائر الثائرة. ترجمة: خيرى حمّاد. بيروت. دار الطليعة. ص: 240.
- 7- قداش، م. (2008م). جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954. ترجمة: محمد المعراجي. الجزائر. المؤسسة الوطنية للاتصال. ص: 404.
- 8- كلود، ه. برينان، أ. لاكوست، أ. (د. ت). الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي. ترجمة: محمد عيتتاني. بيروت. دار المعارف. ص: 145.
- 9- مراد، ع. (2007م). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940. ترجمة: محمد يحياتن. الطبعة: الثالثة. الجزائر. دار الحكمة. ص: 550.

ح- المعاجم والقواميس والموسوعات:

- 1- بدوي، أحمد زكي. (1989م). معجم المصطلحات السياسية. تقديم: السفير سعد الفطاطري. القاهرة: مصر. دار الكتاب المصري. ص: 187.
- 2- الزركلي، خير الدين. (2007م). قاموس الاعلام. 8 ج. الطبعة: السابعة عشر. بيروت. دار الملايين. ج: 1 ص: 336. ج: 6 ص: 355. ج: 7 ص: 352.
- 3- الصلابي، علي محمد. (2017م). كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي من الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال 1 نوفمبر وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي. موسوعة كفاح الشعوب. 3 ج. الطبعة: الأولى. د. م. دار ابن كثير. ج: 3 ص: 606.
- 4- عطية الله، أحمد. (1968م). القاموس السياسي. الطبعة: الثالثة. القاهرة. دار النهضة العربية. ص: 1444.
- 5- العلوي، هادي. (1997م). قاموس الدولة والاقتصاد. بيروت: لبنان. دار الكنوز الأدبية. ص: 192.
- 6- العمري، أحمد سويلم. (1985م). معجم العلوم السياسية المسير. مصر. الهيئة المصرية للكتاب. ص: 248.
- 7- مغايري، مازن. (د - ت). موسوعة أطلس العالم. سورية: حلب. دار الرضوان. ص: 96.
- 8- نويهض، عادل. (1980م). معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. الطبعة: الثانية. مؤسسة نويهض الثقافية. ص: 430.

خ- الصحف:

- 1- بعض الصحف والجرائد المتنوعة وهي:
- (1951م، الأربعاء 5 آب). الجبهة الجزائرية في الدفاع عن الحرية واحترامها. جريدة المنار. العدد: 7. ص- ص: 1-4. الجزائر. المطبعة العربية.

- بن باديس، عبد الحميد.(1933م).بواعثنا. عملنا. خطتنا. غايتنا. جريدة السنة. العدد:1. ص- ص:1-8. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- بن باديس، عبد الحميد.(1933م، 25 أيلول). من المسؤول عن المنع من تعليم أولادنا. جريدة الصراط السوي. العدد:3. ص-ص:1-8. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- بن باديس، عبد الحميد.(1933م، الاثنين تموز). تعطيل السنة وإصدار الشريعة. جريدة الشريعة النبوية المحمدية. العدد:1. ص- ص:1-8. بيروت. دار الغربي الإسلامي.
- بن باديس، عبد الحميد.(1933م، كانون الأول). حول تصريحات الوالي العام. جريدة الصراط السوي. العدد:15. ص- ص:1-8. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- الزهراوي، محمد.(1933م، الاثنين 17تموز). الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. جريدة الشريعة النبوية المحمدية. العدد:1. ص- ص:1-8.بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- اللجنة الإنشائية.(1951م، الاثنين 30تموز). لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها. جريدة المنار. العدد:6. ص- ص:1-4. الجزائر. المطبعة العربية.
- الملي، مبارك بن محمد.(1933م، الاثنين 17نيسان). بيان وإرشاد. جريدة السنة. العدد:2. ص- ص:1-8. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- النخبة.(1925م، الخميس 2تموز). خطتنا مبادينا وغايتنا وشعارنا. جريدة المنتقد. العدد:1. ص- ص:1-7. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
- 2- بعض الاعداد من جريدة الشهاب وهي:
 - (1930م، تموز). الإصلاح المنشود وأساليب الدعوة إليه. جريدة الشهاب. مج:6. ج:6. ص- ص:367-431. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - (1931م، حزيران). خطبتان لصاحب الجلسة في اجتماع لجمعية العلماء المسلمين في العاصمة. جريدة الشهاب. مج:7. ج:6. ص- ص:383-452. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - (1931م، شباط). هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية العلماء المسلمين. جريدة الشهاب. مج:1. ج:1. ص- ص:1-53. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - الإبراهيمي، محمد البشير.(1931م، أيار). الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين. جريدة الشهاب. ج:5. ص- ص:313-376. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.

- الإبراهيمي، محمد البشير. (1936م، تموز). يوم الجزائر. جريدة الشهاب. مج:12. ج:5. ص- ص:193-253. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1932م، آب). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عامها الثاني. جريدة الشهاب. مج:8. ج:8. ص- ص: 441-499. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1936م، تشرين الأول). مع الوفد الإسلامي الجزائري مشاهدات وملاحظات. جريدة الشهاب. مج:12. ج:7. ص- ص: 304-353. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1936م، نيسان). كلمة صريحة. جريدة الشهاب. مج:12. ج:10. ص- ص:1-74. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1937م، 18 حزيران). لمن أعيش؟ جريدة الشهاب. مج:12. ج:10. ص- ص:422-457. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1937م، آب). هل آن أوان اليأس من فرنسا؟ . جريدة الشهاب. مج:13، ج:6. ص- ص:301-335. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1937م، أيلول). نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها. جريدة الشهاب. مج:13. ج:7. ص- ص:337-378. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1937م، شباط). الجنسية القومية والجنسية السياسية. جريدة الشهاب. مج:12. ج:12. ص- ص:504-545. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن باديس، عبد الحميد. (1938م، شباط). الجزائر المسلمة تبرهن في اخرج مواقفها على تمسكها بشخصيتها. بإسلامها وعروبيتها. جريدة الشهاب. مج:13. ج:12. ص- ص:508-561. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
 - بن حلوش، مصطفى. (1937م، تشرين الأول). الاحتفال الرائع بافتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان. جريدة الشهاب. مج:13. ج:8. ص- ص: 281-342. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
- 3- بعض الاعداد من جريدة البصائر وهي:**
- (1954، الجمعة 5 تشرين الثاني). حوادث اللية الليلاء. جريدة البصائر. العدد:292. ص- ص: 173-180. الجزائر.
 - الابراهيمى، محمد البشير. (1947م، 25 تموز). استهلال. جريدة البصائر. العدد: 1. ص- ص: 1-8. الجزائر.

- الإبراهيمي، محمد البشير. (1947م، الجمعة 29 آب). الكلمة الأخيرة للأمة. جريدة البصائر. العدد: 4. ص-ص: 29-36. الجزائر.
- الإبراهيمي، محمد البشير. (1948م، الاثنين 10 أيار). ذكرى 8 ماي. جريدة البصائر. العدد: 35. ص-ص: 269-276. الجزائر.
- الإبراهيمي، محمد البشير. (1949م، الاثنين 18 تموز). فصل الدين عن الحكومة. جريدة البصائر. العدد: 87. ص-ص: 329-336. الجزائر.
- الإبراهيمي، محمد البشير. (1949م، الاثنين 3 أيار). كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية. جريدة البصائر. العدد: 81. ص-ص: 281-288. الجزائر.
- الإبراهيمي، محمد البشير. (1950م، الاثنين 30 كانون الثاني). ونعود إلى فصل الدين عن الدولة. جريدة البصائر. العدد: 105. ص-ص: 127-134. الجزائر.
- الإبراهيمي، محمد البشير. (1952م، الاثنين 23 حزيران). رحلتي إلى الأقطار الإسلامية. جريدة البصائر. العدد: 194. ص-ص: 109-116. الجزائر.
- بن باديس، عبد الحميد. (1937م، 23 تموز). في الاجتماع الإداري الأخير. جريدة البصائر. العدد: 76. ص-ص: 205-212. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
- بن باديس، عبد الحميد. (1937م، 18 حزيران). الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق. جريدة البصائر. العدد: 71. ص-ص: 165-172. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الجزائرية الإسلامية.
- بوكوشة، حمزة. (1948م، الاثنين 13 أيلول). العلم والملك أو عبد الحميد بن باديس والمنصف باي رحمهما الله. جريدة البصائر. العدد: 49. ص-ص: 29-36. الجزائر.
- العقبى، الطيب. (1937م، الجمعة تموز). كلمتي الصريحة في التجنيس والمتجنسين. جريدة البصائر. العدد: 77. ص-ص: 213-220. قسنطينة: الجزائر. المطبعة الإسلامية الجزائرية.

د- المقالات:

- 1- بوجمعة، أكرم. (2016م). أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. العدد: 28. ص-ص: 162-174. د.م. جامعة بابل.
- 2- رابح، محمد. (2017م، حزيران). صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. مجلة القرطاس. العدد: 6. ص-ص: 69-87. تلمسان. الجزائر.

3- رواجي، العايشي.(2021م). مجازر 8 ماي في الجزائر وانعكاساتها على علاقة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالحركة الوطنية 1945- 1947. مجلة اكليل.مج:1. ص- ص:623- 635. الجزائر. جامعة باجي مختار عنابة.

4- طه، غيلان.(2013م، كانون الثاني). عبد الحميد بن باديس ودوره الديني والسياسي في الجزائر 1889- 1940. مجلة سامراء. مج:9. العدد:32. ص- ص:393- 403. جامعة تكريت. كلية التربية.

5- مريوش، أحمد.(1997م). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث الثامن من ماي 1945م. مجلة الدراسات التاريخية. عدد:10. ص- ص: 125- 140. معهد التاريخ. جامعة الجزائر.

6- المعاضيدي، فاتن يونس.(2021م). موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة الجزائرية الكبرى 1954- 1962. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.مج:7. العدد:3. ص- ص: 1- 8. كلية العلوم الإنسانية. جامعة الموصل.

7- وهيبة، بشرير، لخضر، حليس.(2022م). أحداث الثامن ماي 1945 "دراسة تاريخية وقانونية". المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والاساسية.مج:6، العدد:1. ص- ص: 126- 144. الجزائر. جامعة الاغواط.

ذ- الكتب الأجنبية:

- 1- Abbas, F.(1980). Autopsie d'une guerre. Paris: Edltlons Gamler Frères.P:334.
- 2- AGERON, CH, R. (1979). Histoire de L'Algérie contemporaine.P.U.F. Paris.p:667.
- 3- AGERON, CH, R.(1964). Histoire de L'Algérie contemporaine 1830-1964.PARIS. presses universitaires de frqnce108.Boulevqrd Saint-Germain .p:126.
- 4- Aron, R.(1962). Les origines de la Guerre d'Algérie. Fqyqrd. Pqris.p:332.
- 5- CARRET, J.(1959).Le Reformisme En Islam L'Assoiation Des oulama d'Algérie. Imprimerie officielle 7et 9 rue Trollier.Alger.p:39.
- 6- Claude,C.Henry,J.(1985).Le mouvement national Algérien. Textes (1912.1954). Paris .Editions l'Harmathan..p:352.

- 7- Courreye,C.(2016).**L'Association des Oulémas Musulmans Algériens et la construction de l'état algérien indépendant : fondation, héritages, appropriations et antagonismes (1931-1991).** Littératures Université Sorbonne Frnçais. Paris. P:852.
- 8- Jeanson, F.Jeanson, C.(1955).**L' Algérie hors la loi.**éditons du seuit. Pqris.p:316.
- 9- Leffont, P.(1980).**Histoire de la France on Algérie.** Plon. Paris.p:542.
- 10-Nouschi, A:(1962). **La Naissance du Natuionalisme algérien 1914-1954.** Les Editions de minuit. Paris.p:162.
- 11- Stosa, B.(1982).**Messali Hadj 1898-1974.** Paris .Editions L'Harmattan.P:309.

ر - المواقع الالكترونية:

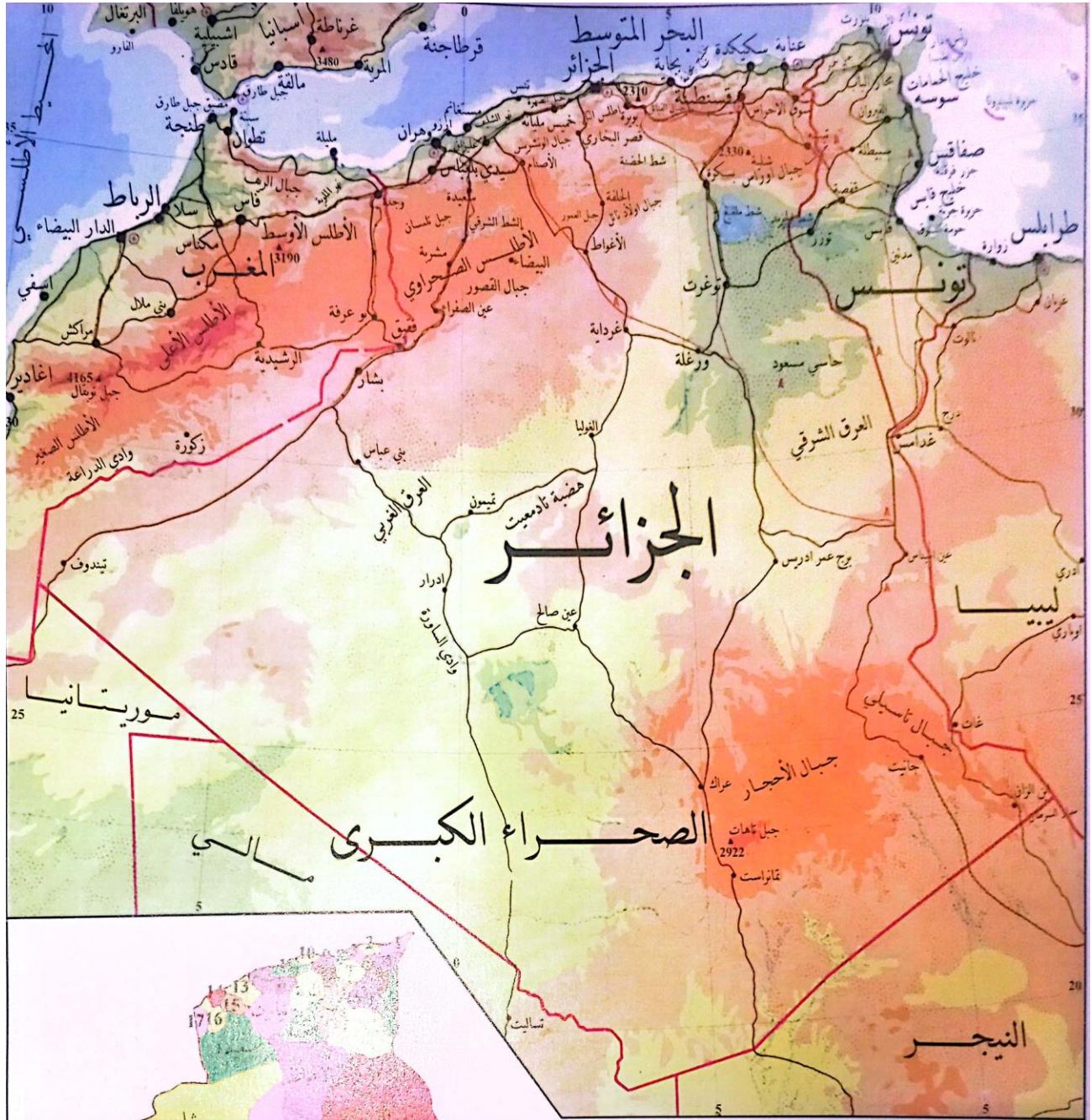
- 1- <https://ar.m.wikipedia.org> تاريخ الاسترجاع 2023/6/16م
- 2- <https://alawi1934-ar.blogstop.com> .تاريخ الاسترجاع 2023/6/22م

قائمة الملاحق

الصفحة	الملحق
168	ملحق رقم (1) خريطة للقطر الجزائري.
169	ملحق رقم (2) صور بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
171	ملحق رقم (3) القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
176	ملحق رقم (4) مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري.
178	ملحق رقم (5) مقاصد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
187	ملحق رقم (6) بيان جمعية العلماء الحاسم في الانضمام إلى الثورة الجزائرية.

ملحق رقم (1)

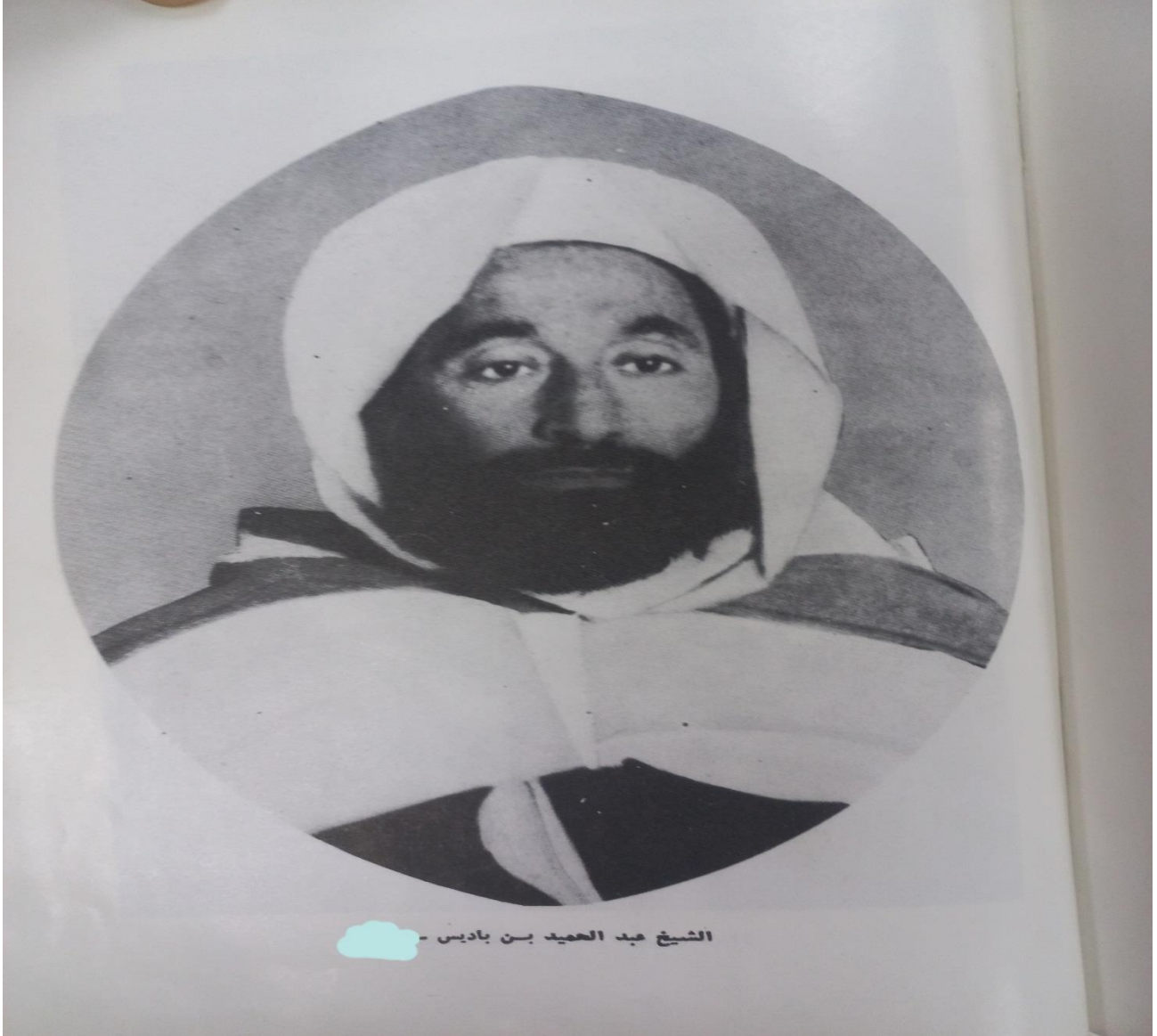
خريطة للقطر الجزائري (497)



(497) مغايري، مازن. (د-ت). موسوعة أطلس العالم. سورية: حلب. دار الرضوان. ص: 51.

ملحق رقم (2)

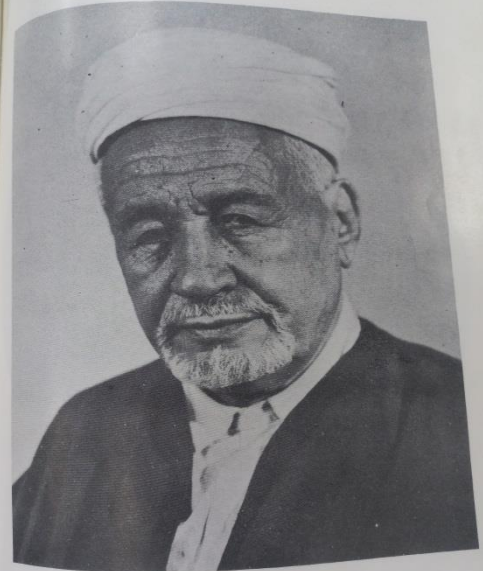
صور بعض اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁴⁹⁸



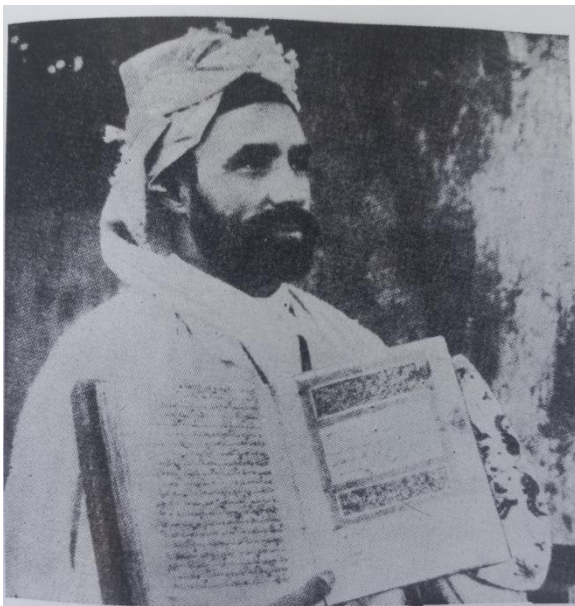
⁴⁹⁸ هذه الصور تم أخذها من: نويهض.(1980م). معجم اعلام الجزائر... في قائمة الملاحق، ولا يوجد ترقيم للصفحات.



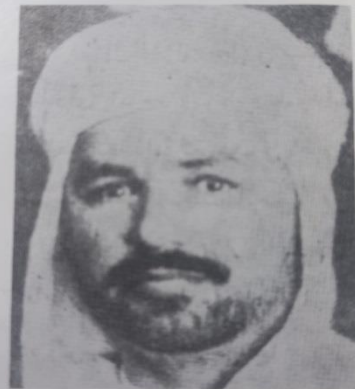
العربي التبيسي -



الشيخ محمد البشير الابراهيمي -



الطيب المقيبسي -



مبارك الميلي

ملحق رقم (3)

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽⁴⁹⁹⁾

القانون الأساسي

(النص الكامل للقانون الأساسي الذي صادقت عليه الهيئة العامة لجمعية العلماء بتاريخ 5 ماي (ايار) 1931 (1))

القسم الأول - الجمعية

الفصل الأول : تأسست في عاصمة الجزائر جمعية ارشادية تهذيبية تحت اسم « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » مركزها الاجتماعي بمدينة الجزائر في نادي التقدم (الترقى) ساحة الجمهورية .

الفصل الثاني : هذه الجمعية مؤسسة طبق نظام الجمعيات المبينة بالقانون المؤرخ بغرة جويلية عام 1901 .

الفصل الثالث : لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض او تتدخل في المسائل السياسية .

القسم الثاني - غاية الجمعية

الفصل الرابع : القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل .

(⁴⁹⁹) الخطيب.(1985م). جمعية العلماء...ص:265، 269.

الفصل الخامس : تتذرع الجمعية للوصول الى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها . ومنها انها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة .

الفصل السادس : للجمعية أن تأسس شعبا في القطر وان تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي .

القسم الثالث - اعضاء الجمعية

الفصل السابع : اعضاء الجمعية على ثلاثة أقسام :

1 - الأعضاء الشرفيون ويكون اشتراكهم السنوي عشرين فرنكا .

2 - الأعضاء العاملون ، يكون اشتراكهم السنوي عشر فرنكات .

الأعضاء المؤيدون أو المساعدون ، يكون اشتراكهم السنوي خمس فرنكات .

الفصل الثامن : لا يمكن أن يتكون المجلس الاداري الا من الاعضاء العاملين .

الفصل التاسع : الأعضاء العاملون وحدهم ينتخبون كل عام المجلس الاداري الذي يتألف من رئيس ونائب الرئيس وكاتب عام ونائب الكاتب العام وأمين المال ونائب أمين المال ومراقب عام ، واثنى عشر مستشارا .

الفصل العاشر : يكون للجمعية في مركزها في العاصمة مكتب برئاسة مديريتولى تسيير شؤون ومصالح الجمعية .

الفصل الحادي عشر : يكون للجمعية مكتب في كل عمالة من العمالات الثلاثة يرأسه كاتب ويتولى إدارته وترتبط هذه المكاتب بالمكتب الرئيسي في مركز الجمعية .

الفصل الثاني عشر : الاعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين

تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية
والذين تعلموا بالمعاهد العلمية الاسلامية الأخرى .

الفصل الثالث عشر : الأعضاء المؤيدون والأعضاء المساعدون يشملون كل
من راق له مشروع الجمعية من غير الطبقة الميينة بالفصل
المتقدم واراد ان يساعدها بماله وأعماله على نشر
دعوتها الاصلاحية .

القسم الرابع - مالية الجمعية

الفصل الرابع عشر : مالية الجمعية تتركب من مجموعة اشتراكات الاعضاء
العاملين والمؤيدين والشرفيين .

الفصل الخامس عشر : للجمعية الحق في طلب وقبول اعانات مالية من
السلطات الحقوقية .

الفصل السادس عشر : الاشتراكات والاعانات المالية تدفع الى أمين مال
الجمعية مقابل وصل بامضائه .

الفصل السابع عشر : مالية الجمعية توضع باسمها في مصرف محلي ولا يجوز
لأمين المال أن يبقى تحت تصرفه اكثر من خمسمائة
فرنك .

الفصل الثامن عشر : لا يجوز إخراج شيء من المال للانفاق الا بأذن كتابي
من الرئيس والكتاب العام وأمين المال طبقا لقرار
المجلس الاداري .

الفصل التاسع عشر : يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها ويوجه
الوصول الى غايتها الميينة بالفصل الرابع من هذا
القانون الأساسي .

القسم الخامس - المجلس الاداري والاجتماعات العامة

الفصل العشرون : يجتمع المجلس الاداري في الأوقات والامكنة التي
يراها مناسبة ويجب أن تكون جلسات المجلس

الاداري كلها مسجلة في دفتر محاضر الجلسات ،
وكل قرار يقرره المجلس الاداري ولا يكون مسجلا
بالدفتر المعد لذلك يعتبر لغوا لا عمل عليه ويجب أن
يمضي المحضر رئيس المجلس وكاتبها .

الفصل الحادي والعشرون : يجتمع الأعضاء العاملون مرة في السنة في جمعية عامة
عادية في العاصمة بناء لدعوة من الرئيس ، وزيادة
على هذا الاجتماع يجوز عقد اجتماع آخر فوق العادة
خلال السنة في الزمان والمكان اللذين يعينهما الرئيس
بعد اقرار ومناقشة المحضر الادبي والمالي وتبيان الاعمال
المنجزة خلال العام المنصرم تحدد جلسة عامة اخرى
يشارك فيها الاعضاء العاملون والمؤيدون والشرفيون ،
ويطلع هؤلاء على الحالة الأدبية والمادية للجمعية ،
وبعد ذلك ينتخب الأعضاء العاملون وحدهم المجلس
الاداري الجديد .

الفصل الثاني والعشرون : اذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء
الجمعية أو تغيرت سيرة احد الأعضاء بما تراه خطرا
على حياتها ، فلمجلس الادارة أن يعين لجنة بحث
وتحكيم تشمل خمسة من الاعضاء العاملين وخمسة
من الأعضاء المؤيدين ، وهذه اللجنة تعرض نتيجة بحثها
وما تراه في القضية على المجلس الاداري وهذا
الأخير يطبق العقوبات والأحكام المنصوص عليها في
لائحة نظامها الداخلي .

الفصل الثالث والعشرون : لا ينظر في طلب متعلق بحل الجمعية الا اذا كان
صادرا من ثلث الأعضاء العاملين على الأقل ،
ولا يعمل به ولا ينفذ الا اذا صادق عليه اربعة اخماس
الأعضاء العاملين . واذا اغلقت الجمعية - لا قدر الله -

يسلم اثارها ومالها الى جمعية خيرية اسلامية يعينها
المجلس الاداري (1).

(1) جرى تنقيح القانون الأساسي وتعديله في المؤتمر العام للجمعية المنعقد في أول أكتوبر سنة 1951 في مدينة الجزائر.

ملحق رقم (4)

مطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري⁽⁵⁰⁰⁾

مطالب المؤتمر الاسلامي الجزائري (1)

(النص الكامل لمطالب المؤتمر الاسلامي الجزائري المنعقد في العاصمة الجزائرية في 7 جوان (حزيران) 1936 ، والتي رفعها وفده الى حكومة « الجبهة الشعبية » في باريس بتاريخ 23 جويلية (تموز) 1936)

- أولا :** الغاء سائر القوانين الاستثنائية التي لا تنطبق الا على المسلمين .
- ثانيا :** الحاق الجزائر بفرنسا رأسا ، والغاء الولاية العامة الجزائرية ، ومجلس النيابات المالية ، ونظام البلديات المختلطة .
- ثالثا :** المحافظة على الحالة الشخصية الاسلامية . مع اصلاح هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية لروح القانون الاسلامي ، وتحرير هذا القانون .
- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة ، وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقه .
- ارجاع سائر المعاهد الدينية الى الجماعة الاسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا .
- ارجاع اموال الأوقاف لجماعة المسلمين ليتمكن بواسطتها القيام بأمور المساجد والمعاهد الدينية والذين يقومون بها .
- الغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية ، والغاء اعتبارها لغة اجنبية .
- الحرية التامة في تعليم اللغة العربية ، وحرية القول للصحافة العربية .
- رابعا :** الاصلاحات الاجتماعية : التعليم الاجباري للبنين والبنات – الشروع بسرعة في بناء المدارس الكافية لتعميم التعليم الاجباري .
- جعل التعليم مشترك بين المسلمين والأوروبيين .
- الزيادة في معاهد الصحة من مستشفيات ومستوصفات ، وفي معاهد الاغاثة : كالمطاعم الشعبية . وانشاء خزينة خاصة للعاملين من العمال .

(1) « الشهاب » عدد (جويلية 1936) – ص ، 236 – 237 .

خامسا : الاصلاحات الاقتصادية : تساوي الأجر اذا تساوي العمل - تساوي الرتبة اذا تساوت الكفاءة ، توزيع اعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة والصناعة والتجارة والاحتراف على الجميع وعلى مقتضى الاحتياج دون تمييز بين الاجناس .

- تكوين جمعيات تعاونية فلاحية ، ومراكز لتعليم الفلاحين .
- الاقلاع عن انتزاع ملكية الأرض .
- توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين والعمال .
- الغاء قانون الغاب .

سادسا : مطالب سياسية - اعلان العفو السياسي العمومي - توحيد هيئة الناخبين في سائر الانتخابات - اعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه - النيابة في مجلس الأمة .

ملحق رقم (5)

مقاصد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽⁵⁰¹⁾

مقاصد الجمعية ترجع إلى ثلاث نقط. هي :

- 1 - المساجد وموظفوها وأوقافها .
- 2 - التعليم العربي ومدارسه ومعلموه .
- 3 - القضاء الاسلامي وتعليمه ورجاله .

(⁵⁰¹) الخطيب.(1895م).جمعية العلماء...ص: 283، 291.

1 - المساجد وأوقافها :

تمهيد :

كانت الحكومة الفرنسية لأول عهدا باحتلال الجزائر وضعت يدها على مساجد المسلمين وأوقافهم ، ووضعت سلطتها على أئمة المساجد وموظفيها باسم نظام جائز زينتته للناس بعهود كتابية ووعود شفاهية صدرت من بعض رجالها العسكريين والمدنيين ، مضمونها أنها تحترم الاسلام ومعايده وشعائره وقد حكم التاريخ على تلك العهود والوعود ، وبين قيمتها للناس اجمعين .
فهذا هو الدور الأول .

ثم جاءت الجمهورية الثالثة فكانت قواعد الكلمات الثلاث :

الحرية الأخوة المساواة

وكان من اصولها فصل الدين عن الحكم ليكون ذلك محققا للكلمات الثلاث ، وكان من مقتضى ذلك الفصل أن يكون عاما لجميع الأديان وفي جميع الاقطار التي تخضع للسلطة الفرنسية ، وان يكون قاضيا على النظام الخاص بالاسلام في الجزائر ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع ، وبقي الاسلام ومعايده في الجزائر لا تحظى باحترام كما شرطته العهود والوعود ، ولا تحظى بانفصال عن الحكومة كما قرره أصول الجمهورية .

وهذا هو الدور الثاني .

ثم جاء قانون 27 سبتمبر سنة 1907 فكانت فصوله صريحة في فصل الدين عن الحكومة وفي اعطاء الناس حرياتهم كاملة في كل ما يتعلق بدياناتهم ، وفهم الناس جميعا أن ذلك القانون انما يعني المسلمين دون غيرهم أو قبل غيرهم ، لانهم هم الذين كانوا محرومين من تلك الحرية ، ولكن الواقع - بعد ذلك ، ان ذلك القانون لم ينفذ منه ولا حرف فيما يتعلق بالدين الاسلامي ، وبقيت الادارة الجزائرية تتصرف في المساجد واولافها وموظفيها ، وتقبض بيد من حديد على الوظائف الدينية ، وتصرفها حسب شهواتها واهوائها السياسية - وتضع حبال الترغيب والترهيب في طريق الطالبين لتلك الوظائف وترن اقدارهم لا بالاجازات العلمية ولا باختيار الأمة المسلمة لهم ، ولا بحسن السيرة بين اوساطها . بل بالدوسي الاداري الذي لا يعرف الدين ، والذي يزكي ويخرج بقواعد غير قواعد الاسلام واصول الفضائل ، ويشترط في الامام ما لا يشترطه الاسلام . ادت هذه السياسة التي يراد منها هدم الاسلام في دياره بالمطاوله الى سخط عام ملا جوانح المسلمين واثار غضب العلماء الأحرار فرفعوا اصواتهم بطلب بعض الحق في لين ورفق فاتهموا وعوقبوا بالمنع من تعليم دين الله في بيوت الله . وجرت بعد حرب 1914 - 1918 حوادث في تاريخ الوظائف الدينية ظهر فيها عامل جديد وهو : ارضاء بعض الوظائف لبعض الجنود المحاربين ارضاء لهم لا لخصوصية سوى انهم جنود ، وجرت الاجراءات على اشكال لا يرضاها الاسلام ولا يرضاها المسلمون ، ولا يرضاها احرار الفكر من الأوربيين ولا يرضاها المتدينون منهم ، وانما ترضى رغائب استعمارية ونزعات إدارية انتفاعية ، معروفة في تاريخ الاستعمار الجزائري لم يخل منها دور من ادواره ، ومبنى أمرها على ملك الأبدان بالقوة والتسلط لا على ملك القلوب بالعدل والتسامح ، وهي سياسة ظهر خطأها وفشلها منذ قرون ، وكفرت بها كل الحكومات وجميع الأمم الا الحكومة الجزائرية في الجزائر فانها بقيت مؤمنة بها عاملة بمقتضاها آخذة بأسبابها .

قلنا ان قانون 27 سبتمبر سنة 1907 لم يطبق منه حرف بل وقع من الادارة ما يناقضه من تشكيلها لبعض هيآت دينية لابد للأمة في اختيار افرادها ، وقد اسندت رئاستها في بعض الاوقات الى مسيحيين ، وان هذا لمن اقبح ما وقع في هذه المسألة منذ نشأت الى الان !!!!

ولو طبق قانون 27 سبتمبر 1907 تطبيقا صحيحا بنصوصه الصريحة على الدين الاسلامي في الجزائر لما حدثت المشاكل المقلقة التي اثارت الخواطر وهيجت الافكار في هذه السنين الاخيرة .

وهذا هو الدور الثالث

ثم جاء تصريح الجنرال كاترو الوالي العام على الجزائر المنشور في الجرائد يوم 4 أوت سنة 1944 فكان صريحا في ارجاع القضية الى قانون 27 سبتمبر سنة 1907 تحقيقا لأصل فصل الدين عن الحكومة . والأمة بعد صدور القرار منشوقة الى تطبيق قانون 1907 تطبيقا كاملا وقد ساءها - وهي في حرارة الانتظار - ان تعين الحكومة مفتي الجزائر تعيينا على النمط القديم ، وفي ذلك مخالفة بينه لما فهمته من قرار الجنرال كاترو .

ونحن الآن باسم الدين وباسم الأمة نتمسك بعبارة (فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الجزائرية) . ونريد تطبيقها على الكيفية الآتية .

أولا - فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا لا في اصوله ولا في فروع .

ثانيا - تسليم ذلك كله الى ايدي الأمة الاسلامية صاحبة الحق المطلق فيه ، وتقرير سلطتهم على امور دينهم تقريراً فعلياً خالصاً لا التواء فيه ، وانما يتحقق ذلك وبصير نافذا بما يأتي :

أ - تشكيل مجلس إسلامي أعلى مؤقت بعاصمة الجزائر يتركب من :

- (1) بعض العلماء الأحرار المعترف بعلمهم واعمالهم للدين الاسلامي .
- (2) وبعض اعيان المسلمين المتدينين البعيدين عن المناصب الحكومية .
- (3) وبعض الموظفين المتدينين بشرط أن يكونوا اقل من النصف .

ويتسلم هذه المجالس جميع السلطة التي كانت للحكومة في الشؤون الدينية .

ب - من اهم اعمال المجلس أن يتولى تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة انتخابا او تعيينا - وله ان يكثفي بما يراه صالحا من الجمعيات الدينية الحرة السابقة .

ج - فاذا تمت تلك التشكيلات ينعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض اعضائها البارزين ، وفي هذا المؤتمر يوضع النظام العام للمستقبل طبق قانون الفصل .

د - كل ما يقرره هذا المؤتمر يعتبر قانونا نافذا يجب الخضوع له ولا ينقضه الا مؤتمر سنوي آخر .

هـ - بعد انعقاد المؤتمر الأول ينحل المجلس الأعلى المؤقت وتنتخب الجمعيات الدينية مجلسا على النظام السابق والى المدة التي يقررها المؤتمر .

و - يملك المجلس الاسلامي الأعلى المنتخب - السلطة التنفيذية لمقررات المؤتمر الدينية السنوية ، اما السلطة التشريعية فيملكها المؤتمر ، وليس للمجلس الأعلى الا تقديم الارشادات ووضع التقارير والدفاع عنها امام المؤتمر .

التعليم العربي الحر ومدارسه ومعلموه

كانت الادارة الجزائرية الى ما قبل حرب 1914 تتظاهر بشيء من التساهل مع التعليم العربي الحر لأنه كان - اذ ذاك - قاصرا لا يفتح ذهننا ولا يغذي عقلا ولا يربي ملكة لغوية ، فلما هب شعور الأمة وقوي باحتياجها الى فهم لغتها لتفهم دينها ، وتطور التعليم الحر في العقدين الأخيرين كسائر الكائنات الحية ، واصبح على شيء من النظام والحياة وخصوصا بعد ظهور جمعية العلماء - قلقت الادارة الجزائرية لذلك . ولما لم تجد الادارة الجزائرية بيدها من القوانين العامة ما تتخذه سلاحا التجأت الى القرارات الادارية . فأنشئت عدة منها ترمي الى غرض واحد وهو قتل اللغة العربية بالتضييق على تعليمها ومطاردة رجالها والجام صحافتها .

ومن أسوأ ما في تلك القرارات اثرا وأشدّه إيلا ما وجرحا لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة اجنبية في بلاد عربية وهي الجزائر ، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الاداريين فبالغوا واسرفوا في التنكيل والمحاكمة ، وسبق معلمو العربية الى مجالس القضاء كما يساق المجرمون ، وفرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية من سجن وتغريب ولا زالت بقاياهم في المنفى الى الآن .

لها شكوى ولم يرجع اليها جواب ، وطلبت المفاهمة الشفاهية فأجيبتم بالمماطلة والتسويق ، وعطلت الجرائد واغلقت النوادي وكل ذلك بعضه من بعض .
والتسايف ، وعطلت الجرائد واغلقت النوادي وكل ذلك بعضه من بعض .

ومن الغريب أن جمعية العلماء صرحت للحكومة مرارا بأنها تقبل بكل سرور مراقبة مدارسها من طرف مفتشي المعارف الرسميين ، ولكن لم ترف في هذه السنين الطويلة مفتشا واحدا زار مدرسة من مدارسها ، وما كانت ترى الا عون البوليس يزورها لتبليغ الأمر بالاغلاق ، او العون الشرعي يزورها لتبليغ الاستدعاء للمحاكمة !

مطالب جمعية العلماء في قضية التعليم العربي

اولا - الغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بالتعليم الغاء صريحا سواء كانت ادارية أو وزارية .

ثانيا - نسخ جميع تلك القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي وعدم تقييده بشيء . ويلاحظ في وضع ذلك القانون المسائل الآتية :

أ - جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى يكون لها الحق بمقتضى ذلك القانون أن تنشئ ما تشاء من المدارس فيما تشاء من البلدان .

ب - ليس على تلك الجمعيات الا اعلام الادارة باسم المدرسة ومحلها وباسماء المعلمين فيها ، ثم تشرع في العمل بلا توقف على اجراءات اخرى .

ج - يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة في عدم اللجوء الى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية أو غيرها من الاعتبارات ، لأن تعطيل المدارس العربية في نتيجته يعد عقوبة للأولاد المتعلمين لم يقرروا اسبابها ، وهذا ظلم لهم .

د - كما لا تتدخل الادارة في اختيار المعلمين لا تتدخل في وضع البرامج التعليمية ولا في اختيار الكتب المدرسية .

هـ - على جمعية العلماء والجمعيات العلمية الأخرى ان تخضع للمراقبة الصحية العامة في دائرة قوانينها ولمراقبة التفتيش الرسمي .

القضاء الاسلامي وتعليمه ورجاله

القضاء بين المسلمين في أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية جزء لا يتجزأ من دينهم لأن الحكم بينهم فيها حكم من الله ، ولأن اصول تلك الأحكام منصوصة في الكتاب والسنة ، كل ما فيهما فهو دين ، ولأنهم ما خضعوا لتلك الأحكام الا بصفة كونهم مسلمين .

والدولة الفرنسية نفسها تعترف بهذه الحقيقة اعترافا صريحا ، فقد كانت الى العهد القريب تعارض مطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية لتمسكهم بالقانون الاسلامي في الاحوال الشخصية . والحقيقة أن الحكومة الجزائرية منذ الاحتلال بترت القضاء الاسلامي فانتزعت منه أحكام الجنايات والاحكام المالية ، ولم تبقى له الا احكام النكاح والطلاق والموارث ، وباليتمها ابقته له حقيقة ولكنه مع المطاولة احتكرت تعليمه واحتكرت وظائفه لمن يتخرجون على يدها وبتعاليمها ، وجعلت نقض أحكامهم وتعقبها بيد القضاة الفرنسيين ، واصبح القضاء الاسلامي حتى في هذا القدر الضئيل خاضعا للقضاء الفرنسي ، واصبح القضاة بحكم الضرورة لا يرجعون في احكامهم الى النصوص الفقهية ، وإنما يرجعون الى اللوائح التي يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيون ، وفي هذا من الاجحاف وظلم القضاء الاسلامي ما لا يرضى به المسلمون .

ولا ننسى انها وقعت محاولات واستفتاءات في بعض الأحيان يراد منها إلغاء القضاء الاسلامي بالتدريج وإرجاع مشمولاته الى القضاء الفرنسي . ان المسلمين يشكون هذه الحال ، ويشكون نتائجها السيئة من الاضطراب والفوضى في المحاكمات ، والضعف والجهل في القضاة ، ويعلمون ان ذلك كله ناشيء عن سوء التعليم القضائي وعن اهمال التربية الاسلامية الفاضلة التي هي الشرط الاساسي في القضاة ، وعن استبداد القضاء الفرنسي على القضاء الاسلامي ، وعن عدم شعور القضاة بمراقبة الأمة لهم مراقبة دينية .

وجمعية العلماء والأمة الاسلامية معها تطالب الحكومة الجزائرية بوضع حد لهذه الحالة الشاذة المضطربة .

وجمعية العلماء وإن كانت ترى أن القضاء الإسلامي في الإسلام جزء من الدين ترى في هذه النقطة لزوم التدرج في إصلاح القضاء - والدين لا هواده فيه .

وها هي أصول الإصلاح تقدمها بكل إخلاص

التعليم القضائي :

يجب توسيع برامج التعليم القضائي في مادة العربية والفقه والأصول ودراسة التفسير والحديث ومآخذ الأحكام منهما وتاريخ القضاء في الإسلام وفلسفة التشريع وعلم النفس . كذلك يجب فتح الباب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره لا تعتبر فيهم إلا الكفاءة لما يراود منهم .

الوظائف القضائية :

كذلك يجب إدخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره من المعاهد الأخرى في الخطط القضائية .

السلطة العليا :

كذلك يجب تكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين يتولى اختيار القضاة وتسميتهم ومراقبتهم والنظر في سلوكهم وتحديد عقوباتهم ، وتكون سلطة هذا المجلس مستقلة عن القضاء الفرنسي .

محاكم الاستئناف :

كذلك يجب تكوين محاكم استئناف إسلامية تستأنف إليها الأحكام الأولية وتكون سلطتها إسلامية محضة ، وهذه النقطة من أهم نقاط الإصلاح من حيث الاعتبار لأن حكم القاضي المسلم لا ينقضه إلا قاض مسلم .

وفي الختام نلفت نظر الحكومة إلى مسألتين أخريين عاملتهما إلى الآن بالتشديد ، وكان ينبغي لها أن تتساهل فيهما لصلتهما القوية بخدمة الدين وهما تجول العلماء للمعظ والارشاد والنواهي العربية .

التجول :

أول واجب على علماء نشر الهداية الاسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكبر وسيلة الى ذلك دروس الوعظ والارشاد . وجمعية العلماء ماسنت سنة التجول في البلدان للوعظ والارشاد الا قياما بهذا الواجب ولكن الادارة ضايقتهم في هذا الواجب فمنعهم من التجول لاعتبارات. وهمية هم يتبرؤون منها ، وآخر ما وقع من هذا النوع منع رئيس جمعية العلماء من التجول ولا زال هذا المنع جاريا الى الآن . ان تجول العلماء للوعظ والارشاد من وسائل نشر الدين وتعليمه ، ومن القواعد المسلمة ان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

النوادي :

جمعية العلماء ترى أن النوادي التي أسستها أو تؤسسها هي في حكم مدارس التعليم ومكملة لوظائفها . لأن طبقات الأمة ثلاث : صغار تضمهم المدارس الابتدائية ، وكبار تجمعهم المساجد ، وشبان تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور فإذا ارادت الجمعية ان تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم في المساجد ولا في المدارس فمن واجب الجمعية ان تنشط النوادي لتقوم بمهمتها التهديبية فيها ، وعلى الحكومة أن لا تضايقها فيما يقوم بحياتها فتمنعها من المشروعات المباحة كما وقع في قرار مارس سنة 1938 . نرجو بكل تأكيد أن يلغى هذا القرار وبقية القرارات الجائرة فتتمتع المدارس والمساجد والنوادي بالحرية التامة . ا هـ :

عن المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الرئيس : محمد البشير الابراهيمي .

ملحق رقم (6)

بيان جمعية العلماء الحاسم في الانضمام إلى الثورة الجزائرية⁽⁵⁰²⁾

بيان

من المؤتمر السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد يوم السبت الموافق 7 يناير سنة 1956 بعاصمة الجزائر قرر المجتمعون بالاجماع البيان التالي :

نحن المجتمعين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

نعلم بكل صراحة ان الاستعمار المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ سنة 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت في القطر الجزائري ، وذلك بما أحدثه فيه من ميز عنصري مخجل ، وما سلكه فيه من سياسة التفتير والتجويل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الاسلامي ، وما حارب به الدين الاسلامي في اقدس مقدساته ، وما أجهز به على التعليم العربي القرآني في كل جهة من جهاته ، وما تعمده من محق جنسية الأمة ومحاولته ابتلاعها ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها ، وما أعلنه مرارا رغم ارادتها ، من الحاقبا وادماجيا ، الى أن أوصل الأمة بكل ذلك الى درجة اليأس فعمدت الى الأعمال التي يوجبها اليأس .

ونرفع عقيرتنا بالاحتجاج الصارم العنيف على ما ارتكب في مختلف جيات البلاد من أعمال البطش والارهاب والتنكيل ، وما وقع من الفظائع والفضائح والمنكرات ، بدعوى الزجر ومحاولة اخماد الثورة .

(502) المدني. (1982م). حياة كفاح...ج:3. ص:35-36-37.

كما نحتج الاحتجاج الصارخ على تلك المظالم الماثرة المتعددة التي وقعت على مدارس جمعية العلماء وما وقع على المعلمين فيها من حيف وجور : بين سجن وتفريم وابعاد الى المحتشدات .

ونترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعمى الفظيع ، وندعو الأمة للقيام بواجبها نحو ابنائها وعائلاتهم ، وكفالتهم كفالة يوجبها الاسلام وتفرضها المروءة والشرف .

ونبعث بصادق الود وعظيم التقدير والعطف . لسائر رجال الأمة الأحرار الأبرار الذين أوصدت عليهم ابواب السجن ، أو أطبقت عليهم الأسلاك الشائكة في المحتشدات، ونشاركهم في تلك المحنة التي تقبلوها بثفور باسمه وصدور رحمة ، ونعلمهم ان الأمة الحية الشاعرة لن تنسى لهم تضحياتهم ، وانهم سيكونون غدا في طليعة العاملين على انشاء الهيكل الوطني العظيم .

ونرفع عظيم الامتنان ووافر التقدير لسائر الأحرار في كل أقطار الدنيا ، ولجميع الصحف العالمية النزيهة ولسائر الحكومات الحرة التي أيدت الأمة الجزائرية في نضالها الشريف ، ودافعت عنها ، ومدت يمين الأخوة لمبادئ الحق والعدل والتحرير ، ونرجو ان يشارك كل شعب حر وكل حكومة حرة ، وكل صحيفة نزيهة ، في هذا الكفاح الميمون ، لفائدة الحق والعدل والحرية بالبلاد الجزائرية .

ونعلن مرة أخرى ان كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي واجراء (اصلاحات) على قاعدة النظم الاستعمارية الحالية، مهما تغير اسمها ، انما هو من قبيل العبث والاستهتار ، والامعان في الزج بالأمة الجزائرية في مضيق اليأس الذي لا يحدث الا الانفجار .

ونقول كلمة صريحة علنية نرجو ان يسمعها المسؤولون في باريس ، وان يسمعها العالم أجمع ، وهي انه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة الا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحرة ، وجنسياتها الخاصة العربية ، وحكومتها القومية ، ومجلسها التشريعي المطلق التصرف في دائرة احترام مصالح الجميع ، والمحافظة على حقوق الجميع .

ونؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة ،
والاقدام على بناء النظام الحر الجديد ، الا بواسطة التفاهم
الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب
الجزائري من رجال الحل والعقد ، الذين أظهرهم الكفاح
الجزائري .

ونوصي الأمة ختاماً بالحق ، ونوصيها بالصبر ،
ونسئتحثها على العمل الصالح ، والثبات وتوحيد
الصفوف ، ونسيان الخلافات القديمة ، حتى تستطيع
متحدة متظافرة أن تصل قريباً الى الدرجة الرفيعة التي
أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب ، وكفاحها الشريف
الذي أصبح في العالم مضرب المثل . وتاريخها الحافل
بجلائل الأعمال .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .
و « لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .
والسلام على الأمة العربية الحبيبة الماجدة ورحمة الله .

عن الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين

نائب الرئيس
العربي التبسي

الكاتب العام
أحمد توفيق المدني